نوفان رجا الحمود

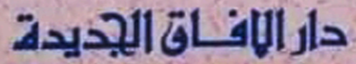
العسكر في بلاد الشام

في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين









دار الآفاق الجديدة

العَسْكر
في بِلادِ الشّام
في القرنين السّادس عشر والسّابع عشر الميلاديّين

نوفان رجا الحمود

العسكر في بلاد الشام

في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ / ١٩٨١م

إلى أستاذي الكريم

الدكتور محمد عدنان البخيت

شكر وتقدير

يسعدني، اعترافاً بالفضل، أن أتقدم بعظيم الشكر وخالص الامتنان لأستاذي الدكتور محمد عدنان البخيت، إذ تعهدني بالرعاية الدائمة والتوجيه المستمر، فكانت إرشاداته وتوجيهاته النور الذي أنار أمامي سبل البحث العلمي، وجنبني أخطاء ما كنت لأتخلص منها بغير عنايته وتوجيهه.

كما أتقدم من الأستاذ الكبير الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بأسمى آيات الشكر والعرفان فقد كان تشجيعه لي دافعاً قوياً حفز همتي لمواصلة البحث. كما أخص الدكتور محمد شاهين بالشكر إذ لم يتوان عن تقديم المساعدة لي.

وأتقدم بشكري الجزيل أيضاً للآنسة حياة الأسمر لما أبدته من مساعدة واهتمام بهذه الدراسة.

ويسرني أن أشكر زملائي الكرام الأخوة: سلامة النعيمات، زياد الزعبي، سمير الدروبي، محمد يعقوب وموسى أبو زيد إذ لم يضنوا عليّ بتقديم المساعدة، وأشكر أيضاً الأختين سلمى أدريخ ونجلاء الشنطي وكل من ساعد على إخراج هذه الدراسة بالصورة التي وصلت إليها.

والله الموفق

نوفان رجا الحمود

المقـــدّمـــة

تعود صلتي بهذا الموضوع الى السنوات الأولى من دراستي الجامعية، عندما أعددت بحثاً عن حركات العسكر في بلاد الشام في العهد العثماني. وكان تشجيع أستاذي لي في ذلك الحين دافعاً قوياً أوجد لديّ الرغبة في الاستمرار والبحث في هذا الموضوع، وبخاصة أن العسكر إبان فترة الحكم العثماني شكلوا ظاهرة تستحق الدراسة. ولما كانت النيّة تتجه لدى عدد كبير من المعنيين بدراسة بلاد الشام الى كتابة تاريخ بلاد الشام وفق الأسس المنهجية والموضوعية، فقد رأيت أن أساهم، ولو بشكل متواضع في هذا المجال، فكانت هذه الدراسة.

ولاعطاء فكرة عن مضمون هذه الدراسة أوجز ما ورد فيها. فقد قسمتها الى سبعة فصول، أشرت في **الفصل الأول** منها الى بعض الملاحظات حول المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة من حيث معاصرتها لأحداث تلك الفترة، وأهمية المعلومات التي توردها.

جاءت هذه المصادر على نوعين، مصادر رسمية وتتمثل في سجلات المحاكم الشرعية، العائدة لكل من حلب وحماة ودمشق والقدس، وبعض السجلات العثمانية، كدفتر مالية مدورة رقم ٣٧٢٣، ودفتر مفصل لواء الشام رقم ٢٦٣، وكلا الدفترين من محفوظات رئاسة الوزراء التركية.

وأما غير الرسمية فجاءت على شكل المصادر المعاصرة، وهي بدورها على نوعين: ٠المصادر المحلية من (مخطوطة ومطبوعة) كالحوليات والتراجم والرحلات، ومصادر أجنبية، وتمثلت بكتب الرحلات التي وضعها تجار ورحالة وحجاج أجانب زاروا المنطقة. هذا الى جانب المراجع والدراسات الحديث باللغتين العربية والانجليزية.

الفصل الثاني: يشتمل هذا الفصل على تناول موضوع توزيع القوات العسكرية العثمانية النظامية على القلاع والأبراج داخل بلاد الشام. وكانت هذه القلاع على قسمين: سلسلة قلاع وأبراج الساحل وتمتد من الاسكندرونة شمالا حتى العريش جنوباً، ثم سلسلة القلاع والأبراج الداخلية وتبدأ بحلب مروراً بدمشق، ومن دمشق تتفرع الى اتجاهين: الأول عبر فلسطين حتى غزة، الثاني يتجه جنوباً حتى المدينة المنورة، وهو ما يعرف بطريق الحج الشامي، وكانت القوات المرابطة في هذه القلاع والأبراج، تعرف بأسماء متعددة، كالانكشارية والمستحفظان، أو القلعية والحصارية (كما أشارت إليهم بذلك سجلات المحاكم الشرعية) وكانت القوات تتقاضى رواتبها نقداً من خزينة الدولة. إضافة الى القوات النظامية فقد كان لدى الدولة قوات أخرى موزعة في الريف عرفت اصطلاحاً بـ« السباهية » وكان هؤلاء يحصلون على رواتبهم من عوائد إقطاعات (عرفت باسم التيارات)، منحتها لهم الدولة، وكانت هذه التيارات على نوعين « الزعامت » وهو يمنح لأعلى السباهية رتبة، ثم « التيار » الذي يمنح لمن يلي الزعيم رتبة. كما عرضنا في هذا الفصل للقلاع والأبراج التي استخدمتها الزعامات المحلية.

الفصل الثالث: وعلاوة على حفظ الأمن والاستقرار داخل بلاد الشام، فقد أنيط بالقوات العسكرية بشقيها الانكشارية والتيمارية مهمات أخرى لحماية قافلة الحج، والمشاركة في عملية جمع الضرائب ومشاركة قوات الدولة في القضاء على حركات التمرد والشغب خارج بلاد الشام، كما شاركت القوات المرابطة في بلاد الشام قوات السلطنة في حروبها على

مختلف الجبهات، وأبدى بعض أفرادها شجاعة فائقة في المعارك التي خاضتها على مختلف الجبهات.

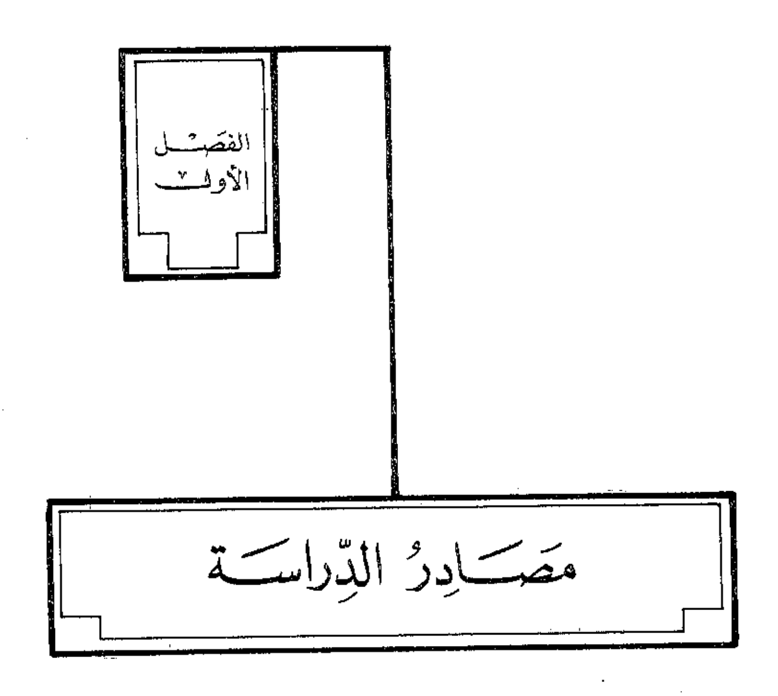
الفصل الرابع: عرضت في هذا الفصل للانحلال الذي أصاب القوات المرابطة في بلاد الشام، بشقيها (قوات القلاع وقوات السباهية) وأشرت للعوامل التي أدت في نهاية المطاف الى فقدان الضبط والربط العسكري لدى تلك القوات وبالتالي قاد الى تفسخ النظام التيماري.

الفصل الخامس: عالجت فيه بالتفصيل حركة السكبان، من حيث أصلهم وتكوينهم، والأسباب التي أدت الى هروبهم من الجبهة الأوروبية ولجوئهم الى الحركة الجلالية في الأناضول، والدور الذي لعبه السكبان في دعم وتقوية هذه الحركة، كما تناولت دورهم مفصلاً في تكوين جيوش الزعامات المحلية في بلاد الشام، كجيش علي بن جانبولاد ويوسف باشا سيفا، ويونس بن الحرفوش، وفخر الدين المعني الثاني وغيرهم.

الفصل السادس: عرضت فيه لدور العسكر ونشاطهم الاقتصادي في المدن والريف على حد سواء، وكيف أصبح العسكر بالتدريج متنفذين في الحياة الاقتصادية، وما ترتب على ذلك من بروزهم كقوة اجتماعية ذات تأثير ونفوذ في مجتمع بلاد الشام خلال الفترة التي ندرسها.

الفصل السابع: هو الفصل الأخير من هذه الدراسة، عالجت فيه ناحيتين، الأولى، دور العسكر في الحركة العلمية، موضحاً دوافعهم من وراء ذلك، والناحية الثانية، مشاركة العسكر في إدارة الأوقاف، وأشرت الى ظاهرة إسناد هذه المهمة لعدد منهم، لكفاءتهم في إدارتها. واختتمت هذه الدراسة بذكر المصادر والمراجع التي ارتكزت عليها هذه الدراسة.

(والله من وراء القصد).


الفصل
الأول
مصادر الدراسة

اتّصفت المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة بالتنوع والتعدد، وهذا راجع الى طبيعة الموضوع الذي أعالجه، إذ تناولت مرحلة زمنية قاربت القرنين من الزمن، امتدت من مطلع الربع الأول من القرن العاشر الهجري، حتى العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري (الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي).

وهنالك عدد من الأسس التي تصلح أن تكون منطلقاً عند عرض وتحليل مصادر هذا البحث، وهي: -

١ - معاصرة أصحاب هذه المصادر للأحداث التي دونوها وقربهم أو بعدهم عن الأحداث التي سجلوها ومدى صلتهم بها.
٢ - الدقة التي تم بها تدوين الأحداث.
٣ - المادة الجديدة التي قدمتها هذه المصادر بشكل مباشر أو غير مباشر.
٤ - منهج أصحاب هذه المصادر في رصدهم للأحداث وتدوينها.
٥ - الخلفية المذهبية لأصحاب هذه المصادر.

وتسهيلاً للدراسة فقد تم تقسيم المصادر الى المجموعات التالية: -

١ - سجلات المحاكم الشرعية.
٢ - محفوظات رئاسة الوزراء التركية.
٣ - كتب الحوليات.
٤ - كتب التراجم.

٥ - كتب الرحلات.

١ - سجلات المحاكم الشرعية

وتشمل: -

أ - سجلات محاكم حلب الشرعية من م٣: ٩٥٢ هـ/١٥٤٥م -م ٣٦: ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩م.

ب - سجلات محاكم حماة الشرعية من م٢: ٩٥٢ هـ/١٥٤٥م -م ٤٠: ١٠٩١ هـ/١٦٨٠م.

جـ - سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) من م١: ٩٩١ هـ/١٥٨٣م -م ١٧: ١١٠١ هـ/١٦٨٩م، م١٨: ١١٠٠ هـ/١٦٨٨م.

د - دفاتر القسمة العسكرية في دمشق من م٩: ١٠٦٣ هـ/١٦٥٢م -م ١٥: ١١٠٠ هـ/١٦٨٨م.

هـ - سجلات محاكم القدس الشرعية من م١: ٩٣٦ هـ/١٥٢٩م -م ١٣: ٩٤٧ هـ/١٥٤٠م.

تعتبر سجلات المحاكم الشرعية مصدراً هاماً لدراسة بلاد الشام من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وتتصف المعلومات التي توردها هذه السجلات بالدقة والغنى، خاصة فيما يتعلق بالعسكر ونشاطهم الاقتصادي والاجتماعي، بجانب مشاركتهم في المهمات الرسمية التي كانت الدولة توكلها إليهم، كالخروج في الحملات العسكرية ومساهمتهم في جمع الضرائب. وتزودنا هذه السجلات بمادة غنية عن تجاوزات العسكر وتعدياتهم على الرعية، كما وتورد نماذج عن الأسلحة التي كانت تستخدمها القوات العسكرية. وتزودنا سجلات محاكم حلب الشرعية بمادة وافرة عن الأوقاف، بينما تنفرد سجلات محاكم حماة الشرعية بذكر معلومات هامة عن مادة البارود التي كانت تصنع في مصنع البارود في حماة. وتميزت سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة

العسكرية)[١] بوفرة المعلومات التي توردها عن العسكر، من حيث ألقابهم ونشاطهم التجاري، خاصة فيما يتعلق بتجارة الرقيق، ونشاطهم الزراعي. وقد ركّز العسكر اهتمامهم على الأراضي الزراعية المحيطة بدمشق خاصة في «المرجين والغوطة». وتزخر سجلات دمشق الشرعية أيضاً بالمعلومات عن نشاط العسكر الاقتصادي في الريف، هذا بجانب ما تزودنا به هذه المصادر عن علاقات العسكر الاجتماعية مع الرعية. ومن خلال سجلات محاكم القدس الشرعية نعثر على نماذج عن العلاقة التي كانت تسود بين أصحاب التيارات والفلاحين.

ومما تجدر الاشارة إليه أن بعض هذه السجلات قد أصيبت بالتلف خاصة سجلات حلب وحماة. ونتيجة لأعمال الترميم التي أجريت لهذه السجلات في مركز الوثائق التاريخية في دمشق، فقد حدث خلل في ترتيب السنوات داخل كثير من السجلات، فعلى سبيل المثال: نجد أن أحد سجلات محاكم حلب الشرعية (م٢) يحتوي على السنوات التالية على الترتيب: ١١١٩ هـ، ١١١٨ هـ، ١٠٠١ هـ، ٩٦٤، ١٠٦٦ هـ. بينما مجلد (٦) من نفس السجلات يحتوي على السنوات التالية: ١٠٦٢ هـ، ١٠٧٢ هـ، ١٠٧٦ هـ، ١٠٤٧ هـ، وفي سجلات محاكم دمشق الشرعية نجد أن مجلد (١٧) يحتوي على قضايا سنة ١١٠١ هـ/١٦٨٩ م بينما يحتوي مجلد (١٨) على قضايا سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م. فيجدر بالدارس، أن يراعي هذه الأمور وأن يلفت نظر القارىء لها خوفاً من الوقوع في الالتباس[٢].

(١) كان للعسكر محاكم خاصة عرفت بمحاكم القسمة العسكرية، وعرف قاضي المحكمة بالقسام العسكري. ولم نتطرق الى هذه المحكمة واختصاصاتها في هذا البحث، لاعتقادنا انها بحاجة الى دراسة متكاملة اخرى.

(٢) حول أهمية سجلات المحاكم الشرعية انظر:
Rafeq, Abdul – Karim, «The Law – court Registers Damascus, with Special **Reference to Craft – corporations During first half of eighteenth century»,** les Arabes Par Leurs archives, **E'ditions Du centre National De la Racherche** Scientifique, No. 555, Paris, 1974, PP. 141 – 159.

٢ - محفوظات رئاسة الوزراء التركية

من أهمها دفتر مالية مدورة رقم ٣٧٢٣ المعنون باسم « فهرست قــــلاع ولايـــــت عرب » للسنوات ٩٦١ هـ - ٩٧٤ هـ/١٥٥٣ م - ١٥٦٦ م. فقد عدّد هذا الدفتر القلاع والأبراج في بلاد الشام وذكر عدد الجنود المرابطين بها، لذا جاء اعتمادنا على هذا الدفتر بارزاً. وأفدت من وثيقة متحف طوب قبو رقم E ٢٠٢٥ سنة ١١٥٥ هـ التي عددت قلاع طريق الحج الشامي. كما أفدت من مجموعة الوثائق العثمانية التي ترجمها U. Heyd في كتابه عن دفاتر المهمة والعائدة الى فلسطين والتي نشرها تحت عنوان «Ottoman Documents on Palestine» ، وبخاصة فيما يتعلق بقلاع بلاد الشام الجنوبية، وعن تسرب الأسلحة وانتشارها بين أفراد الرعية والطرق التي تم عن طريقها تسرب الأسلحة. ولا بد من الاشارة الى الدراسات الحديثة التي اعتمدت على دفاتر الطابو العثمانية، وبخاصة الدراسات التي قام بها B. Lewis و A. Cohen بالتعاون مع B.Lewis ودراسة الدكتور محمد عدنان البخيت المعنونة بـ «The Ottoman Province of Damascus in sixteenth century» حيث تعتبر من أفضل الدراسات التي أحسنت استخدام دفاتر الطابو، وقد ساهمت هذه الدراسات في كثير من ثنايا هذا البحث.

٣ - الحوليات

يعتبر كتاب الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م)، « تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني »، مصدراً أساسياً في دراستنا. وهذا الكتاب يتناول عدداً من سنوات حياة الأمير فخر الدين المعني، إلاّ أنه بالحقيقة لا يقصر نفسه على فترة الأمير المعني بل يذكر كثيراً من أحداث بلاد الشام خلال تلك السنوات. ان قرب الخالدي الصفدي من ابن معن جعله يطلع على كثير من المعلومات عن الأمير وعلاقته مع ممثلي

الدولة في كل من دمشق وطرابلس، وكذلك عن علاقة ابن معن مع الزعامات المحلية الأخرى. فالكتاب يعتبر بحق مصدراً أولياً عن الأوضاع العسكرية في بلاد الشام، خاصة فيما يتعلق بجيوش الزعامات المحلية، فهو يذكر العناصر التي تكونت منها هذه الجيوش، وأعدادها. ويعرض الكتاب بالتفصيل المعارك التي خاضها ابن معن مع جيوش الزعامات المحلية وجيش الدولة. والكتاب مصدر فريد عن السكبان وتقسيماتهم وممارساتهم وما يميز تصرفاتهم عن بقية أفراد الجيش، ويزودنا بأعدادهم عند بعض الزعماء. وهذه المعلومات لا ترد في أي مصدر محلي آخر، ومما يزيد في قيمة هذه المعلومات موضوعية الخالدي الصفدي وتجرده. ومع ذلك لم أغفل ما تورده الحوليات الأخرى كتاريخ الأزمنة للدويهي (ت ١١١٦هـ/١٧٠٤م)، وتاريخ الأمير حيدر الشهابي (ت ١٨٣٥هـ)، وأخبار الأعيان في جبل لبنان لطنوس الشدياق (ت ١٨٦١م)، وقد جاءت الإفادة من هذه الحوليات محدودة، بسبب تحيز مؤلفيها وتركيزهم على منطقة جبل لبنان(٣). فنجد بعضهم يركز على تدوين تاريخ الموارنة في لبنان بسبب خلفيتهم الدينية، إذ أنهم درسوا وتدربوا في روما. بينما ركز آخرون من ذوي النزعة العلمانية على تدوين تاريخ الأسر الاقطاعية في جبل لبنان أمثال طنوس الشدياق وحيدر الشهابي.

٤ - التراجم

كان في بلاد الشام مدرستان لكتب التراجم: المدرسة الدمشقية، والمدرسة الحلبية. ومن أهم كتب التراجم التي تمثل المدرسة الدمشقية:

---

(٣) انظر:

Hourani, A. H., «Historians of Lebanon», Historians of the Middle East, edited by B, Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, London, reprinted, 1964, PP. 226 – 245, Salibi, S. K., «The Traditional Historiography of the Maronites», Historians of the Middle East, **edited by** B. Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, London, 1964, PP. 213 – 225.

١ - تراجم الأعيان من أبناء الزمان (لا يزال قسم منه مخطوطاً)، لمؤلفه الشيخ حسن بن محمد بن حسن البوريني (ت ١٠٢٤ هـ/١٦١٥ م)، ترجم فيه البوريني لمعاصريه من الأعيان، وكان من بينهم بعض العلماء والعسكر، وينفرد البوريني بمعلومات في غاية الأهمية عن العسكر وممارساتهم وتجاوزاتهم. فهو يورد وصفاً مفصلاً عن الوقائع التي خاضتها قوات دمشق مع عبد الحليم اليازجي الخارج على الدولة في الأناضول، وينقل تفاصيل هذه الوقائع عن أفراد شاركوا في القتال، ومن بينهم بعض أصحابه من العسكر، فنجده يشير الى ذلك بقوله: «اخبرني صاحبنا حسين بلوكباشي الكردي الشهير بابن شرف»، وأحياناً لا يحدد عمن نقل ويكتفي بالقول «بلغني ممن شاهد»، علاوة على ذلك فقد تسلم البوريني رسالة من سردار عساكر دمشق المشاركة في قتال اليازجي، وعرض البوريني بإسهاب لوقائع علي باشا بن جانبولاد والأمير فخر الدين مع عسكر دمشق سنة ١٠١٦ هـ/١٦٠٧ م، ونقل لنا كشاهد عيان ما حلّ بدمشق وعسكرها من الجيش المهاجم. ولم يكتف البوريني بذلك بل نقل عن «أصحابه» من العسكر الذين شاركوا في القتال فنجده يقول في مواضع مختلفة «أخبرني رجل منهم صادق القول وهو من أصحابنا». كما كان اعتمادنا أيضاً على هذا المصدر كبيراً لما فيه من مادة غزيرة عن السكبان. فعندما دخل مراد باشا حلب وخلصها من يد ابن جانبولاد، كان الحسن البوريني من بين الذين انتقلوا الى حلب لتهنئة الوزير، وسأل البوريني المقربين من الوزير عما سيفعلونه بالسكبان. والبوريني عندما يشك في صحة بعض الأخبار يشير الى ذلك بقوله: «وما ندري هل ذاك صحيح ام لا» او يذكر كتابة «قيل، ومما لا شك فيه ان مكانة البوريني العلمية جعلته قريباً من الولاة

والقضاة وكتّاب المحاكم الشرعية وكبار العسكر، الأمر الذي جعله يطلع على كثير من المعلومات التي تخص العسكر وتظهر نزعة البوريني المعادية للدروز ولكل خارج على الدولة عند تناوله ذكر ابن معن وابن جانبولاد.

٢ - الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، لمؤلفه نجم الدين الغزي (ت ١٠٦٤ هـ/١٦٥٠ م). وقد أفدنا من التراجم التي أوردها المؤلف خاصة فيما يتعلق بالعلماء، وبما ورد فيه من إشارات عن تجاوزات العسكر. وقد أكمل المؤلف كتابه هذا بكتاب آخر ترجم فيه لمن عاصره وسماه «لطف السحر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر»، وتنتهي أحداث هذا الكتاب بسنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م. وكان هذا الكتاب أكثر فائدة من سابقه بالنسبة لهذه الدراسة حيث ورد فيه ترجمات وافية لعدد من العسكر مبيناً مكانتهم ونفوذهم، كما ترجم فيه لعدد من زعماء بلاد الشام المحليين. وترجع قيمة الحوادث التي أوردها الكتاب الى معاصرة المؤلف لها ومشاهدة بعضها عن قرب. فنجم الدين الغزي كان أحد المشايخ الذين توجهوا من دمشق الى حلب، بناء على تكليف من العسكر، لمقابلة الوزير مراد باشا كي يشكوا إليه تجاوزات ابن معن. وكان النجم أيضاً من بين أعضاء الوفد الذين ذهبوا الى ابن معن يلتمسون منه اطلاق سراح والي دمشق مصطفى باشا الذي أسر في معركة عنجر سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م. والغزي أيضاً قابل والي دمشق الجديد محمد باشا بعد أن عزل مصطفى باشا، ودوّن ما فعله العسكر من شعب في محاولتهم بتأليب الرعية على الوالي الجديد. كما أن تنقلات الغزي جعلته يطلع عن كثب على أثر الفوضى واضطراب الامن على المدن والريف في بلاد الشام. فعندما كان مقيماً في الزنبقية بلغه سوء الوضع في أضنة وما حاق

بالرعية من الظلم. ويقف الغزي موقف عداء صريح من حركات التمرد والشغب، خاصة ما قام به ابن جانبولاد وابن معن.

٣ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمؤلفه محمد أمين المحبي (١١١١ هـ/١٦٩٩ م)، هذا الكتاب مكمل لكتب التراجم التي سبقته. وقد أفدنا من التراجم التي أوردها المؤلف، بخاصة تلك التي تتعلق بالعسكر وبعض الزعامات المحلية. وزودنا هذا الكتاب بمعلومات مفيدة عن العسكر وتجاوزاتهم. وينفرد الكتاب أيضاً بنشر معلومات مفصلة عن قافلة الحج وأمرائها والأخطار التي كانت تتعرض لها، ودور العسكر في قيادة القافلة وحمايتها. ومن المعلومات التي يتميز بها هذا المصدر أيضاً مشاركة عسكر بلاد الشام، جيوش الدولة العثمانية في حروبها على مختلف الجبهات. ويذكر المحبي المصادر التي نقل عنها معلوماته، فهو ينقل عن البوريني وعن نجم الدين الغزي، وفيما يتعلق بأحداث حلب ينقل عن أبي الوفاء العرضي، وكان المحبي يطلع أحياناً على بعض آثار المترجم لهم. وفي بعض الأحيان لا يذكر المحبي مصدر معلوماته. ومما تجدر الاشارة إليه أن المحبي عندما يترجم للأمير فخر الدين المعني أو لعلي باشا بن جانبولاد نجده متحيزاً لجانب الدولة، ويبالغ في قوة الاثنين حيث أنه كان سنّيا وكان هؤلاء في نظره خارجين على الدولة. ومن كتب المحبي التي أفدت منها في هذه الدراسة، خاصة في مجال الحياة العلمية، كتاب نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة».

أما المدرسة الحلبية فقد تمثلت بـ:

١ - كتاب «در الحبب في تاريخ أعيان حلب» لرضي الدين بن الحنبلي (ت ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م) وكانت الافادة من التراجم التي أوردها الكتاب قليلة.

٢ - معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، لمؤلفه أبي الوفاء

عمر بن عبد الوهاب العرضي (ت ١٠٧١ هـ/١٦٦٠ م). والمؤلف قد عاصر جزءاً من مرحلة تسلط عسكر دمشق على حلب، وأورد، كشاهد عيان، معلومات تفصيلية عن الصراع الذي دار بين عسكر دمشق وعسكر حلب، وبيّن أثر هذا الصراع على مدينة حلب وريفها. كما أورد بعض الاشارات الهامة عن السكبان من أتباع علي بن جانبولاد. وأفدنا من هذا المخطوط في بعض التراجم التي أوردها. وكان العرضي قد نقل جزءاً من معلوماته عن والده الشيخ الذي كان يعظ في جامع حلب، أثناء صولة عسكر دمشق في مدينة حلب، كما وان والده هو الذي أجبره عسكر دمشق على كتابة عريضة ورفعها الى السلطان تنص: على أن عسكر حلب قد خرجوا على طاعة الدولة. ولما دخل مراد باشا سنة ١٠١٧ هـ/١٦٠٧ م كان أبو الوفاء العرضي ووالده ضمن مستقبليه. وكان أبو الوفاء من المقربين لولاة حلب. وعندما كتب أبو الوفاء العرضي تاريخه هذا التزم بالموضوعية وبيّن في مقدمة تاريخه أنه لن يتعرض لمثالب من يترجم لهم كما فعل من سبقه أو من عاصره. ووصف العرضي انتقام مراد باشا من سكان مدينة حلب وأخذهم بجريرة السكبانية وقتل الكثير منهم، بأنه تصرف خاطيء.

٥ - الرحلات

تعتبر الرحلات من أهم المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة، لما احتوته من معلومات على جانب كبير من الأهمية، لم نعثر عليها في مصادر أخرى. وترجع أهمية المعلومات التي أوردتها هذه الرحلات الى كونها مشاهدات رحّالة لأماكن مروا بها ودونوا ما شاهدوه. وقد غطت هذه الرحلات بمعلوماتها فترات تاريخية مختلفة. وأهم هذه الرحلات حسب تسلسلها الزمني:

١ - المطالع البدرية في المنازل الرومية، لبدر الدين محمد بن محمد الغزي (ت ٩٤٨ هـ/١٥٧٧ م)، وهذه الرحلة لا تزال مخطوطاً، وتكمن أهميتها في أنها تعطينا وصفاً مبكراً لوضع الطريق ما بين حلب ودمشق، وما أقيم عليها من خانات ومنازل.

٢ - «A Relation of a Journey» صاحب هذه الرحلة هو التاجر الانجليزي G. Sandys [٤]، الذي مر بفلسطين في طريقه الى دمشق سنة ١٦١٠م. ودوّن هذا التاجر في رحلته ملاحظات هامة عن بلاد الشام الجنوبية، فذكر الأخطار التي تتعرض لها قوافل التجار من قبل البدو، والاجراءات التي كانت تتخذها الدولة لتأمين سلامة القوافل والمسافرين. وشاهد هذا التاجر أثناء وجوده في غزة مجموعة من السباهية جاءت الى غزة لجمع الضرائب منها. كما أورد معلومات عن المغاربة في فلسطين خاصة الموجودين في مدينة القدس. والرحلة تعتبر مصدراً هاماً لدراسة فترة حكم الأمير فخر الدين، فقد زار هذا التاجر بلاط الأمير، وأعجب به كما أعجب بالأمن الذي يسود منطقته، ووصف جيشه وعدده والفئات التي يتكون منها ذلك الجيش.

٣ - رحلة الشتاء والصيف، لمؤلفها محمد بن عبد الله بن محمد الحسني المعروف بابن كبريت (ت ١٠٧٠ هـ/١٦٥٩ م)، قام بها سنة ١٠٦٠ هـ/١٦٥٠ م). وفي هذه الرحلة ترد معلومات هامة عن أوضاع طريق الحج الشامي وطريق المواصلات من الناحية الأمنية. وذكر عدداً من القلاع والخانات والمنازل على هذه الطريق.

---

(٤) انظر عن الرحلة وصاحبها ما كتبه:
Hachicho, Mohammad Ali, «English Travel Books about the Arabe Near East in the 18th century», Die Welt Des Islams the World of Islam le Monde de L'islam, vol. IX, Leiden, E. J. Brill, 1964, PP. 27 - 29.

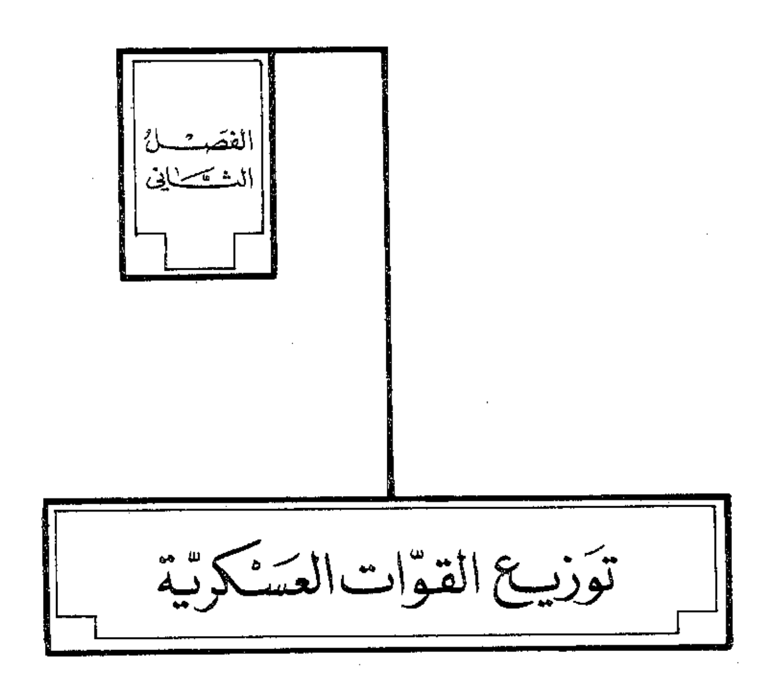
٤ - «Travels into the Levant» كتبها التاجر الفرنسي Thevenot الذي زار المنطقة سنة ١٦٦٠م، فدوّن ما شاهده في الساحل الشامي وعلى الطريق التجاري بين طرابلس وحلب، وطريق حلب دمشق. كما أورد ملاحظات هامة عن بعض قلاع الساحل، وطريق حلب دمشق. كما وأورد ملاحظات هامة عن بعض قلاع الساحل، ووصف حالة القرى التي كانت على الطريق بين حلب ودمشق وما أصاب بعضها من خراب وذكر عدداً من الخانات المقامة على الطريق بين حلب ودمشق.

٥ - تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، لمؤلفها ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت ١٠٨٣ هـ/١٦٧٢م)، رافق الخياري المدني قافلة الحاج العائدة من مكة الى استنبول سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م. وتعتبر هذه الرحلة أحد المصادر المهمة فيما يتعلق بقلاع طريق الحج الشامي، لكثرة ما يورده صاحب الرحلة من معلومات تفصيلية عن القلاع على طول الطريق من مكة حتى الاسكندرونة، وعن حامياتها والأسلحة التي كانت تستخدمها. كما أورد بعض المعلومات عن الخانات والمنازل على هذه الطريق، وعلى الطريق الممتد بين دمشق وغزة. ومن ناحية أخرى تعتبر هذه الرحلة مصدراً أساسياً لدراسة الحالة الداخلية التي كانت عليها بلاد الشام في هذه الفترة.

٦ - ومن الرحلات التي تعطي وصفاً لحالة بلاد الشام الداخلية، رحلة رمضان بن موسى العطيفي (ت ١٠٩٥ هـ/١٦٨٣م)، كما تجدر الإشارة في هذا المجال الى رحلة يحيى المحاسني التي قام بها الى طرابلس سنة ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨م.

٧ - رحلات الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣ هـ/١٧٣٠م) وقد شملت رحلاته جزءاً واسعاً من بلاد

الشام، فكانت أول رحلة قام بها الى بعلبك والبقاع سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٨م وسماها «حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز»، حيث ضمت وصفاً لما وصلت إليه حال المنطقة من دمار وخراب نتيجة للصراع الذي وقع ما بين الزعامات المحلية، بخاصة ما بين ابن معن وابن الحرفوش. كما أورد وصفاً مسهباً عن قلعة بعلبك. وانفرد النابلسي في رحلته هذه في وصف قلعة ابن معن في قب الياس. والرحلة الثانية التي قام بها الى مصر عبر فلسطين سنة ١١٠٥ هـ/١٦٩٣م وسماها «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»، وقد أورد فيها وصفاً عن وضع الريف في فلسطين في هذه الفترة. أما الرحلة الثالثة فقد تمت سنة ١١١٢ هـ/١٧٠٠م الى طرابلس وسماها «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية». وعندما مر ببيروت وصف لنا تحصينات ابن معن فيها. ومنها الى طرابلس حيث رأى في مينائها العديد من السفن وقد أورد قائمة بأسمائها، وشاهد النابلسي قلعة طرابلس، وأبراج الميناء السبعة لكنه لم يذكر أسماءها.


الفصل الثاني
توزيع القوّات العسكريّة

أولاً:

أ - توزيع القوات العسكرية في بلاد الشام على الحصون والأبراج والقلاع

وجد العثمانيون عند فتحهم لبلاد الشام الكثير من القلاع والحصون والأبراج منتشرة في مختلف أرجائها. تعود في بنائها الى فترات تاريخية مختلفة، ولم يحظ إلاّ القليل منها باهتمامهم، خاصة تلك ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية، فقاموا بترميم بعضها وادخال التحسينات على البعض الآخر، كما أضافوا إليها قلاعاً جديدة تتصف بأهميتها العسكرية والأمنية، خاصة ما بني منها على ساحل بلاد الشام وعلى امتداد الطريق الذي كانت تسلكه قافلة الحج المعروف بـ «طريق الحج الشامي» الذي يبدأ من دمشق شمالاً وينتهي بالمدينة المنورة جنوباً.

نستطيع أن نتتبع قلاع وحصون وأبراج بلاد الشام في سلسلتين رئيسيتين هما: سلسلة قلاع وأبراج الساحل التي تبدأ بميناء الاسكندرونة شمالاً وتنتهي بالعريش جنوباً، وسلسلة القلاع الداخلية الممتدة من حلب حتى دمشق، وكانت تخرج من دمشق في اتجاهين مختلفين: الاتجاه الأول عبر فلسطين الى مصر، والاتجاه الثاني من دمشق الى العُلى (وهو طريق الحج الشامي).

أ - قلاع وأبراج الساحل:

كان الهدف من إنشاء قلاع هذه السلسلة، تنشيط الحركة التجارية، وحماية الساحل من خطر القراصنة ولصوص البحر، وكبح محاولات التهريب التي كانت تتم بين الحين والآخر. وقلاع هذه السلسلة هي:

١ - قلعة الاسكندرونة: بنيت هذه القلعة لأهمية ميناء الاسكندرونة تجارياً ويبدو أن بناءها قد تم في عهد السلطان سليمان القانوني

(ت ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م)، وكانت حامية هذه القلعة في سنة (٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م) تتكون من تسعة عشر جندياً[١]. ولتوفير حماية أكثر لهذا الميناء، خاصة من خطر القراصنة، أمر السلطان القانوني ببناء قلعة الى الشرق من الميناء عرفت بقلعة باياس، وقد جدد بناء هذه القلعة سنة ٩٧٥ هـ/١٥٦٧ م[٢].

٢ - قلعة طرابلس: تتكون هذه القلعة من خمسة وعشرين برجاً، وقد أعيد ترميم بعضها في عهد السلطان سليمان القانوني، وهناك نقش فوق باب القلعة الكبير يحدد تاريخ هذا الترميم، وجاء في نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالأمر الشريف العالي السلطان المظفر سلطان سليمان شاه ابن السلطان سليم شاه لا زالت أوامره الشريفة مطاعة في الأمراء بأن يجدد هذا البرج المبارك ليكون حصناً منيعاً على دوام وكان الفراغ من عمارته في شهر شعبان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعماية»[٣]، وكان يتبع هذه القلعة ستة أبراج أخرى على الساحل، وقد عددها دفتر مالية مدورة لسنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م، كما حدد الدفتر المقدم ذكره عدد حامية

---

(١) مالية مدورة، رقم ٣٧٢٣، للسنوات ٩٦١ - ٩٧٤ هـ/١٥٥٣ - ١٥٦٦ م. Basbakanik Arsivi، استانبول. ص ١٤٣ - ١٤٤. سيشار لهذا المصدر: مالية مدروة.

(٢) خليل ساحلي اوغلو، «تغير طرق التجارة في القرن السابع عشر والتنافس بين مينائي طرابلس والاسكندرونة»، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثاني، ٢ ج جامعة دمشق، ١٩٨٠، جـ ١، ص ١٤٤ - ١٤٥، ١٥٣. سيشار لهذا المرجع: اوغلو، تغير طرق التجارة، انظر ايضاً: احمد وصفي زكريا، جولة اثرية في بعض البلاد الشامية، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٣٤ م، ص ١٣، سيشار لهذا المرجع: زكريا جولة اثرية.

(٣) SOBERNHEIM, Moritz, Corpus Inscriptionum Arabicarum, **Institut Françias de** Caire, 1909, Tom, 25, PP. 103 - 104.
أسد رستم، قلعة طرابلس الشام موقعها ومواردها الأساسية وتحصيناتها ومناعتها ونقوشها الكتابية، واصل بنائها الحالي، الجامعة الأمريكية ببيروت، بيروت، ١٩٤٦، ص ٧ - ٨. سيشار لهذا المرجع: رستم، قلعة طرابلس، لمزيد من المعلومات عن هذه القلعة انظر:
Sauvaget, j., « Notes sur les Defenses de la Marine de Tripoli», **bulletin du Musee** de Beyrouth,1938, vol., II , PP. 1 - 25.

كل برج منها وهي: برج بارسباي وبه ثلاثة عشر من المستحفظان[٤]، برج طرابلس وبه ثلاثة عشر من المستحفظان، برج (ايتمش؟) وبه اثنا عشر من المستحفظان، وبرج الجلبان وبه أحد عشر من المستحفظان، والبرج البلدي وبه سبعة من المستحفظان، وأخيراً برج المغاربة وبه سبعة من المستحفظان[٥].

وأثناء مرور التاجر الفرنسي Thevenot بمدينة طرابلس سنة ١٠٧١ هـ/ ١٦٦٠ م، ذكر أن حامية القلعة تقدر بمائتي جندي من المسلحين بأسلحة جيدة[٦].

٣ - أبراج بيروت: وهي خمسة أبراج: برج القلعة، برج علبني، برج سنبطية، البرج البراني، وبرج الشيخ، وقد ضمت هذه الأبراج سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م اثنين وخمسين جندياً وجميعهم من طائفة المستحفظان[٧]. وكان هؤلاء الجنود يتقاضون رواتبهم من خزينة الدولة[٨]، أما أسلحتهم فقد كانت تتكون من السيوف والأقواس

---

(٤) المدافعين عن القلعة او جنود القلعة. انظر:

Redhouse, J.w., A Turkish and English Lexicon,
Beirut, 1974, P. 1834.
Heyd, Ottoman Documents, P. 104.

(٥) مالية مدورة، ص ٧٧ - ٨٣.

(٦) Thevenot, Monsieur de Thevenot, Travels into the **levant, Translated by A. Lovell,** London, Republished in 1971, book I, Part 1. P. 221

سيشار لهذا المصدر،

Thevenot, **Travels into the levant,**

(٧) مالية مدورة. ص ٧١ - ٧٦، كذلك انظر. محمد عدنان البخيت، «جوانب من تاريخ بيروت في العهدين المملوكي والعثماني»، دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس، تحرير وداد القاضي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨١، ص ٦٦ - ٦٧.

(٨) Bakhit, M. A.,The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth century, Thesis submitted for the Degree of Doctor of philosoghy, University of London, 1972, (Un published),PP. 99 - 100 .

والدروع والرماح والخوذ والحراب والفؤوس والبنادق والمدافع والبارود[٩].

٤ - وفي صيدا برجان للمراقبة أحدهما يدعى برج الجلبان وكان يقوم بحراسته أربعة عشر جندياً، وبرج الخياط وكان يقيم فيه ثمانية جنود[١٠]. وكان هؤلاء الجنود يتقاضون رواتبهم نقداً ولا تتجاوز المائة أقجة[١١] لكل فرد منهم[١٢]، وكانوا يستعيضون عن نقص الرواتب بما تدره عليهم الوقفيات من المزارع والطواحين المائية والحمامات من ريع[١٣]، وكانت أسلحتهم مشابهة لتلك الأسلحة التي بحوزة حامية بيروت[١٤]، وفي سنة ١٠٧١ هـ/١٦٦٠م بلغ عدد حامية البرجين ثلاثين جندياً[١٥].

٥ - برج عكا: أمر ببنائه السلطان سليمان القانوني وأمر أن يقيم في هذا البرج دزدار ومعه خامية[١٦]، وكان يقيم في هذا البرج سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م ثمانية جنود[١٧]. وعندما مرّ به الرحالة العثماني أوليا جلبي سنة ١٠٥٨ هـ/١٦٤٨م وجد فيه حامية لديها ثمانية

---

(٩) Bakhit, The Ottoman province of Damascus. P. 3. 100.

(١٠) Ibid, P. 100

(١١) أقجة (Akce): وحدة النقد العثماني المضروبة من الفضة وتذكرها المصادر الاوروبية عادة باسم اسبر(Asper) انظر: Bowen, «Akce», E. I² vol, I. PP. 317 - 318.

(١٢) **Bakhit,** The ottoman province of Damascus,, P. 100

(١٣) **Ibid,** P. 100

(١٤) **Ibid,** P. 100

(١٥) Heyd, Uril, Ottoman Documents on palestine (1552 - 1615) Oxford, 1960, P. 190

(١٦) Tshelebi, Evllya, Travels Palestine (1648 - 1650), Translated by. st. H. stephan, Jerusalem, 1980, P. 41
سيشار لهذا المرجع: **Tshelebi,** Travels in palestine

(١٧) مالية مدورة، ص ٢٦ - ٢٧.

مدافع كبار مع مستلزماتها من الذخيرة[١٨]. وفي سنة ١٠٧٠ هـ/١٦٦٠ م بلغ عدد حامية هذا البرج ستة عشر جندياً[١٩].

٦ - أبراج حيفا: لم تظهر أهمية هذا البرج إلا اثناء فترة الصراع بين الأمير فخر الدين المعني الثاني والأمير أحمد بن طرباي الحارثي[٢٠]، فقد أرسل ابن معن أحد بلوكباشيته على رأس مجموعة من السكبان سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م للإقامة في البرج محاولا التضييق على ابن طرباي[٢١]، نتج عن ذلك انتشار وازدياد تردد القراصنة على ميناء حيفا، مما جعل الدولة تصدر أمراً إلى والي صيدا سنة ١١٢٩ هـ/١٧١٦ م ببناء عدد من الابراج حول الميناء في محاولة منها لمنع عمليات التهريب والقرصنة، فبني البرج الأول سنة ١١٣٦ هـ/١٧٢٣ م على الجهة الشرقية وفي سنة ١١٣٨ هـ/١٧٢٥ م، تم بناء البرج الثاني على الجهة الغربية للميناء، وأقام في كل برج ستة وثمانون من جنود المدفعية وستة وثلاثون من الجبجية[٢٢]

---

(١٨) Tsheibi, Travels in Palestine, P. 41

(١٩) Heyd, Ottoman Documents, P. 190

(٢٠) احمد بن طرباي الحارثي، امير اللجون، من قبيلة حارثة، كان شجاعاً وذا رأي وصاحب وفاء بالعهد تولى سنجق اللجون بعد وفاة ابيه، واستطاع ان يقف امام ابن معن وان يدحره في بعض المواقع، وقد لجأ اليه ابن سيفا هرباً من ابن جانبولاد حيث اكرم وفادته، وارسله معززاً مكرماً الى دمشق، وكانت وفاة الأمير احمد سنة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧.
انظر: محمد امين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١ هـ/١٦٩٩ م).
خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، ٤ ج، بيروت، ١٩٧٠، جـ ١، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
سيشار لهذا المصدر: المحبي، خلاصة الاثر.

(٢١) الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م). تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ط ٢، تحقيق اسد رستم وفؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٩٨ - ١٠٣.
سيشار لهذا المصدر: الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين

(٢٢) محمد عدنان البخيت، من «تاريخ حيفا العثمانية، دراسة في احوال عمران الساحل الشامي»، مجلة

٧ – برج يافا:(٢٣) كانت حامية البرج مكونة من أربعة جنود(٢٤)، وهذا العدد القليل من الجنود يبين لنا أن ميناء يافا في تلك الفترة لم تكن له أهمية تذكر، ويرى (B. Lewis) انه على الرغم من كون يافا محطة للقوافل التجارية والمسافرين في الفترة المملوكية إلا أن الخراب قد أصابها فيما بعد(٢٥).

٨ – برج عسقلان: مر به الرحالة والتاجر الأنجليزي Sandys وذكر وجود حامية عثمانية فيه(٢٦).

٩ – قلعة غزة: بنيت هذه القلعة في زمن السلطان سليمان القانوني ويستدل على ذلك من نقش على جدار القلعة جاء في نصّه: «أمر بإنشاء هذه القلعة السلطان سليمان ابن السلطان سليم بايزيد بن

مجمع اللغة العربية الأردني، م ١ ع ٢، مطبعة التوفيق، عمان ١٩٧٨، ص ١١٩ – ١٢٠، ١٣٣.

سيشار لهذا المرجع: البخيت، من تاريخ حيفا العثمانية:

Cohen, Amnon, Palestine in 18th Century, Jerusalem, 1973, P. 138, 140

سيشار لهذا المرجع: **Cohen PALESTINE IN 18TH Century**

والجبة جية، هم صانعوا الأسلحة، وكانت توجد اعداد منهم في مختلف القلاع.

وعرف رئيسهم بـ «جبة جي باشي»، وكان من مهامهم انتاج واصلاح الأسلحة وجلب الذخائر اللازمة للجند، وكانوا ايضاً يحرسوا وسائل نقل الجيش والمخازن اثناء الحرب.

انظر: جب، هاملتون وبون، هارولد، المجتمع الاسلامي والغرب، ٢ ج، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١، جـ ١، ص ٩٨.

سيشار لهذا المرجع، جب وبون، المجتمع الاسلامي والغرب.

(٢٣) هذا البرج من بناء المماليك، انظر:

Heyd, Uril, «A Turkish Description of coast of Palestine in the Early sixteenth century» Israel Exploration journal, vol. 6. No. 4, 1956. P. 207

سيشار لهذا المرجع: «A turkish Description»

(٢٤) مالية مدورة، ص ٢٤.

(٢٥) **LEWIS, B., Studies in Classecal and Ottoman Islam, London, 1976. p. 435.**

سيشار لهذا المرجع: **Lewis, Studies in Calssical and Ottoman Islam.**

(٢٦) Sandys, George, **A Relation of A journey, Begau Anno Domini, the 5th edition,** London, 1652, P. 118

سيشار لهذا المصدر: Sandys, A Relation of A Journey.

السلطان عثمان خلد الله ملكه وقدس شوكته وأعز دولته بحمده وأله »[٢٧]، وكانت تقيم في هذه القلعة سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م حامية مكونة من خمسة أفراد من المستحفظان، وواحد وثلاثين من الانكشارية، وتسعة جنود من المتفرقة[٢٨]، وقد جدد بناء القلعة أثناء ولاية علي باشا السلحدار[٢٩] على مصر (١٠١٠ هـ/١٠١٣ هـ - ١٦٠١ م/١٦٠٤)[٣٠]. وبلغ عدد الأفراد المقيمين بها سنة ١٠٧٠ هـ/١٦٦٠ م أربعة وأربعين جندياً[٣١]، ووجود مثل هذا العدد كان دليلاً واضحاً على أهمية هذه القلعة، لما توفره من حماية للقوافل التجارية وللمسافرين وخاصة من خطر البدو.

١٠ - قلعة خان يونس: أقيمت هذه القلعة بموجب المرسوم السلطاني الذي صدر سنة (١٦٠٢ م/١٦٠٣ م) من أجل توفير الحماية للمسافرين والقوافل التجارية من هجمات القبائل البدوية[٣٢]، ويذكر أحمد شلبي المصري: أن علي باشا السلحدار والي مصر قد بعث الى هذه القلعة أربعين فارساً وعشرين جندياً من المشاة للإقامة فيها، وعين لهم رواتب وما يكفيهم من المؤن[٣٣].

(٢٧) عبد الرحمن زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية اخرى، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٣٧ - ١٣٨، سيشار لهذا المرجع: زكي، قلعة صلاح الدين.

(٢٨) مالية مدورة، ص ١٨ - ٢٢.

(٢٩) كانت مدة ولايته من صفر ١٠١٠ هـ/ ربيع ثاني ١٠١٣ هـ/ - أب ١٦٠١/ايلول ١٦٠٤ كان شجاعاً كريماً، وسفاكاً لدماء المفسدين، حدث في زمن ولايته غلاء عظيم بسبب فيضان النيل، واستغل ذلك الوضع لصالحه فأخذ يبيع القمح للافرنج، الأمر الذي ادى الى ثورة العسكر عليه، انظر: أحمد شلبي بن عبد الغني المصري (ت ١١٥٠ هـ /١٧٣٧ م)،، **اوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٢٧. سيشار لهذا المصدر، ابن عبد الغني، أوضح الاشارات.

(٣٠) ابن عبد الغني، اوضح الاشارات، ص ١٢٨.

(٣١) Heyd, Ottoman Documents on PALESTINE, P. 190

(٣٢) Ibid, PP. 185 - 186

(٣٣) ابن عبد الغني، اوضح الاشارات، ص ١٢٨.

١١ – قلعة العريش: تم إنشاء هذه القلعة بموجب أمر سلطاني صدر سنة ٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م لصد غارات البدو المتكررة على المسافرين والقوافل التجارية، وكان أفراد حامية هذه القلعة يأخذون رواتبهم من إقطاعات قد منحت لهم في تلك المنطقة(٣٤)، ومما تجدر الإشارة إليه أن أحمد شلبي المصري يجعل بناء قلعة العريش زمن والي مصر علي باشا(٣٥) شوال ٩٥٦ هـ/محرم ٩٦١ هـ – تشرين ثاني ١٥٤٩/كانون الأول ١٥٥٣ م). وهذا الالتباس عند المؤلف يرجع الى عدم معاصرته للأحداث خاصة وانه ولد في أواخر القرن الحادي عشر الهجري وذكر أحمد شلبي المصري أن حامية هذه القلعة تتكون من الفرسان والمشاة(٣٦).

ب – سلسلة القلاع الداخلية:

١ – قلعة حلب: تعود القلعة في بنائها الى القرون الوسطى، وقد تعرضت للكوارث أكثر من مرة، وشهدت القلعة بعض التحسينات في أواخر الدولة المملوكية خاصة زمن السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م)، الذي أدرك أهمية هذه القلعة أثناء صراع الدولة المملوكية مع العثمانيين(٣٧). إلاّ أن ذلك

---

(٣٤) Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 103;
Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, P. 101

(٣٥) علي باشا الوزير قدم الى مصر في شوال ٩٥٦ هـ/١٥٤٩ م واقام بها والياً اربع سنوات ونصف السنة، وعزل في الخامس والعشرين من محرم سنة ٩٦١ هـ/كانون الاول ١٥٥٣ م، وكان حاكماً عادلا صالحاً محباً للفقراء والعلماء، له نشاطات عمرانية واسعة. انظر: ابن عبد الغني، **اوضح الاشارات**، ص ١١١.

(٣٦) المصدر ذاته، ص ١١١.

(٣٧) صبحي الصواف، «الأبواب السرية في حلب» **مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية**، م ١١ – ١٢، دمشق ١٩٦١ – ١٩٦٢، ص ١٠٧ – ١١٤، سيشار لهذا المرجع: الصواف، الأبواب السرية، شوقي شعب وحمود حريتاني، **قلعة حلب**، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق لا. ت. ص ١٨، ٢٤ – ٢٥، سيشار لهذا المرجع: شوقي **قلعة حلب**، وعن وصف القلعة وعمارتها، انظر: ما جاء عند: محمد بدر الدين الغزي (ت ٩٩٣ هـ/١٥٨٥ م) **المطالع البدرية في المنازل الرومية**، « مخطوط في مكتبة Koprulu تحت رقم ١٣٩٠، ورقة ٣٠ ب، سيشار لهذا المصدر، بدر الدين

لم يمنع من سقوطها بيد العثمانيين عند فتحهم لبلاد الشام. وازداد اهتمام العثمانيين بها بسبب وقوعها على الطريق بين العاصمة (استنبول) وولاياتها في بلاد الشام ومصر، ولمرور قوات الدولة بها أثناء توجهها الى حرب الصفويين، فأدخلوا عليها بعض التحسينات وشحنوها بالرجال والعتاد حتى أصبحت حاميتها من أكبر الحاميات في بلاد الشام، وكان عدد هذه الحامية سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م قد وصل الى أربعمائة وواحد وأربعين جندياً[٣٨]، وقد زاد هذا العدد قليلاً خلال فترة تسلط جند دمشق على مدينة حلب وريفها، إذ يذكر أبو الوفاء العرضي أن عدد جنود حلب الذين تجمعوا سنة ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩ م ليخلصوا حلب وريفها من تسلط عسكر دمشق بلغ خمسمائة جندي سلطاني[٣٩]، وقد حافظ عسكر حلب على الروح العسكرية وهذا غاية ما كانت تطمح إليه الدولة، وكان يشار للفرد منهم بالجندي السلطاني[٤٠]، ولقائدهم بالقائد السلطاني[٤١]، وذلك على عكس ما نجد عليه عسكر دمشق الذين صرفوا اهتمامهم الى مجال الحياة الاقتصادية مما أدى الى فقدانهم الروح العسكرية، وارتفع عدد عسكر قلعة حلب ليصل سنة ١٠٩٥ هـ/١٦٨٣ م الى ألف وأربعمائة جندي، من بينهم ثلاثمائة وخمسين من الانكشارية المدربين، وكان لديهم أربعون مدفعاً مختلفة الأحجام[٤٢].

الغزى، المطالع البدرية، وما جاء عند الرحالة الفرنسي Thevenot في رحلته المعروفه Travels into the levant, Book I, Part II. P. 31

(٣٨) مالية مدورة، ص ١٥٠ - ٢٠٤

(٣٩) ابو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب العرضي (ت ١٠٧١ هـ/١٦٦٠ م)، معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، مخطوط في BM. No: or 3618، ورقة ٨٣ ب. سيشار لهذا المصدر: العرضي، معادن الذهب.

(٤٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م١٦، قضية ٢، ص١٠٦، سنة ١٠٢٢ هـ/ ١٦١٣ م.

(٤١) سجلات محاكم حلب الشرعية. م١٨ قضية ١، ص ٣٨٢، سنة ١٠٣٤ هـ/١٦٢٣ م.

(٤٢) محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ ج، ط ١، المطبعة

٢ - قلعة حماة: وصفها بدر الدين الغزي الذي مرّ بحماة سنة ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م بأنها خراب[٤٣]، وعلى الرغم من خراب القلعة وعدم صلاحيتها للاستعمال فقد روى الخياري المدني الذي مرّ بمدينة حماة سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩ م: ان قافلة الحجاج عندما خرجت من حمص واقتربت من مشارف حماة استقبلها أمير حماة مع مجموعة من عساكره[٤٤] مما قد يوحي إلينا أنها كانت تستخدم ولو على نطاق ضيق.

٣ - قلعة حسيا: كان يقوم على حراسة هذه القلعة سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م سبعون جندياً[٤٥]، وفي هذا المكان كانت تنقطع مرافقة عسكر دمشق لقافلة الحجاج ليتولى حماية القافلة من بعدهم عسكر قلعة حسيا[٤٦].

٤ - قلعة النبك: أشير في سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م الى أحد بلوكباشيتها[٤٧] كانت مهمة عسكر هذه القلعة هي نفس المهمة الملقاة على عسكر قلعة حسيا وهي حماية قوافل الحجاج والقوافل التجارية المارة بذلك المكان ورد هجمات البدو عنها.

٥ - قلعة القسطل: بها برج للمراقبة كان الهدف منه رصد تحركات

العلمية، حلب، ١٩٢٣ - ١٩٢٦، جـ٣، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ (نقلا عن دارفيو) سيشار لهذا المرجع الطباخ، اعلام النبلاء

(٤٣) بدر الدين الغزى، المطالع البدرية، ورقة ٢٠أ.

(٤٤) ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت١٠٨٣ هـ/١٦٧٢ م) تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، ٣ ح، تحقيق رجاء محمود السامرائي، بغداد، ١٩٦٩ - ١٩٨٠، جـ١، ص ١٨١ - ١٨٣. سيشار لهذا المصدر: الخياري المدني، تحفة الأدباء، وينقل احمد مصطفى زكريا عن اوليا جلبي عند مروره بحماة سنة ١٠٥٨ هـ/١٦٤٨ م، ان عدد ما يجمع من سنجق حماة اثناء الحرب الفي جندي اكثرهم من اتباع ارباب التيمار والزعامات.

انظر: زكريا، جولة اثرية، ص ١٩.

(٤٥) مالية مدورة ص ١٢٦ - ١٣٢.

(٤٦) الخياري: تحفة الأدباء ج١ ص ١٨٠.

(٤٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م١، قضية ٢، ص ٦٤٣، سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م.

البدو، لتوفير الحماية للحجاج المارين بهذا المكان، كان يقوم على حراسة هذه القلعة سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م خمسة عشر جندياً من المستحفظان[٤٨].

٦ - قلعة دمشق: القلعة في بنائها الحالي تعود الى الفترة الأيوبية وأُدخل عليها بعض الترميات والتحسينات في العهد المملوكي، كما أنها نالت اهتمام العثمانيين ورعايتهم، وتتكون القلعة من اثني عشر برجاً ومزودة بشرفات حربية، ومرامي للنبال والأسلحة النارية[٤٩] وكانت حامية القلعة سنة ٩٦١ هـ/١٥٥٣ م تتكون من:

أ - أربعة عشر بلوكاً من طائفة المستحفظان، بلغ عدد أفرادها مائة واثنين وأربعين جندياً[٥٠]، وارتفع هذا العدد ليصل بعد أربع سنوات الى مائة وثمانين جندياً[٥١]، كان أفراد هذه البلوكات يتقاضون رواتب نقدية من خزينة الدولة، يتراوح راتب الفرد منهم ما بين ٤ - ٦ أقجات يومياً[٥٢].

ب - بلوكان من الطوبجية[٥٣]، وقدر عدد أفرادهما بستة وعشرين جندياً[٥٤] وكان يتقاضى كل فرد منهم راتباً نقدياً يتراوح بين ٥ - ١٠ أقجات يومياً[٥٥]. وانخفض

---

(٤٨) Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, p. 102.

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ القلعة ووصف بنائها، انظر: عبد القادر ريحاوي، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، دمشق، ١٩٦٩، ص ١٧٩ - ١٨٤.
سيشار لهذا المرجع: ريحاوي، مدينة دمشق.

(٥٠) مالية مدورة، ص ٨٧ - ٩٠.

(٥١) Bakhit, The Ottomance Province of Damascus, P. 10 1

(٥٢) Ibid: p 101.

(٥٣) الطوبيجية: رماة المدفعية. Bakhit, The Ottman of Damascus,, P. 101

(٥٤) مالية مدورة، ص ٩٠ - ٩١.

(٥٥) Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 101 - 102.

عـدد الطوبجيـة الى أحـد عشر جنـديـاً سنـة ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م[٥٦].

جـ - اثنا عشر فرداً من العربجية[٥٧]، الذين انخفض عددهم سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م الى سبعة أفراد فقط، وبلغ راتب العربجي اليومي ما بين ٥ - ٦ أقجات[٥٨].

د - احد عشر فرداً من الجبه جية، ولكن عددهم أخذ في التناقص الى أن وصل سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م الى ستة أفراد[٥٩]. كان الفرد منهم يتقاضى راتباً يومياً يتراوح ما بين ٥ - ٨ أقجات[٦٠].

هـ - عشر أفراد من المتفرقة كان راتب الواحد منهم يتراوح ما بين ٥ - ٨ أقجات يومياً[٦١]. ونستطيع القول أن جنود قلعة دمشق لم يقف عند هذا العدد بل زاد زيادة ملحوظة في السنوات التي تلت، وذلك لعدة أسباب منها: الأهمية الاستراتيجية لقلعة دمشق، حيث يتفرع من مدينة دمشق طريقان مهمان: أحدهما طريق تجاري ذو أهميـة اقتصـاديـة كـبرى بـالنسبـة للـدولـة وهو الطريـق الذاهب عبر فلسطين الى مصر والطريق الآخر ذو أهمية دينية كبرى وهو طريق الحج الشامي، إضافة الى أهميته الاقتصادية أيضاً، لذا كان لا بد من وجود قوة كافية في القلعة تكون مستعدة عند الحاجة إليها إذا ما تعرض

(٥٦) Ibid, P. 102

(٥٧) العربجية: استخدم العثمانيون المدافع المتحركة، لذا كان لا بد من وجود العربجية الذين توكل اليهم مهمة جر المدافع، وقد عرف قائدهم بالعربجي باشي.
انظر: جب وبون، المجتمع الاسلامي والغرب، جـ١، ٩٧ - ٩٨.

(٥٨) Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, p. 102

(٥٩) **Bakhit,** The Ottoman Province of Damasscus, p 102.

(٦٠) **Ibid**.p. 102

(٦١) Ibid, p. 102

أحد هذين الطريقين الى الخطر، خاصة بعد أن هجرت بعض قلاع طريق الحج، هذا بجانب الأهمية التي كانت تعلقها الدولة على عسكر دمشق في المساعدة في جمع الأموال السلطانية، خاصة من مدينة حلب وريفها، فقد ذكر أبو الوفاء العرضي سنة ١٠١٢ هـ/١٦٠٣م ان عدد جنود دمشق الذين كانوا في مدينة حلب عند حدوث المواجهة بينهم وبين عسكر قلعة حلب، يقارب الألف جندي(٦٢) وكان من مسؤولية القوة العسكرية مواجهة حركات العصيان المتكررة التي كان يقوم بها الزعماء المحليون، وقد قدرت عدد قوات دمشق التي خرجت لقتال الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م ما يقارب عشرة آلاف جندي(٦٣). من هنا كان لا بد من مرابطة قوات كبيرة في قلعة دمشق، ويعزز هذا الرأي ما تورده سجلات محاكم دمشق الشرعية من أسماء بعض الفرق العسكريه التي كانت ترابط في دمشق، كالفرقة الحادية والسبعين(٦٤)، والفرقة الثانية والستين(٦٥)، وفرقة القابوبولية الثالثة والثلاثين(٦٦). وعندما زار التاجر الفرنسي Thevenot مدينة دمشق سنة ١٦٦٤م، ذكر ان عدد جنود قلعتها يتراوح ما بين ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف انكشاري،

---

(٦٢) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٣أ - ٨٤ب.

(٦٣) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين، ص١٤٩.

(٦٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٣، قضية ٢١، ص١٧، ١٧ صفر ١٠٤٠ هـ/١٦٣٠م.

(٦٥) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٤ق٢، قضية ١٠٩، ص ٤٩، ٢ ربيع الثاني ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥م.

(٦٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية، (القسمة العسكرية)، م٨، قضية ١٠٤، ص ٥٢، ٨ شعبان ١٠٦٠ هـ/١٦٥٠م.

وكان هذا العدد ينقص حيناً ويزيد حيناً آخر(٦٧).

ونظراً لما تمثله قلعة دمشق من أهمية في نظر الدولة، فقد حاولت الدولة جاهدة المحافظة على نقاء قوات القلعة وعدم تسرب العناصر المحلية والغريبة (الطاط)(٦٨) الى صفوفها، كي تبقى هذه القوات محافظة على الروح العسكرية، وتمثل ذلك في مراسيم سلطانية وجهت الى ولاة دمشق (كما حدث سنة ٩٧٩ هـ/١٥٧١ م و٩٨٥ هـ/١٥٧٧ م) والتي كانت تنص على أن يملأ الولاة الوظائف التي تشغر بين صفوف الجند بعناصر رومية (تركية)(٦٩)، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً، فقد حدث تسرب من كلا الاتجاهين: السكان المحليين الذين أرادوا الاستفادة من الامتيازات الممنوحة للعسكر، والعسكر الذين وجدوا المجال مفتوحاً أمامهم لمشاركة الرعية في ممارسة مختلف وجوه النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي ترتب عليه إضعاف الروح العسكرية فيهم، مما اضطر الدولة الى تجديد حامية دمشق بين حين وآخر، كما حدث سنة ١٠٦٩ هـ/١٦٥٨ م عندما بعث الصدر الأعظم (محمد باشا كوبرلي)(٧٠) قوة من القابوقولية قدر عددها بثلاثمائة فرد للحلول محل حاميتها،

---

(٦٧) **Thevenot,** Travels into the Levant, book I, Part II,

(٦٨) الطاط: العناصر غير التركية كالأكراد والفرس.

انظر: Heyd, Ottoman Documents. p. 68

(٦٩) Ibid. **pp. 68 – 69; Bakhit. The Ottoman province of Damascus, p. 103; Rafeq,** Abdul – karim, The province of Damascus 1723 – 1783, Khyats, Bierut, 1966, p. 27

سيشار لهذا المرجع: Rafeq, The province of Damascus

(٧٠) محمد كوبرلي الوزير الأعظم في عهد السلطان محمد بن السلطان ابراهيم، كان قد تولى الأمور في وقت كانت فيه الأمور مضطربة فاستطاع بدهائه وبطشه ان يرسخ دعائم الدولة ويقضي على الكثير من حركات العصيان، اما على الجبهة الأوروبية فقد احرز انتصاراً باهراً سنة ١٠٦٧ هـ/١٦٥٦ م واشتهر عن هذا الوزير اعماله العمرانية، واصبحت هذه الأسرة عوناً للدولة بما كانت تخرجه من اداريين افذاذ خدموا الدولة العثمانية خدمة جليلة، وكان محمد كوبرلي قد ولي الشام سنة ١٠٥٦ هـ/١٦٤٦م كما ولي القدس وطرابلس، وكانت وفاته ١٠٧٢ هـ/١٦٦١م المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٣٠٩ – ٣١١،

Huart. Cl., «Koprulu», E. I¹, vol II, pp. 1059 – 1062

ونتيجة لهذا العمل علل المحبي فساد عسكر الشام[٧١]، وهكذا أصبح في دمشق نوعان من الانكشارية: الانكشارية التي كان ولاؤها للدولة وسميت بالقابوقول. والانكشارية التي حدث بينها وبين السكان ارتباط مصالح وسموا بالانكشارية المحلية (اليرلية)[٧٢]. ومع مرور الزمن زاد ارتباط المصالح بين الانكشارية المحلية والسكان. وبرز العديد منهم في مجالات مختلفة كان أهمها المجال الاقتصادي، ولم ينحصر اهتمامهم في دمشق بل تعدى ذلك الى ولاية حلب خاصة عندما أوكل الى عسكر دمشق جمع الأموال السلطانية من ولاية حلب، الأمر الذي أدى الى ثرائهم، حتى أن بعضهم فضل الإقامة في حلب وريفها على العودة الى دمشق[٧٣]. وبلغ من أهمية الانكشارية المحلية أن أوكل الى بعضهم إمارة قافلة الحج عدة مرات[٧٤]، وبرز من بين صفوفهم زعماء مشهورون مثل: كيوان بلوكباشي، وكورد حمزة بلوكباشي اللذان تزعما جند دمشق لفترة من الزمن[٧٥]، وعبد السلام المرعشي وعلي بن الارناؤوط وحسن التركماني وكثيرون غيرهم[٧٦]. وقد زادت المصاهرة من الارتباط بين الانكشارية والسكان، وأصبح زعماء الانكشارية المحلية، في نظر أفراد الرعية، هم المدافعين عن مصالحهم، فالتفوا حولهم وساندوهم ضد قوات القابوقول وضد الولاة الجدد، الذين كانوا أبرز الأعداء في نظر الانكشارية المحلية لمحاولتهم سلبهم ما حصلوا عليه من مكاسب.

---

(٧١) المحبي. خلاصة الأثر جـ٤، ص ٣١١.

(٧٢) عبد الكريم رافق، «مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر».
دراسات تاريخية، العدد الاول، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٠، ص ١٨٦ - ١٨٩، سيشار لهذا المرجع: رافق، «مظاهر من الحياة العسكرية».

(٧٣) **Bakhit, «Aleppo and Ottoman Military in the sixteenth century»**, AL - Abhath, vol. XXVII, A. U. B, Beirut, 1978/1979, pp. 30 - 31
سيشار لهذا المرجع: Bakhit, «Aleppo and Ottoman Military»

(٧٤) انظر ص ١٠١ - ١٠٧ من هذه الدراسة.

(٧٥) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين، ص ١٣٦.

(٧٦) انظر ص ١٠٤ - ١٠٧ من هذه الدراسة.

يتفرع من مدينة دمشق طريقان رئيسيان: أحدهما يتجه غرباً عبر فلسطين الى القاهرة، ولهذا الطريق أهمية خاصة وذلك لمرور القوافل التجارية عبره، كما أنه كان طريق الخزنة المصرية، بالاضافة الى سلوك العديد من المسافرين لهذا الطريق، لذا كان من واجب الدولة أن توفر الحماية لهم، خاصة من خطر البدو واللصوص وقطاع الطرق، فقامت الدولة بانشاء مجموعة من القلاع على طول هذه الطريق تبدأ بدمشق وتنتهي بغزة وأهم قلاع هذا الطريق:

١ - قلعة القنيطرة: كان يقيم في هذه القلعة سنة ٩٧٢ هـ/١٥٦٤ م ثلاثة وخمسون جندياً[٧٧]، وأعيد تجديدها سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢١ م[٧٨] كانت المهمة الموكلة لعسكرها تقديم الحماية للمسافرين[٧٩]، وربما أوكل الى عسكرها أيضاً مهمة جمع الضرائب من القرى الموجودة حول القلعة، هذا ما نستنتجه من قول الخالدي الصفدي عندما وجد أن الكثير من القرى حول القنيطرة قد آلت الى الخراب بسبب تعسّف عسكر قلعة القنيطرة[٨٠].

٢ - قلعة جينين: إستجابة لرغبات والتماسات صنجقي اللجون ونابلس، أصدر السلطان أمره سنة ٩٧٢ هـ/١٥٦٤ م، ببناء قلعة في جينين[٨١] وكان يقيم في هذه القلعة سنة ١٠٧٠ هـ/١٦٦٠ م أربعون تفنكجيا (حملة البنادق) وعشرة من المستحفظان[٨٢].

٣ - قلعة نابلس: شاهد الرحالة العثماني اوليا جلبي بقايا قلعة على

---

(٧٧) مالية مدورة، ص١٠٣ - ١٠٦.
(٧٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين، ص ١٠٦.
(٧٩) المصدر ذاته ص ١٠٦.
(٨٠) المصدر ذاته، ص. ١٠٦.
(٨١) **Heyd**, Ottooman Documents, pp. 104 - 105
(٨٢) Ibid, p. 190

جبل عيبال، كما شاهد معسكراً للانكشارية هناك(٨٣).

٤ - قلعة رأس العين: جدد بناء هذه القلعة سنة ٩٨١ هـ/١٥٧٣ م وأقامت فيها حامية مكونة من مائة فارس بالاضافة الى ثلاثين من طائفة المستحفظان(٨٤) إلا أن عدد جنودها أخذ في التناقص الى أن وصل هذا العدد سنة ١٠٧٠ هـ/١٦٦٠م الى أربعة وخمسين فارساً(٨٥).

٥ - قلعة القدس(٨٦): تعتبر أهم قلعة على هذا الطريق لما توفره من أمن وحماية لقوافل التجار والمسافرين والحجاج، لذا كان اهتمام سلاطين بني عثمان منصبا على تقوية سورها وتحسين قلعتها، فسور المدينة الحالي وبعض أبراجه يعود تاريخ بنائه الى سنة ١٥٣١ م - ١٥٤١ م، أي إبان فترة حكم السلطان سليمان القانوني(٨٧)، وترتفع القلعة بين باب الخليل وباب النبي داود على مرتفع صخري يشرف على القسم الغربي والجنوبي من مروج القدس(٨٨). كانت حامية القلعة سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م مكونة من ثلاثة وسبعين فرداً من المستحفظان، واثنين وعشرين نفراً من المتفرقة(٨٩)، وعندما مر بها اوليا جلبي سنة ١٠٥٨ هـ/١٦٤٨م وصف قلعتها: بأنها واسعة، وان الذي أمر ببنائها السلطان سليم

---

(٨٣) **Tshelebi,** Travels in Palestine, p. 48.

(٨٤) **Bakhit,** The Ottoman province of Damascus, p. 104

(٨٥) **Heyd, Ottoman** Documents, p. 180

(٨٦) لمزيد من المعلومات عن تاريخ بناء قلعة القدس وسورها في العهدين الأيوبي والمملوكي، انظر: رشاد الإمام، مدينة القدس في العصر الوسيط (١٢٥٣ - ١٥١٦م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٨٧) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، جـ١، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٦١، ص ٢٦٩. سيشار لهذا المرجع، العارف، المفصل، وانظر كذلك: الأبنية الأثرية في القدس، نشرة اصدرتها المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس، ترجمة وتقديم اسحق موسى الحسيني، مطبعة دار الأيتام الاسلامية، القدس، ١٩٧٧، ص ٢٠ - ٢١

(٨٨) العارف، المفصل، ص ٢٦٩.

(٨٩) مالية مدورة ص٢ - ١٣،

Bakhit, The Ottoman province of Damascus, p. 104

(ت ٩٢٩ هـ/١٥٢٠ م) إلا أنه شاهد نقشاً على أحد أبواب السور وهو باب المغاربة يرجع تاريخه الى عهد السلطان سليمان القانوني وهذا نصه: «أمر بانشاء هذا الباب السلطان الأعظم، السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان خلّد الله ملكه بتاريخ محرم الحرام في سنة سبع وأربعين وتسعماية»، ووجد أن هذا النقش قد كتب على كل أبواب وأبراج القلعة بخط واضح(٩٠). وذكر هذا الرحالة أيضاً أن عدد جنود القلعة كان يبلغ مائتي جندي يترأسهم دزدار القلعة(٩١)، ولكن عدد جنودها أخذ في التناقص الى أن وصل سنة ١٠٧١ هـ/١٦٦٠م الى تسعين جنديا(٩٢)، وعندما مرّ الخياري المدني بمدينة القدس سنة ١٠٨١ هـ/١٦٧٠ م وصف قلعتها بالشموخ وإحكام البناء، إلا أنه لم يشر الى وجود قوات عثمانية فيها(٩٣).

٦ - قلعة البرك (أو قلعة مراد): تم بناؤها في عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م - ١٠٤٩ هـ/١٦٣٩ م)، وكان الهدف من إنشائها حماية برك الماء المعروفة ببرك سليمان والمحافظة عليها للحيلولة دون إفسادها(٩٤). وتقع هذه البرك بالقرب من القلعة ويشرب منها سكان القدس، وكان السلطان مراد قد وضع في هذه القلعة أربعين جندياً في حوزتهم عدد من المدافع(٩٥).

٧ - قلعة الخليل: كان يقوم على حراسة هذه القلعة سنة

---

(٩٠) Tshelebi, Travels in Palestine, pp. 63 - 64.

(٩١) Ibid, p. 62

دزدار القلعة: قائد القلعة.

انظر: Heyd, Ottoman Documents, p. 20, pp. 107 - 109

(٩٢) Ibid, p. 192.

(٩٣) الخياري المدني، تحفة الأدباء، جـ٢، ص١٧٥.

(٩٤) الخياري المدني، تحفة الأدباء، جـ٢، ص١٩٦، العارف، المفصل ص٢٦٩.

(٩٥) العارف، المفصل، ص ٢٦٩.

٩٧٤ هـ/١٥٦٦م ثلاثة وثلاثون جندياً[٩٦]، وبقي هذا العدد ثابتاً حتى سنة ١٠٧١ هـ/١٦٦٠م[٩٧].

٨ - قلعة بيت جبرين: تقع الى الشمال الغربي من الخليل وكانت حاميتها سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م تتكون من أربعين جندياً[٩٨]، وزاد هذا العدد ليصل سنة ١٠٧١ هـ/١٦٦٠م الى ستين جندياً تدعمهم المدافع[٩٩]، وتدل هذه الزيادة على الخطر الذي كان يتعرض له المسافرون والتجار.

وعلى الطريق الى مكة (طريق الحج الشامي) قام العثمانيون بترميم بعض القلاع وبناء قلاع جديدة على هذا الطريق، وكان الهدف من ذلك المحافظة على راحة الحجاج وتقديم المساعدة لهم وتأمين حمايتهم خاصة من خطر الهجمات البدوية، وأهم قلاع هذا الطريق:

١ - قلعة المزيريب: أمر السلطان سليمان القانوني سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣م ببناء قلعة في قرية المزيريب حيث يلتقي الحجاج في هذا المكان[١٠٠] وأولكت حمايتها الى خمسة وأربعين جندياً من المستحفظان وستة أفراد من المتفرقة[١٠١].

٢ - قلعة بصرى: كانت حاميتها تتكون من مائة من المستحفظان ومائة من الانكشارية[١٠٢] وان وجود مثل هذا العدد من الجنود

---

(٩٦) مالية مدورة، ص١٤ - ١٦.

Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, p. 104.

(٩٧) **Heyd**, Ottoman Documen ts, p. 190

(٩٨) **Bakhit**, The Ottoman Province of Damascus, p. 104

(٩٩) **Heyd**, Ottoman Documents, p. 190

(١٠٠) **Bakhit**, The Ottoman Province of Damascus, p. 105;
Barbir, Karl, Ottoman Rule in Damascus 1708 - 1758, Princeton University Press, 1980. p. 134
سيشار لهذا المرجع: Barbir, Ottoman Rule

(١٠١) مالية مدورة، ص ٦٠ - ٦٥

(١٠٢) **Bakhit**, The Ottoman Province of Damascus, p. 105;
Barbir, Ottoman Rule. p. 136

لهو دليل على الأهمية التي كانت تعلقها الدولة على هذه القلعة، لا سيما وأنها قريبة من المناطق التي يكثر فيها تجمع القبائل البدوية. وكان عسكر القلعة يقدمون خدمات إضافية الى الحجاج، منها تجميع الجمال لسد حاجة القافلة[١٠٣]

٣ - قلعة الزرقاء: وفي هذا المكان حيث يستريح الحجاج، أمرت الدولة ببناء قلعة لحماية الحجاج وتوفير الأمن لهم، وتشير وثيقة عثمانية يعود تاريخها الى سنة ١١٥٥ هـ/١٧٤٢ م الى وجود هذه القلعة[١٠٤]

٤ - قلعة خان الزبيب: قامت الدولة ببناء هذه القلعة بسبب تكاثر البدو في هذه المنطقة، وخطورتهم على قوافل الحج، وقد أشارت الوثيقة العثمانية المتقدم ذكرها الى هذه القلعة[١٠٥]

٥ - قلعة القطرانة: أمر ببنائها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م[١٠٦] لحماية الحجاج من خطر البدو، وزودت هذه القلعة بالماء والشعير والتبن للتسهيل على الحجاج وعلى دوابهم، وعندما مر بها الخياري المدني سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩ م وصف قلعتها بالعظمة ودقة البناء، إلاّ أنه لم يشر الى وجود حامية فيها، وكل ما أشار إليه هو قوله: «.... وبها جماعة من أهلها مقيمون بها يبيعون منها التبن... والشعير المعبوك»[١٠٧]

---

(١٠٣) Bakhit, The Ottoman provence of Damascus. p. 105

(١٠٤) «بيان دفتر الشعير المعبوك المخزون في قلاع طريق الحاج الشريف ذهاباً واياباً سنة ١١٥٥ هـ»، متحف طوب قبو رقم .(E2025)

(١٠٥) الوثيقة ذاتها

(١٠٦) محمد بن محمد بن محمد نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١ هـ/١٦٥١ م)، **الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة**، ٣ ج، تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٤٥، اعادت تصويره بالاوفست دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩. مجـ، جـ٣، ص ١٥٦ - ١٥٧، سيشار لهذا المصدر نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**.

(١٠٧) الخيارى المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص ٨٥.

٦ - قلعة معان: بنيت هذه القلعة في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م[١٠٨]، حيث أصبحت توفر الأمن والحماية للحجاج ويبدو أن حامية القلعة قد تركتها، فعندما مرّ بها الخياري المدني سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩ م لم يشر الى وجود حامية، وإنما أشار الى جماعة من البدو كانوا يسكنون القلعة، وعلل ذلك الأمر باهمال الدولة لها[١٠٩]، ونستطيع أن نستخلص من رواية أخرى يوردها الخياري المدني، ان الدولة استعانت ببعض القبائل البدوية المجاورة للقلعة لحماية الحجاج في تلك المنطقة، مقابل أن يدفع لها مبلغ سنوي من المال يعرف بـ« الصرة »، وهذا يفسر الشجار الذي نشب بين جماعتين بدويتين عند القلعة، إحداهما تريد الفتك بالحجاج ونهب ما معهم، والأخرى تحاول منع الأولى بالقوة، وسبب منعها هو إطاعتها للدولة وأخذ صرتها[١١٠]، مقابل ذلك.

٧ - قلعة العقبة: تقع هذه القلعة على طريق الحج المصري وتعود في بنائها الى عهد السلطان المملوكي قانصوه الغوري[١١١]، وقد أعيد ترميمها زمن السلطان مراد الثالث (٩٨٢ هـ/١٥٧٤ م - ١٠٠٣ هـ/١٥٩٤ م). ويشير الى ذلك ما وجد منقوشاً داخل القلعة وهذا نصه: «لمولانا السلطان الملك الأشرف مراد بن سليم عزّ نصره جدّد هذه القلعة» وتاريخ هذا النقش سنة

(١٠٨) نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٣، ص١٥٧.

(١٠٩) محمد بن عبدالله بن محمد الحسني المشهور بابن كبريت (ت١٠٧٠ هـ/١٦٦٠ م)، رحلة الشتاء والصيف، ط٢، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، مطابع المكتب الاسلامي، بيروت، ١٣٨٥ هـ، ص٢٣٢. سيشار لهذا المصدر، ابن كبريت رحلة الشتاء والصيف، الخياري المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص٨٤.

(١١٠) الخياري المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص٨١.

(١١١) محمد بن احمد بن اياس الحنفي (ت٩٣٠ هـ/١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور،الأجزاء من ٢ - ٥، تحقيق محمد مصطفى القاهرة، ١٩٦١ - ١٩٦٣، جـ٤، ص١٣٣. سيشار لهذا المصدر: ابن اياس، بدائع الزهور.

٩٩٦ هـ/١٥٨٧ م[١١٢].

٨ - قلعة ذات حج: وهي من القلاع التي أمر السلطان سليمان ببنائها سنة ٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م[١١٣]، ومن خلال أبراجها العالية كان «يرى ما حولها من محط الحاج وخيامهم وسوقهم القائم فيها»[١١٤]، وذكر الخياري المدني أن حامية هذه القلعة وهم من انكشارية الشام ثابتون لا يتغيرون كل عام[١١٥].

٩ - قلعة تبوك: بنيت سنة ٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م[١١٦]، وتقع هذه القلعة على منتصف الطريق بين مكة ودمشق، وتحيط بالقلعة منازل العربان[١١٧] لذلك كان من الضروري وجود حامية فيها، تصد عن الحجاج خطر هجمات العربان، وقد جدّد بناء هذه القلعة سنة ١٠٦٤ هـ/١٦٥٣ م فأوكلت الدولة الى ابن الناشف[١١٨] أمر تعميرها، فاصطحب معه جماعة من عسكر دمشق وبعض البنائين وعمّرها عمارة متقنة[١١٩]، وينقل لنا الخياري المدني نص النقش الذي يؤرخ بناءها كما يلي:

«أمر بتعمير وتجديد هذه القلعة المباركة مولانا السلطان محمد

---

(١١٢) زكي، قلعة صلاح الدين، ص ١٣٦، محمود العابدي، الاثار الاسلامية في فلسطين والأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٣، ص ٢٧٧ - ٢٧٨. سيشار لهذا المرجع: العابدي. الآثار الاسلامية.

وانظر كذلك: **Glidden, «Al - Akaba»,** E. I². vol, I, P. 315

(١١٣) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، جـ٣ ص ١٥٧، ابن كبريت رحلة الشتاء، ص ١٣٣.

(١١٤) الخياري المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص ٧٧ - ٧٨.

(١١٥) المصدر ذاته، ص ٧٨.

(١١٦) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، جـ٣، ١٥٧.

(١١٧) ابن كبريت، رحلة الشتاء، ص ٢٣٥.

(١١٨) محمد بن محمود الشهير بابن الناشف الدمشقي، ولد سنة ١٠٠٧ هـ /١٥٩٨ م، واصبح إحد الأعيان وكاتباً للجند الشامي، وأرسلته الدولة في بعض المهات، وتولى خدمة التذاكر المتعلقة بالزعماء، وارباب التيارات وصارت له كلمة نافذة واعطي قرى ومزارع وتيارات وجمع الكثير من الكتب النفيسة والخيول والأمتعة. وكانت وفاته سنة ١٠٧٤ هـ/١٦٦٣ م.
انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(١١٩) المصدر ذاته، ص ٢١٥.

خان عزّ نصره على يد العبد الضعيف محمد بن الناشف التذكرجي سنة أربع وستين وألف »[١٢٠]، كما شاعد الخياري المدني بعض المدافع على سطح القلعة وشاهد العديد منها وهو يرمي عندما وصل الحجاج الى القلعة[١٢١]، وفي هذا المكان كانت تتم الملاقاة من قبل أمير الجردة. ففي سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م يذكر أن الأمير موسى التركماني قد قابل القافلة في هذا الموقع[١٢٢].

١٠ - قلعة الأخيضر: تم بناء هذه القلعة في عهد السلطان سليمان القانوني[١٢٣] لتوفير الحماية للحجاج وللمحافظة على صلاحية برك الماء التي يردها الحجاج، والموجود بالقرب من القلعة، وعدم تمكين البدو من العبث بها[١٢٤]. وعندما مرّ بها الخياري المدني سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م رأى فيها حامية من انكشارية دمشق قوامها عشرون جندياً يغيرون كل سنة[١٢٥]، وقد سمح لأفراد الحامية بالمتاجرة مع الاعراب، فكانوا يشترون منهم الأغنام والسمن والأعشاب وكل ما يحتاجونه، ويدخرونه لموسم الحج فيبيعونه للحجاج[١٢٦].

١١ - قلعة المعظم: كان الدافع لبناء هذه القلعة الرغبة في حماية الحجاج وقد أوكل أمر بنائها سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م للأمير

---

(١٢٠) الخيارى المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص٧٣.
(١٢١) الخيارى المدني تحفة الأدباء جـ١، ص٧٣.
(١٢٢) الأمير موسى بن محمد الشهير بابن تركمان حسن، اشتهر بشجاعته وبسالته، كان في بادىء امره احد الأجناد ثم تنقل في المناصب الى ان صار كتخذا الجند الدمشقي، وولي امارة بلاد عجلون فاحسن السياسة، كما وجهت له امارة الحج عدة مرات، وقد اظهر مدى مقدرته على ضبط شؤون القافلة، والحد من تجاوزات الأعراب عليها. وقد عقد صداقات مع بعض القبائل البدوية. وكانت وفاته سنة ١٠٨١ هـ/١٦٧٠م. انظر المحبي، خلاصة لأثر، جـ٤، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.
(١٢٣) ابن كبريت، رحلة الشتاء، ص ٢٣٥.
(١٢٤) المصدر ذاته، ص ٢٣٥.
(١٢٥) الخيارى المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص ٥٠ - ٥١
(١٢٦) المصدر ذاته، ص ٥١.

فروخ باشا[١٢٧] أمير الحاج الشامي وقد أمده السلطان بخمسين ألف قرش للمباشرة في بنائها[١٢٨]. فتوجه الأمير فروخ في شوال سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠م الى الحج ومعه المعماريون لعمارة القلعة، إلا أن الأمير فروخ توفي في مكة في هذه السنة[١٢٩]، ورغم ذلك فقد تم بناؤها بعد وفاته بسنة[١٣٠]. وحيث أن القلعة كانت تعتمد على ماء المطر فقط فإنه ما ان انحبست الأمطار عنها حتى هجرتها حاميتها، فشارفت القلعة على الدمار[١٣١]. ولما شاهد الخياري المدني حال القلعة سأل من لقيه هناك عن سبب هجرها فأجابه: «أنه أقام بها بعد عمارتها جماعة من العساكر السلطانية سنين عديدة يكتفون بماء السماء، فلما شحت بعد السخاء وأعقبهم بعد الري الظمأ ترحلوا عنها واستوطنوا غيرها عوضاً منها»[١٣٢].

١٢ - قلعة العلى: بنيت هذه القلعة زمن ولاية عيسى باشا[١٣٣] على

---

(١٢٧) الأمير فروخ بن عبدالله امير الحاج، كان في الأصل من مماليك الأمير بهرام ابن مصطفى باشا شقيق الأمير رضوان حاكم غزة، وبعد وفاة سيده عظم صيته واشتهر بشجاعته وسخائه، ولي سنجق نابلس وامارة الحاج وصرف جهده في حراسة الركب، ولم يزل في هذا المنصب الى ان توفي بمكة المشرفة سنة ١٠٣٠ هـ /١٦٢٠م. انظر: المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٣، ص ٢٧١.

(١٢٨) الخالدي الصفدي، **تاريخ الامير فخر الدين**، ص ٩٥.

(١٢٩) المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٣، ص ٢٧١.

(١٣٠) ابن كبريت، **رحلة الشتاء**، ص ٢٣٥.

(١٣١) الخياري المدني، **تحفة الأدباء**، جـ١، ص ٤٧ - ٤٨.

(١٣٢) الخياري المدني، **تحفة الأدباء**، جـ١، ص ٤٨.

(١٣٣) عيسى باشا الرومي، كان والياً لحلب، واحسن السيرة فيها، ثم ولي دمشق مرتين، واشتهر بعلمه وتقربه، من الصوفية ولبس الخرقة القادرية، وكان قد اصدر اوامره لسكان القرى والأرياف، ان لا يعطوا الصوباشية والا القضاة ولا ارباب التيمار شيئاً ولا يعلقوا على خيولهم. كانت وفاته سنة ٩٥٠ هـ/١٥٤٣م. انظر: نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، جـ٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٦. بينما يجعل كل من ابن جمعة والقاري تاريخ وفاته سنة ٩٤١ هـ /١٥٣٤م. انظر: محمد بن جمعة المقار (ت ح١١٥٦ هـ /١٧٤٣م)، **الباشات والقضاة في دمشق**، تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد، نشر ضمن كتاب **ولاة دمشق في العهد العثماني**، دمشق، ١٩٤٩، ص١١، ١٣، سيشار لهذا المصدر ابن جمعة، **الباشات**، رسلان بن يحي القاري (من اهل القرن الثالث عشر الهجري)، **الوزراء الذين حكموا دمشق**)، نشره المنجد ضمن كتاب **ولاة دمشق في العهد العثماني**، دمشق،، ١٩٤٩، ص ٧٣. سيشار لهذا المرجع، القاري، الوزراء الذين حكموا دمشق.

دمشق (الأولى سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م، الثانية سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م)، عندما رفع إليه أهل العلى ما حل بهم من الضرر بسبب غارات العربان عليهم فأمر الوالي ببناء القلعة، ووضع فيها حامية لحراسة المنطقة، وكان أفراد الحامية يتقاضون رواتبهم من الضرائب التي فرضت على سكان القرية وعلى نخيلها، إلا أن هذا الأمر لم يجد إذ تركت الحامية القلعة، وترتب على ذلك زيادة الظلم والتجاوز على سكان القرية من قبل العربان[١٣٤]. وكانت أحكام الشام تنقطع عند هذه القلعة[١٣٥].

على الجبال الداخلية وبمحاذات طريق الحج وجدت أربع قلاع، كان الهدف منها توفير الحماية للمرات القريبة منها، وتوفير الأمن للمناطق التي تجاورها، وهذه القلاع هي:

١ - قلعة عجلون: تمتاز القلعة بموقعها الحصين، وقد أدخل العثمانيون عليها بعض التحسينات[١٣٦]، وبلغ عدد حاميتها سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م، خمسين جندياً[١٣٧]، وخلال فترة النزاع بين الأمير فخر الدين المعني الثاني وأحمد بن طرباي كانت القلعة في ذلك الوقت دون حامية، مما دعى الأمير ابن معن أن يضع فيها سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م اثنين من بلوكباشيته على رأس مجموعة من السكبان، وزود القلعة بالمؤن والعتاد[١٣٨]، ولكن لم يطل بهم المقام فيها، إذ سرعان ما هربوا منها عندما نفذت مؤونتهم.

(١٣٤) ابن كبريت، رحلة الشتاء - ص ٢٣٦ - ٢٣٧.
(١٣٥) نفس المصدر، ص ٢٣٧.
(١٣٦) لمزيد من المعلومات والتفاصيل عن تاريخ بناء القلعة وعمارتها، انظر: حنان الكردي، القلاع الاثرية في الأردن، عمان، لا. ت، ص ٢٢ - ٢٦، سيشار لهذا المرجع: الكردي، القلاع.
(١٣٧) **Bakhit,** The Ottoman province of Damascus, p. 105
(١٣٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢.

٢ - قلعة السلط:[١٣٩] كانت حامية القلعة سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣م تتكون من خمسة وثلاثين من المستحفظان وثمانية من المتفرقة[١٤٠]، ووقعت هذه القلعة تحت نفوذ ابن معن، فقد أرسل إليها بعض سكبانيته سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م[١٤١]، إلا أنهم سرعان ما هربوا منها بسبب نفاذ المؤونة.

٣ - قلعة الكرك:[١٤٢] كانت حاميتها سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م تتكون من ستة وستين من المستحفظان، وأحد عشر فرداً من المتفرقة[١٤٣]، ويبدو أن هذه القلعة قد أصبحت في القرن السابع عشر ملجأ للعصاة، الأمر الذي جعل والي دمشق يهاجم القلعة ويحاصرها سنة ١١٢٢ هـ/١٧١٠م، ويضع لغماً تحت سورها تسبب في سقوط جزء كبير منه[١٤٤].

٤ - قلعة الشوبك[١٤٥]: تمتاز القلعة بموقعها الحصين، وكانت حاميتها سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣م تتكون من ثمانية وستين من المستحفظان وستة من المتفرقة[١٤٦]، إلا أن يد الاهمال تسربت للقلعة حتى أصبحت مأوى للفلاحين. فقد ذكر الخالدي الصفدي في أحداث

---

(١٣٩) عن تاريخ بناء القلعة وعمارتها، انظر: الكردي، القلاع، ص ٢٨ - ٢٩.
(١٤٠) مالية مدورة، ص ٤٦ - ٤٩.
(١٤١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٨٤. ٢٠١.
(١٤٢) لمزيد من التفاصيل المعارية عن القلعة وتاريخ بنائها انظر: محمد عدنان البخيت، مملكة الكرك في العهد المملوكي، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، ١٩٧٦، سيشار لهذا المرجع، البخيت، مملكة الكرك، كذلك يوسف درويش غوانمة، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك، ٢ ح، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٩، جـ١، ص ٢١١ - ٢٢٠. سيشار لهذا المرجع: غوانمة، تاريخ شرقي الأردن.
(١٤٣) مالية مدورة، ص ٢٨ - ٣٥.
Bakhit, The Ottomane province of Damascus, p. 105
(١٤٤) ابن جمعة، الباشات، ص ٥٣.
(١٤٥) عن بناء هذه القلعة وتاريخها انظر: البخيت، مملكة الكرك، ص ٥، غوانمة، تاريخ شرقي الأردن، جـ٢، ص ٢٠٣ - ٢١١.
(١٤٦) مالية مدورة، ص ٣٦ - ٤٣.
Bakhit. The Ottoman province of Damascus, p. 105

سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م، أن الأمير علي بن فخر الدين المعني قد لجأ إليها وأقام فيها عشرة أيام دون أن يتعرض للفلاحين الذين كانوا يسكنوها[١٤٧].

وعلينا أن نشير هنا الى قلعتين لهما أهمية استراتيجية وأمنية هما:

١ - قلعة صفد: وهي إحدى القلاع الكبيرة في بلاد الشام، مع العلم أنه لم يرد لها ذكر في «فهرست قلاع ولاية عرب - مالية مدورة رقم ٣٧٢٣ سنة٩٦١ هـ - ٩٧٤ هـ/١٥٥٣ - ١٥٦٦ م»، ولكن النصوص التاريخية تسعفنا في هذا المجال، فقد كان يرابط في هذه القلعة قوات كبيرة صحبت حاكمها درويش بك بالاضافة الى مجموعة كبيرة من قوات السكبانية، وعندما عزلت الدولة هذا الحاكم عن صفد في حدود سنة ١٠٠٧ هـ/١٥٩٨ م. رفض الاذعان للأمر، وصمم على محاربة حاكم صفد الجديد ومنعه من دخول المدينة، وساعدته في ذلك قوات السكبانية، ولم يخرج من صفد إلا بعد أن سيرت له الدولة قوة كبيرة من عسكر دمشق أجبرته على الخروج من المدينة[١٤٨].

٢ - قلعة سلمية: تقع الى الشرق من حماة في منطقة تكثر فيها القبائل البدوية، خاصة عرب الحيارى. كانت حامية القلعة سنة ٩٦٦ هـ/١٥٥٨ م مكونة من تسعة وثمانين جندياً[١٤٩]. وان وجود مثل هذا العدد من العسكر يدل دلالة واضحة على أهمية المنطقة وضرورة توطيد الأمن فيها.

إضافة الى القوات العسكرية المرابطة في القلاع داخل مدن الشام

(١٤٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٦.

(١٤٨) الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤ هـ/١٦١٥ م)، تراجم الأعيان من ابناء الزمان، ٢ ج، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٩ - ١٩٦٣، جـ٢، ص ٢٥٩ - ٢٦٠. سيشار لهذا المصدر، البوريني، تراجم الأعيان.

(١٤٩) مالية مدورة، ص ١٣٤ - ١٤١.

وخارجها، وتعرف باسم المستحفظان أو الانكشارية وتتقاضى رواتبها النقدية مرة كل ثلاثة أشهر، إضافة الى هذه القوات فقد كان لدى الدولة قسم آخر من القوات موزع في الأرياف، وقد عرفت تلك القوات اصطلاحاً باسم «السباهية». وكان أفرادها يحصلون على رزقهم من إقطاعات تمنحها لهم الدولة عرفت باسم «التيمار»، وكانت قوات السباهية على مراتب، أعلاها رتبة يعرف بالزعيم، وكان يمنح اقطاعاً يطلق عليه اسم «زعامت»[١٥٠] والمردود السنوي لهذا الاقطاع لا يقل عن عشرين ألف أقجة، ثم التيماري الذي كان تيماره على نوعين: تيمار بتذكرة وتيمار بدون تذكرة. والمقصود بتيمار التذكرة هو التيمار الذي يمنح بموجب براءة من السلطان، ولا يقل مردود هذا التيمار عن ستة آلاف أقجة[١٥١]، فعلى سبيل المثال تصرف إبراهيم بيك المتفرقة السلطاني في زعامته بقرية الوضيحي، بموجب براءة حصل عليها من السلطان،[١٥٢] أما تيمار بدون تذكرة فمنحه من صلاحيات الوالي. وكان مردود التيمار أقل من ستة آلاف أقجة سنوياً[١٥٣].

وقد أدى وجود هيئتين في الدولة لمنح البراءة الى خلق العديد من المشاكل للحاصلين على بعض التيمارات، ففي بعض الأحيان كان يعطى نفس التيمار لأكثر من شخص واحد أو يعطي جزءاً من تيمار سبق أن أعطي تيمار كاملا لغيره... وهكذا. وعندما كان يتعذر حل الإشكال بين هؤلاء فإنهم كانوا يرفعون أمرهم الى القاضي للفصل في الأمر، فقد مثل أمام قاضي حماة في أواسط ذي الحجة سنة ٩٨٧ هـ/١٥٧٩ م كل

---

(١٥٠) Lewis, «Studies in the Ottoman Archives – 1» p. 482; Lewis, Ottoman land, p. 116: Shaw, History of the Ottoman Empire, Vol. 1, p. 226.

(١٥١) Lewis, «Ottoman Land», p. 117.

(١٥٢) سجلات محاكم حماة الشرعية، م١٨، قضية ١، ص ٢٠١، اواسط ذي القعدة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م.

(١٥٣) Lewis, «Studies in Ottoman Archives – v, p. 482, Lewis, **«Ottoman Land», p. 117; Bakhit,** The Ottoman province of Damascus, p. 106.

من حسن بن عبد الله وبهرام بن عبد الله وادعى الأول على الثاني بأنه قد تصرف في تياره المعين له في قرية رايا، ومزرعة كفرة تابع حماة بموجب البراءة السلطانية التي في يده والمؤرخة في حادي عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وانه يطالب المدعى عليه برفع يده عن التيمار، وكان رد المدعى عليه: انه قد تصرف في التيمار المذكور بموجب البراءة الشريفة المخلدة بيده والمؤرخة في الخامس عشر من ذي الحجة سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وهي من قبل محمد باشا والي حلب، وانه قد تصرف بموجب ذلك مدة سنتين في التيمار، وحسماً للنزاع لجأ القاضي الى المقارنة بين تاريخي صدور البراءتين فوجدت «براءة حسن محلها لكونها مقدمة التاريخ...»[١٥٤].

وعلى أية حال فقد كان على كل تياري أن يدفع رسوماً مقابل حصوله على تيارة، ولا يشترط أن يكون هذا التيمار في قرية معينة، بل نجد بعض التيمارات موزعة في أكثر من قرية، كما أننا نجد عدداً من التيمارات في القرية الواحدة. وكان على التيماري واجبات تجاه تياره فنجده يشرف على فلاحة جميع الأرض المقطعة له، واستصلاح العاطل منها، وعليه أيضاً أن يمد الفلاحين بالبذار اللازم، وتقديم بعض المساعدات الأخرى، وإذا حدث تقصير من الفلاح في زراعة الأرض فإن صاحب التيمار يرفع أمره الى القاضي الذي يأمر في بعض الحالات بطرده من الأرض[١٥٥]، وكان التيماري يحصل على نسب معينة من محصول تياره تتراوح ما بين ثلث المحصول أو ربعه أو خمسه أو سدسه، بحيث يوفر له مجموع الريع، المبلغ المحدد له، في البراءة المعطاة إليه[١٥٦]، وتذكر إحدى القضايا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس أن يوسف الشركسي حضر «.. الى المحكمة الشريفة بالقدس... وشكى على

(١٥٤) سجلات محاكم حماة الشرعية، م٢١، قضية ٤، ص ١٩٣، اواسط ذي الحجة ٩٨٧ هـ/١٥٧٩ م.

(١٥٥) Lewis, «Ottoman Land», p. 118.

(١٥٦) Lewis, «Studies in the Ottoman Archives – 1», p. 483.

فلاحي قرية سوبا[١٥٧]، الجارية في تيارة أن منعوه حقه مدة سنتين وانه شكا أمره الى فخر الأماثل وزين الأقران جعفر الصوباشي بالقدس الشريف... فعند ذلك ركب عليهم الأمير جعفر الصوباشي المشار اليه ليخلص حقه منهم...»[١٥٨] وتخبرنا هذه القضية أيضاً انه عند ركوب جعفر صوباشي الى التيار المذكور هرب الفلاحون ولم يقابلوه. ومن واجبات السباهي الأخرى الاشراف على الأمن في الريف، وحماية الطرق والجسور.

وكان على التياري أيضاً واجبات تجاه الدولة منها، الحضور شخصياً الى ميدان القتال إذا طلبت الدولة منه ذلك، وعليه أن يحضر معه عدداً من الاتباع يختلف عددهم حسب ريع التيار، فصاحب التيار عليه أن يحضر تابعاً عن كلا ثلاث آلاف أقجة، أما الزعيم فعليه أن يحضر تابعاً عن كل خمس آلاف أقجة[١٥٩] فعلى سبيل المثال بلغ عدد الاتباع الذين تم حشدهم من لواء دمشق سنة ١٠٢١ هـ/١٦١٢م، ٢٦٠٠ تابعاً[١٦٠].

ومما تجدر الاشارة إليه أننا لا نستطيع أن نحدد عدد السباهية في بلاد الشام[١٦١]، ولكننا نستطيع القول أن عددهم كان يختلف بين فترة وأخرى، وهذا يتضح لنا من خلال بعض الدراسات التي عقدت مؤخراً حول هذا الموضوع، واستطاعت أن تحدد عدد هؤلاء من مناطق معينة من خلال اعتمادها على دفاتر الطابو العثمانية، وهنا يجب أن نشير الى أن

(١٥٧) صوبا: قرية من قرى محافظة القدس، وتقع الى الغرب من مدينة القدس. انظر: عبد القادر، اسماء المواقع الجغرافية في الأردن، ص ١١٠.

(١٥٨) سجلات محاكم القدس الشرعية، م١، قضية ٤، ص ٣٣، ١١ ذي الحجة ٩٣٦ هـ/١٥٢٩م.

(١٥٩) **Bakhit,** the Ottoman Province of Damascus, p. 106

(١٦٠) Ibid, **p. 107** .

(١٦١) نقل الدكتور عبد الكريم رافق عن اوليا جلبي الذي زار بلاد الشام في منتصف القرن السادس عشر، قوله: ان عدد السباهية كان يصل الى ٥٠٠، ٥٠ كما نقل عن عيني علي بقوله: ان عدد السباهية في الربع الأخير من القرن السادس عشر في بلاد الشام، كان ٨،٢٦٣ سباهياً، انظر: رافق، من مظاهر الحياة العسكرية، ص ٧٢.

هذه الدراسات لم تتناول بلاد الشام عامة بل تعرضت لاجراء بعينها.

فلو أخذنا على سبيل المثال سناجق غزة والقدس ونابلس وصفد، وهي تغطي اليوم ما يعرف بفلسطين لوجدنا عدد السباهية ومواردهم من مجموع ناتج المحصول موزع كما يلي[١٦٢] ومقداره بالأقجة وحدة النقد العثماني آنذاك.

السنة	السنجق	زعامات		تيمار تذكرة		تيمار بدون تذكرة		جنود حلقة «المماليك»	
		عدد	المورد	عدد	المورد	عدد	المورد	عدد	المورد
٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م	غزة	١	٧٢٣١٤	٨	٧٧٤٨٩	٧٦	٣٣٩٢٤٠	٢٧	٥٥١٣٠
٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م	نابلس	٣	١٢٠٥٣٤	٣	٢٨٢٠٠	٣٦	١٥٧٩٧٣	–	–
٩٦١ هـ/١٥٥٣ م – /١٥٥٤ م	القدس	٢	٣٧١٠٨	٦	٥١١٨٧	٤٨	١٨٦٥٦١	–	–
٩٦٣ هـ/١٥٥٥ م – /١٥٥٦ م	صفد	٦	١٥٢٠٧١	٤١	٣٥٦١٦٢	٨٩	٣٨٦٦٩٣	–	–
المجموع		١٢	٣٨٢٠٢٧	٥٨	٥١٣٥٣٨		٩٦٩٩٦٧	٢٧	٥٥١٣٠

ومثال آخر من لواء دمشق، فقد بلغ عدد السباهية مع ما يخصهم

(١٦٢) Lewis, «Studies in the Ottoman Archives – 1, p.486
Lewis, «Some statistical surveys of the 16th century, «Palestine», Middle East Studies and Libraries, Mansell, 1980, pp. 120 – 121
Lewis, «Some statistical», :سيشار لهذا المرجع

من مردود تياراتهم سنة ٩٥٥ هـ/١٥٤٨م كما يلي[١٦٣]:

الزعماء		تيار بتذكرة		تيار بدون تذكرة	
عدد	مورد	عدد	مورد	عدد	مورد
١٦	٤٤٣٠٣٩	٧٨	١١٠٧٠٧	٣١٩	١٧٥٩٤٥

من خلال هذين المثالين نلمح بوضوح (علاوة على توزيع السباهية وما يحصلون عليه من موارد)، مدى أثر العسكر في الحياة الاقتصادية إذ اجتمعت لدى هذه الفئة كميات وافرة من النقد استطاعت بواسطتها أن تفرض نفوذها وتؤثر في الحياة الاقتصادية بشكل مباشر. وتتضح الصورة أكثر، إذا علمنا أنه في سنة ٩٥٥ هـ/١٥٤٨م، بلغ مجموع ما هو متوجب للدولة من محصول لواء دمشق بكامله ما قيمته ١٣٦٦٣٣٩٦ أقجة، وقد بلغ مجموع ما خصص منه للموظفين من أمير لواء ودفتر دار والمسؤول عن دفتر التيار وقائد القلعة ومخصصات أمير عرب الشام والزعماء السباهية، بلغ في نفس السنة ٣٥٩٤٨٢٧ أقجة[١٦٤].

ومن خلال الأرقام التي أوردها الدكتور محمد عدنان البخيت في رسالته للدكتوراه:

The Ottoman Province of Damascus In The Sixteenth

(١٦٣) دفتر مفصل لواء الشام رقم ٢٦٣ لسنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨،
Basbakanlik Arsivi, Istanbul.
ويوجد عنه نسخة على الميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، سيشار لهذا المصدر: دفتر مفصل لواء الشام.

(١٦٤) المصدر ذاته، ص ١.

(١٦٥) Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, p. 106.

Century عن عدد السباهية في لواء دمشق نستطيع القول أن عدد الحاصلين على التيمارات قد بدأ بالتناقص بمرور الزمن. فعلى سبيل المثال كان عدد الحاصلين على تيمار بدون تذكرة سنة ٩٣٦ هـ/١٥٢٩ م، ٤٤٢ وانخفض العدد الى ٣١٩ في سنة ٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م، ووصل هذا العدد سنة ٩٧٦ هـ/١٥٦٨ م الى ٣٢١[١٦٥]، وهذا يدل على أن عدداً غير قليل من التيمارات قد أصبح شاغراً «محلول» وفي نفس الوقت كان هذا مؤشراً على بداية اضمحلال التيمار، وان الدولة بدأت تستغني تدريجياً عن السباهية، وتزيد من اعتمادها في الوقت نفسه على قوات الانكشارية.

وزاد إهمال الدولة للسباهية مع استخدام التقنية العسكرية المتطورة - خاصة الأسلحة النارية - ومما زاد في فساد واضمحلال هذا النظام الأزمة الاقتصادية التي مرت بها الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر وطوال القرن السابع عشر، وتمثلت تلك الأزمة بتحويل الطرق التجارية المارة بأراضي الدولة العثمانية، وأصبح بمقدور التجار الأوروبيين الابحار والدوران حول أفريقيا، الأمر الذي ترتب عليه فقدان مواد كثيرة من الأسواق. في نفس الوقت أدى ذلك الى فقدان مصدر مالي هام من مصادر الخزينة، كما أدى تدفق الفضة من العالم الجديد الى تضخم مالي، فارتفعت الأسعار وعانى من جراء ذلك موظفو الدولة مدنيين وعسكريين ممن كانوا يتقاضون رواتبهم بالأقجة. وزاد الأمر سوءاً فشل الدولة في اصلاحاتها النقدية[١٦٦]، ورافق هذه العوامل، تعامل العسكر بالربا، ونزوح الفلاحين من الأراضي الزراعية، وتزايد أعمال اللصوصية وقطع الطريق[١٦٧].

هذه العوامل وما رافقها، أدت الى ضعف السباهي وإهماله لتيماره، كما وان ذلك أدى في النهاية الى قلة موارد الخزينة. ورأت الدولة أنه

---

(١٦٦) Lewis, Ottoman Land, pp. 122 - 123.

(١٦٧) Ibid. p. 123

من الأفضل استبدال ذلك النظام بنظام آخر عرف بـ« الالتزام »، حيث أوكلت مهمة جمع الضرائب من المناطق المختلفة الى موظفين غير حكوميين عرفوا بـ« المقاطعجية »، وكان غالب هؤلاء من الزعماء المحليين. وأخذ نظام الالتزام ينمو شيئاً فشيئاً حتى اتخذ شكله النهائي في « الملكانة » الذي أصبح وراثياً وقد صدر مرسوم سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م أرسي بموجبه دعائم هذا النظام في ولايات دمشق وحلب وعينتاب وأضنة(١٦٨).

وجد الى جانب الانكشارية والسباهية في بلاد الشام عناصر مأجورة استخدمها الولاة وزعماء بلاد الشام المحليون، أهم هذه العناصر:

أ - السكبان: كانت بداية ظهورهم في سنجق نابلس التابع لولاية الشام أثناء خدمة حاكمها العثماني آنذاك (أبو سيفين) ثم في خدمة حاكم صفد درويش بك وذلك خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، ثم شاع استخدام السكبان في بلاد الشام(١٦٩) خاصة من قبل أمراء بلاد الشام المحليين، من بينهم علي باشا بن جانبولاد، والأمير فخر الدين المعني الثاني، ويوسف باشا سيفا وغيرهم.

ب - الدالاتية: مفردها دالاتي، وهي مشتقة من الكلمة التركية Deli وتعني الأهوج أو المتهور، وأطلق هذا الاسم على تلك المجموعة لشجاعتها واندفاعها في القتال، والدالاتية عبارة عن خليط من أجناس مختلفة كالترك والكروات والبوسنيين والصربيين، وكانت هذه التجمعات تبحث عمن يستأجرها مقابل المال، وكان قائدهم يعرف بدلي باشي، ولهم في دمشق خان خاص بهم يعرف

---

(١٦٨) **Lewis, Ottoman Land. p. 123, Polk, William R.,** The Opening of south Lebanon, 1788 – 1840. Harvard University press, 1963, pp. 10 – 11.

(١٦٩) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٥٩.

باسمهم(١٧٠). أول من استخدم الدالاتية هو والي الروملّلي وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ومن ثم استخدمهم مختلف الولاة من بينهم والي دمشق أحمد باشا الكجك(١٧١).

جـ - التفنكجية (Tufenkjis): مفردها تفنكجي وتعني الجندي المسلح بالتفنك (البندقية)، وهم من المشاة يقودهم التفنكجي باشي ولم يعرف أصلهم أو المنطقة التي جاءوا منها، ففي حلب كان يقال عنهم انهم من أصل مغربي، وفي دمشق كانوا يعرفون بالموصليين أو البغداديين(١٧٢). وكانت الحاجة تشتد إليهم في أوقات الأزمات، حيث يكلفون بمهام عسكرية خارج دمشق، كما أنيطت بهم مهمة تحقيق الأمن في مدينة دمشق وأطرافها، وكانت الفئة أقل أهمية من باقي الفئات الأخرى، وقد عرف عنها انضباطيتها واطاعتها للقوانين(١٧٣).

د - المغاربة: سمّوا بهذا الاسم لأنهم جاؤوا من أقطار شمالي أفريقيا (طرابلس، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، كان استخدام العناصر المغربية شائعاً منذ زمن المماليك، فعملوا كبحارة في الاسطول المملوكي(١٧٤)، وكانت زواياهم معروفة في دمشق

---

(١٧٠) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين، ص. ٢٤٨،

Rafeq, Province of Damascus, pp. 36 - 37; Rafeq, the local forces, p. 205

(١٧١) الكجك احمد باشا، احد الوزراء المشهورين بالشجاعة وشدة البأس وحسن التدبير، ولي سيواس، ثم دمشق سنة ١٠٣٩ هـ /١٦٢٩م. وعزل عن دمشق ليتولى كوتاهية ثم عين مرة ثانية والياً لدمشق سنة ١٠٤٢ هـ /١٦٣٣م. وهو الذي وضع حداً لتجاوزات ابن معن، فقد القي القبض عليه بعد معركة عنيفة وبعثه الى استانبول اسيراً مع ابنائه وكانت وفاته سنة ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م. انظر المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٨٥ - ٣٨٨.

(١٧٢) Rafeq, The local forces, pp. 285 - 286

(١٧٣) رافق، مظاهر من الحياة العسكرية، ، ص ٧٧،

Rafeq, The local forces, p. 86.

(١٧٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٥٨.

والقـــدس وطرابلس الشام(١٧٥)، وعرفـــت هـــذه التجمعـــات بـ «المجاورين»(١٧٦)، وكان المغاربة ينتشرون بكثرة في فلسطين، وقد أشار الى ذلك التاجر الانجليزي Sandys بقوله: «أنه أثناء مروره بفلسطين وجد أن كثيراً من سكانها من المغاربة». وأشار الى أنهم كانوا يتكتلون في سبع طوائف وكان لكل طائفة زعيم يعرف بالشيخ وهؤلاء بدورهم يخضعون الى شيخ أعلى يعرف بشيخ المشايخ(١٧٧). أما أسباب قدومهم الى بلاد الشام فهي مختلفة، فالبعض منهم جاء لطلب العلم، وآخرين جاؤا كأدلاء لقوافل الحجاج أو القوافل التجارية، ومنهم من استقر في بلاد الشام بعد أدائه فريضة الحج، وبعضهم جاء الى بلاد الشام عن طريق البحر(١٧٨)، وقد استخدم الولاة هؤلاء المغاربة على نطاق واسع كمشاة في جيوشهم(١٧٩).

هـ - اللاوند: هذه الكلمة تحريف لكلمة Levento التي أطلقها البنادقة على البحارة الشرقيين، المستخدمين في أسطولهم(١٨٠) أخذ العثمانيون هذه الكلمة وأطلقوها على بحارتهم الأوائل مع شيء من التحريف، وعندما تمرد هؤلاء سرحوا من الخدمة واستبدلوا بآخرين. لجأ المسرحون الى مناطق منعزلة من أراضي الدولة، ولحقت بهم عناصر أخرى هاربة من الخدمة، وأخذت هذه

---

(١٧٥) Sandy, A relation of a Journey, p. 114, 117: Rafeq, Province of Damacus p 38–39.

(١٧٦) Cohen, Amnon and B ,Lewis, population and Revenue in the Towns of Palestine in the sixteenth century,
princeton University press. 1978, p. 82
سيشار لهذا المرجع: Cohen and Lewis, population and Revenue

(١٧٧) Sandys, A Relation of a journey, p. 165

(١٧٨) Rafeq, province of Damascus, p. 39

(١٧٩) Sandys, A Relation of a journey. p. 165
رافق، مظاهر من الحياة العسكرية، ص ٧٨.

المجموعة تعرض خدماتها مقابل المال، فاستخدمهم الولاة والصناجق، وشكل منهم الأمراء المحليون في بلاد الشام مجموعات خاصة يعتمدون عليها[١٨١] وقد أشارت لهم بعض المصادر المحلية باسم السكبان. ففي أحداث سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م ذكر الخالدي الصفدي: أن السكبانية اللاوند الموجودين في بغداد خرجوا هاربين بعد الاحتلال الصفوي لها، وقد لجأت مجموعة كبيرة منهم الى بلاد سلمية وحماة ولكي تؤمن هذه المجموعة رزقها فقد إنقسمت الى فئات ثلاث: الأولى وكان عدد أفرادها أربعمائة خيال، استخدمها محمد باشا صنجق حماة، الفئة الثانية توجهت لخدمة مراد باشا والي حلب، بينما انضوت الفئة الثالثة تحت إمرة أمير العرب الأمير مدلج الحياري[١٨٢]، وربما تسلل بعضهم للخدمة عند الأمير فخر الدين المعني الثاني إذ يشير الخالدي الصفدي الى استخدام البغداديين في حملة الأمير ابن معن على بلاد الأمير أحمد ابن طرباي الحارثي[١٨٣] سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م[١٨٤]، وكان قائد اللاوند يعرف بـ «زوربه باشي اللاوندية»[١٨٥].

(١٨٠) رافق مظاهر من الحياة العسكرية، ص ٧٦.

(١٨١) Rafeq, Province of Damascus, pp. 37 – 38.

(١٨٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٦٦، ١٦٩، ١٧٨.

(١٨٣) الأمير احمد بن طرباي الحارثي: انظر ترجمته في هامش رقم ٢٠ ص ٣٣.

(١٨٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٩١ – ١٩٢.

(١٨٥) المصدر ذاته، ص ٣٨.

وزوربة: تعنى العاصي أو الثائر، أو من يحصل على عيشه بالقوة. انظر: Redhouse, p. 10 18

ب - قلاع الزعامات المحلية

استفاد زعماء بعض الأسر المتنفذة مثل أسرة بني سيفا، وبني الحرفوش وبني معن من القلاع التي أهملتها الدولة. فقاموا بترميمها وادخال بعض التحسينات عليها، إضافة الى ذلك فقد قام زعماء هذه الأسر، كالأمير فخر الدين المعني الثاني، ببناء العديد من القلاع. وشحنوها بالرجال والسلاح والذخائر، وزودوها بالمؤمن والماء وكل ما يلزمهم لتحمل الحصار كما أن بعضهم قاموا بنقل ممتلكاتهم وأسرهم الى القلاع. كان الهدف من بناء هذه القلاع، وهو بسط نفوذ تلك الأسر على مناطق التزامهم ولتقف هذه القلاع مانعاً أمام كل من يحاول التوسع من الأسر الأخرى، وقد لعبت هذه القلاع دوراً بارزاً في الحروب التي جرت بين تلك الزعامات. وأهم هذه القلاع:

أ - قلاع بني سيفا

١ - قلعة جبلة: تشرف على الساحل[١٨٦].

٢ - قلعة جبيل: وصفها الخالدي الصفدي بقوله: «كانت عظيمة الشأن رفيعة البنيان من زمان الكفار»[١٨٧]، وقد شحنها يوسف باشا سيفا[١٨٨] بنوع خاص من القوات تعرف بالسكبانية، ولكن

---

(١٨٦) الخالدي الصفدي تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٦٩.

(١٨٧) المصدر ذاته، ص ٧٤، ٧٨، ٧٩.

(١٨٨) يوسف باشا سيفا، امير طرابلس لمدة طويلة، ومن المشهورين بالكرم، وكان سخياً على العلماء والشعراء، واستطاع ان يرسخ نفوذ الأسرة السيفية في ولاية طرابلس حتى اشير الى اسرتهم بـ«الدولة اليوسفية» وشبه المحبي الاسرة السفية بالاسرة البرمكية والأسرة المعتمدية. وكانت له وقائع مشهورة مع زعيم الأسرة المعنية سنشير لها في حينه، وكانت وفاته سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠م. انظر: المحبي، خلاصة الاثر، جـ٤، ص٥٠٣.

نتيجة للصراع المستمر بين ابن سيفا والأمير فخر الدين المعني الثاني، فقد استطاع الأخير احتلال القلعة وتخريبها سنة ١٠٢٣ هـ/١٦١٤ م[١٨٩] فأصبحت حدود ابن سيفا الجنوبية تحت رحمته.

٣ - برج صافيتا: كان يرابط فيه الأمير سليمان ابن أخي يوسف باشا سيفا على رأس مجموعة من السكبان[١٩٠].

٤ - حصن الأكراد: وهو حصن منيع. اهتم به الأمير يوسف سيفا حتى أصبح هذا الحصن في عهده من أجمل قلاع الدولة العثمانية وأكثرها منعة[١٩١] وقد احتمى به الأمير ابن سيفا عندما فاجأه الأمير ابن معن وابن جانبولاد سنة ١٠٢١ هـ/١٦١٢ م ولجأ إليه مرة أخرى سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م، عندما فرّ من وجه الأمير فخر الدين المعني[١٩٢].

٥ - حصن عكار: وهو من حصون ابن سيفا المنيعة، وقد شحنه ابن سيفا بالمؤن والعتاد والرجال وكان لهذا الحصن طريقان للهرب ولقوة مناعته فقد وضع به ابن سيفا أفراد أسرته، وبعض ممتلكاته وبقي الحصن قائماً الى أن خربه الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م[١٩٣].

٦ - سمر جبيل: كان يقيم في هذه القلعة بلوكباشيان من السكبانية[١٩٤]، وقد انتزعها ابن معن من يد ابن سيفا سنة

---

(١٨٩) اسطفان الدويهي (ت١١١٦ هـ/١٧٠٤ م) تاريخ الأزمنة، نشره فردناند توتل اليسوعي، المشرق، مجلد ٦٤، بيروت، ١٩٥١، ص ٣٤٤، سيشار لهذا المصدر: الدويهي، تاريخ الأزمنة.

(١٩٠) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٩٦ - ١٢٥.

(١٩١) بولس قرألي، فخر الدين المعني الثاني، امير لبنان وعلاقته بفرناندو الاول وقزما الثاني اميري توسكانا، مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٨، ص ١٦٧. سيشار لهذا المرجع، قرألي، فخر الدين امير لبنان.

(١٩٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني،ص ٦، ٧٦.

(١٩٣) المصدر ذاته، ص٧٤.

(١٩٤) االمصدر ذاته، ص ٧٤.

١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م[١٩٥]. أما برجها الأوسط فقد هدم سنة ١٠٨١ هـ/١٦٧٠ م بفعل زلزال.

٧ - قلعة بجعون من بلاد الضنية[١٩٦].

٨ - حصن قرية الناعمة: كان يقيم فيه مجموعة من سكبان ابن سيفا على رأسهم بلوكباشيين[١٩٧].

٩ - برج القيرانية في الهرمل: كانت تقيم فيه مجموعة من سكبان ابن سيفا، احتله ابن معن سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م[١٩٨].

ب - قلاع بني الحرفوش

١ - قلعة بعلبك: شحنها الأمير يونس ابن الحرفوش[١٩٩] بالسكبان، وتكمن أهمية هذه القلعة في أنها تحمي مدخل البقاع من الجهة الجنوبية[٢٠٠]، وقام الأمير فخر الدين معني بتخريبها بعد أن وقعت بيده.

٢ - حصن اللبوة: كان يقيم فيه مجموعة من سكبانية ابن الحرفوش، ويحمي هذا الحصن مدخل البقاع من الجهة الشمالية[٢٠١].

---

(١٩٥) المصدر ذاته، ص٨٣.

(١٩٦) المصدر ذاته، ص ٧٤

(١٩٧) المصدر ذاته، ص ٥١ - ٥٢.

(١٩٨) المصدر ذاته، ص ٧٧.

(١٩٩) الأمير يونس ابن الحرفوش: ابن عم الأمير موسى ابن الحرفوش، انضم الى علي باشا جانبولاد والأمير ابن معن عندما هاجم الأثنان مدينة دمشق سنة ١٠١٥ هـ/١٠١٦ هـ١٦٠٦ م/١٦٠٧ م. وبعد وفاة الأمير موسى اصبح يونس اميراً على البقاع العزيز، وقد ساءت العلاقة بينه وبين ابن معن خاصة بعد ان اصبح يونس حاكماً على صفد، وبعد معركة عنجر سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م اهدر والي دمشق مصطفى باشا دم الأمير يونس فهرب الى نواحي حلب وهناك القى والي حلب القبض عليه وقتله. انظر: الخالدي الصفدي تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١١١، ١٦٠ - ١٦٣، ١٧٢، ١٧٣.

(٢٠٠) بولس قرالي، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان ادارته وسياسته، مطبعة القديس بولس، حريصا ١٩٣٧، ص ٨٦. سيشار لهذا المرجع: قرالي، فخر الدين المعني ادارته وسياسته.

(٢٠١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٥٩، طنوس الشدياق (ت١٨٦١ م)،

جـ - قلاع الأسرة المعنية

١ - قلعة بانياس: يتفق اثنان من الرحالة الأجانب الذين زاروا القلعة وهما Maundrell, Thevenot على وصف القلعة بأنها: « قلعة عظيمة » واقعة على رأس تلة، وتشرف من جميع أطرافها على البحر[٢٠٢]. وقد أدخل عليها ابن معن بعض التحسينات، كما وانه لجأ إليها هربا من هجوم عسكر دمشق سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م[٢٠٣].

٢ - قلعة المرقب:[٢٠٤] كانت من ضمن القلاع التي شحنها ابن معن بالرجال والسلاح، وقد لجأ إليها حسين بن فخر الدين المعني هارباً من وجه الدولة عندما قرر السلطان العثماني القضاء على الأسرة المعنية[٢٠٥].

٣ - تحصينات الأمير فخر الدين في بيروت: عندما زار عبد الغني النابلسي بيروت سنة ١١١٢ هـ/١٧٠٠ م، شاهد بالقرب من سرايا الوالي أماكن كان الأمير فخر الدين قد بناها للعسكر والذخائر[٢٠٦].

اخبار الأعيان في جبل لبنان، ٢ح تحقيق فؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠ جـ١ ص ٢٧٧، سيشار لهذا المرجع، الشدياق، اخبار الاعيان.

(٢٠٢) **Thevenot,** Travels into the Levant, book 1, par, II, P. 12; Maundrell, Herny, a **journey from Aleppo to**Jeursalen , Early Travels in Palestine, **Edited by Thomas wright, London, 1969, p. 397**
سيشار لهذا المصدر: **Maundrell,** a Journey from Aleppo.

(٢٠٣) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ١٩٦.

(٢٠٤) هذه القلعة من بناء المسلمين، كما اعيد ترميمها زمن المماليك، ويؤرخ ذللك نقش نقله المقريزي، في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك، وهذا التاريخ هو سنة ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م. انظر: احمد بن علي المقريزي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ح في ٦ق حققها مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٦ - ١٩٥٨، جـ٣ و جـ٤ في ٥ق حققها سعيد عاشور، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢، جـ٣ ق٣، ص ٩٧٥.** سيشار لهذا المصدر: **المقريزي، السلوك.**

(٢٠٥) **يوسف الدبس، تاريخ سورية، ٨م، المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٩٣ - ١٩٠٥م، م٧ ص ١٨٥ - ١٨٦،** سيشار لهذا المرجع: الدبس، تاريخ سورية.

(٢٠٦) عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣ هـ/١٧٣١ م)، **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق**

٤ - برج الكشاف: يقع هذا البرج في بيروت بناه الأمير ابن معن وسماه بهذا الاسم لإمكانية مراقبة جميع الجهات[٢٠٧] من على سطحه.

٥ - قلعة صيدا: قام بترميم هذه القلعة الأمير فخر الدين المعني الثاني أثناء فترة حكمه لصيدا، كما أنه زود هذه القلعة بمدفع كبير لحماية الميناء من خطر القراصنة، ويورد الخالدي الصفدي أنه في سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م هاجمت قوارب المغاربة الميناء، فاطلقت المدافع التي فوق القلعة سبعين طلقة[٢٠٨]. وقدر سكبان ابن معن الموجودين في قلعة صيدا بثلاثة آلاف سكباني مع مدافعهم[٢٠٩].

٦ - دار الأمير يونس ابن معن في صور: تقع على حافة البحر، ولكن من خلال الوصف الآتي يتبين لنا أنها كانت تقوم مقام قلعة، بهدف مراقبة الساحل، وهذا الوصف ورد في إحدى قضايا سجلات دمشق الشرعية: كما يلي: «... الدار الكاينة بقرية صور المشتملة على ساحة سماويةبها بركة ماء تجري إليها من ماء الجنينة، وايوان فيه شبابيك مطلة على البحر، ومستطرق من ذلك الى ساحة ثانية.... ويصعد من الساحة في سلم حجارة الى قصر كبير به روشن مطل على البحر وشبابيك حديد مطلة على ساحة الدار... وتصعد أيضاً من القصر الى مسكن علوي مربع معلق به ثلاثة شبابيك مطلة على البحر....»[٢١٠]

هريبرت بوسه، بيروت، ١٩٧١، ص ٣٨ سيشار لهذا المصدر: النابلسي، التحفة.

(٢٠٧) الدبس، تاريخ سورية، م٧، ص ١٨٥، الكونت دوبويسون. استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة، المشرق، م٢٠، بيروت ١٩٢٢ ص ٧٥٢.

(٢٠٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢٠٩) عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ط٢، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٦٥، سيشار لهذا المرجع المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين.

(٢١٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٤ق١، قضية ٢٥٠، ص ١٢٢ - ١٢٣، ١٨ رمضان ١٦٣٣/١٠٤٣.

٧ - برج ارسوف: وصفه الخالدي الصفدي: بأنه كان عامراً ومانعاً، وضع به الأمير فخر الدين عدداً من سكبانية ومعهم كل ما يحتاجون إليه من المؤن والسلاح[٢١١].

٨ - حصن شقيف تيرون: وهو حصن منيع يستحيل على المهاجم دخوله[٢١٢]. وقد شحنه ابن معن بمائة جندي من السكبانية مع ذخيرتهم ومؤونتهم[٢١٣]، ويساند هذه القوة ثلاثة مدافع[٢١٤].

٩ - حصن شقيف أرنون: يعود الحصن في بنائه الى فترة الفرنجة[٢١٥]، وقد بني على صخر شاهق على شكل زاوية، وصممت هذه القلعة من الداخل بحيث تتسع لخمسمائة جندي، وقد دام تحصينه كما يقول البوريني مدة عشر سنوات[٢١٦]، ووضع فيها الأمير فخر الدين من المؤن والذخائر ما يكفي مدة ثلاث سنوات، ووضع في هذا الحصن قبل هروبه الى إمارة توسكانا ثلاثمائة سكباني[٢١٧]. ويضيف بعضهم أن الأمير قد وضع في هذا الحصن ثمانية عشر من الأسرى الفرنسيين ممن كانوا يجيدون استعمال المدافع[٢١٨]، وقد سبّب تحصين هذا الحصن قلقاً للدولة خاصة بعد أن قام الأمير ببناء برج مقابل الحصن سمّاه برج الظاهرية[٢١٩].

---

(٢١١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٨٦، ١٩١.

(٢١٢) كمال سليمان الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ، بيروت، ١٩٧٩، ص ٩٩. سيشار لهذا المرجع: الصليبي، منطلق تاريخ لبنان.

(٢١٣) الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٢١٥.

(٢١٤) الدبس، تاريخ سورية، م٨، ص ١٦٩.

(٢١٥) **Muller, W.** Castles of he Crusaders, Translated by J. Maxwell London. 1966, pp. **62 - 63.**

سيشار لهذا المرجع: Muller, Castles

(٢١٦) البوريني، تراجم الاعيان، جـ١، ص ٢٠٧.

(٢١٧) قرالي، فخر الدين امير لبنان، ص ٢٠٤.

(٢١٨) علي الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٠٠

سيشار لهذا المرجع: الزين، للبحث عن تاريخنا.

(٢١٩) **Salibi, Kamal, «the Sayfas and the Eyalet of Tripoli»**, Arabica, vol. XX, E. J. Brill,

١٠ - برج الظاهرية: كان يقيم في هذا البرج خمسون سكبانياً برئاسة بلوكباشي، كان الهدف من بنائه توفير الحماية لحصن شقيف أرنون، وحاصر هذا البرج والي دمشق سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م، ولم يستطع فتحه بسبب بسالة المدافعين عنه، إلا أنه حدث ما لم يكن في الحسبان فقد حدث انفجار داخل البرج بسبب اشتعال البارود المخزون فيه فنتج عنه دمار جزء كبير من البرج واحتراق عدد كبير من المدافعين، وقتل سبعين جندياً من عسكر دمشق المحاصرين للبرج(٢٢٠).

١١ - برج البخصاص: يقع جنوبي طرابلس استولى عليه الأمير فخر الدين المعني من ابن سيفا(٢٢١).

١٢ - قلعة كتف الروج (قلعة الشماميس): بناها الأمير فخر الدين سنة ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م(٢٢٢)، وتقع هذه القلعة بالقرب من انطاكيا.

١٣ - برج دوبيه في بلاد بشارة: وفيه ألقي القبض على الأمير يونس ابن معن سنة ١٠٤٤ هـ/١٦٣٤ م(٢٢٣).

١٤ - قلعة قب الياس: بناها الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م، ووصفها عبد الغني النابلسي عند مروره بها سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م بقوله: «قلعة متينة من بناء ابن معن الذي كان أمير الدروز سابقاً، وله سيرة غير مشكورة، وخارج القلعة برج خراب... وباب القلعة... من الخشب المتين الذي لا يعمل فيه الفأس ولا القدوم... وعلى يمنة الداخل حجرة كبيرة

Leiden, 1973, p. 40

Salibi, «Sayfas» سيشار لهذا المرجع

(٢٢٠) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٢٠ - ٢١.

(٢٢١) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١٣.

(٢٢٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٢٤٣.

(٢٢٣) المصدر ذاته، ص ٢٤٨، قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته ص ١٨٣.

ذات مرامي متينة وفيها درج الى سطح القلعة... والجهة الشرقية مشتملة على أربع حجرات... وداخلها دهليز فيه سبعة مرامي نافذة... وبالجملة فهي قلعة مشتملة على منافع كثيرة، وأمور تدعو إليها الضرورة...»[٢٢٤].

١٥ - قلعة تل الهربج: بناها الأمير فخر الدين سنة ١٠٢٩ هـ/١٦١٩م على الحد الفاصل بين منطقة نفوذه، ومنطقة نفوذ الأمير أحمد بن طرباي، وقد أشرف على بنائها بنفسه. وكان يهدف من بنائها الحد من نفوذ ابن طرباي، والتخلص من نشاطات اللصوص وقطاع الطرق في هذه المنطقة[٢٢٥].

١٦ - قلعة صلخد: تقع الى الشرق من بصرى، بناها ابن معن سنة ١٦٣٥م، وكانت مؤونة حاميتها تجمع من نابلس وجنين ويعبد والجولان[٢٢٦].

١٧ - قلعة تدمر: لم تشر المصادر الى بناء هذه القلعة، وكل ما ذكره الصفدي: ان الأمير علي بن فخر الدين المعني قد مر بتدمر سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣م عائداً الى والده من قلعة الشوبك[٢٢٧]. إلا أن بولس قرالي يشير الى أن الأمير فخر الدين قد وضع في هذه القلعة بعض سكبانيته وما يحتاجون إليه من المؤونة والعتاد[٢٢٨].

واستغل الأمير فخر الدين بعض قلاع الدولة القريبة من منطقة نفوذه لخلوها من حامياتها، ومن هذه القلاع:

---

(٢٢٤) اسماعيل عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ/١٧٣١م)، رحلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، تحقيق صلاح الدين محمد المنجد، نشر في كتاب رحلتان الى لبنان، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٠١ - ١٠٢، سيشار لهذا المصدر، النابلسي، حلة الذهب الابريز.

(٢٢٥) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٨٧، قرالي، فخر الدين المعني ادارته وسياسته، ص ٨٧.

(٢٢٦) الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٢٨٨.

(٢٢٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٢٨.

(٢٢٨) قرالي، فخر الدين المعني، ادارته وسياسته، ص ٥٨ - ٨٣.

١ - برج عكا: يذكر الخالدي الصفدي: أن الأمير ابن معن قد وضع به السكبان من أجل التضييق على الأمير أحمد بن طرباي[٢٢٩].

٢ - برج حيفا: وضع به الأمير فخر الدين سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م مجموعة من السكبانية على رأسهم بلوكباشي، وما يحتاجون إليه من المؤن. وكان يهدف من وراء عمله هذا مضايقة أحمد بن طرباي[٢٣٠].

٣ - قلعة عجلون: استخدمها الأمير فخر الدين لمدة محدودة أثناء ذروة نفوذه، فوضع فيها حامية من السكبانية سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م، وزودها بما تحتاجه من المؤن والعتاد[٢٣١]. وكان الأمير يقصد من عمله هذا مراقبة تحركات الأمير أحمد بن طرباي، والحد من نفوذه، إلا أن نفاد المؤونة بعد فترة قصيرة تسبب في هروب الحامية.

٤ - قلعة السلط: تقع على حدود ابن طرباي، لذلك أراد ابن معن استخدامها للضغط عليه، فوضع فيها حامية من السكبان مع ما يكفيهم من المسيرة، وبعد أن نفدت المؤونة تركها السكبانية[٢٣٢].

وقبل أن ننتهي من هذا الفصل يحسن بنا أن نضع جدولا يبين تاريخ بناء وترميم بعض القلاع والأبراج العثمانية والتي رابطت فيها قوات عثمانية في بلاد الشام.

(٢٢٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٩٣.
(٢٣٠) المصدر ذاته، ص ١٤٤
(٢٣١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢.
(٢٣٢) المصدر ذاته، ص ١٨٤، ٢٠١.

القلعة	البناء	سنة البناء	الترميم التجديد	سنة ترميم/ التجديد
الاسكندرونة	×	زمن السلطان سليمان القانوني		
باياس	×	زمن السلطان سليمان القانوني	×	٩٧٥ هـ/١٥٦٧ م
طرابلس			×	٩٢٧ هـ/١٥٢٠ م
برج عكا	×	زمن السلطان سليمان القانوني		
برجا حيفا	×	الأول ١١٣٦ هـ/١٧٢٣ م الثاني ١١٣٨ هـ/١٧٢٥ م		
غزة	×	زمن السلطان سليمان القانوني	×	بين سنة ١٠١٠ هـ/ ١٦٠١ م - ١٠١٣ هـ/١٦٠٤ م
خان يونس	×	١٦٠٢ م		
العريش	×	٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م		
جينين	×	٩٧٢ هـ/١٥٦٤ م		
رأس العين			×	٩٨١ هـ/١٥٧٣ م
القدس	×		×	٩٤٧ هـ/١٥٤٠ م
البرك	×	زمن السلطان مراد		
(قلعة مراد)	×	الرابع		
المزيريب	×	٩٧١ هـ/١٥٦٣ م		
القطرانة	×	٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م		
معان	×	٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م		

العقبة			×	زمن السلطان مراد الثالث
ذات حج	×	٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م		
تبوك	×	٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م	×	١٠٦٤ هـ/١٦٥٣ م
الأخيضر	×	٩٦٧ هـ/١٥٥٩ م		
المعظم	×	١٠٣١ هـ/١٦٢١ م		
العلى	×	زمن ولاية عيسى باشا على دمشق وقد تولى دمشق مرتين الأولى ٩٣٦ هـ/ ١٥٢٩ م، والثانية ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م		

مما تقدم نرى أنه بعد القضاء على حركة العصيان التي تزعمها جان بردي الغزالي في دمشق سنة ٩٢٧ هـ/١٥٢١ م فقد شهدت بلاد الشام حركة إعمار واسعة للقلاع، خاصة في زمن السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ هـ/١٥٢٠ م - ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م). حيث أصدر هذا السلطان أمراً بانشاء شبكة واسعة ومحكمة من القلاع. مراعياً النواحي الأمنية والاقتصادية والاستراتيجية، لإيمانه أن في استتباب الأمن راحة للرعية، وازدهاراً للحياة الاقتصادية واطمئناناً للمسافرين، وأماناً لحجاج بيت الله الحرام. وبالتالي فإن وجود مثل هذه القلاع هو تأكيد لقوة الدولة وسلطتها المركزية، وقد حققت هذه السياسة أهدافها، لكننا نلاحظ في الفترة التي أعقبت وفاة السلطان سليمان القانوني أمرين مهمين الأول: إهمال بعض القلاع، وقد تمثل ذلك في سحب حامياتها، وعدم إرسال حاميات جديدة للحلول محلها، ثم تصدع تلك القلاع وخرابها،

خاصة الموجودة منها على طريق الحج الشامي. الأمر الثاني: قيام أمراء الشام المحليين، باعمار وترميم عدد كبير من القلاع التي كانت تقع ضمن مناطق نفوذهم، ونجم عن ذلك زيادة قوة الأمراء المحليين، وبالتالي ضعف السلطة المركزية. وإذا أضفنا الى ذلك الضعف الذي أخذ يدب في حاميات حلب ودمشق بسبب الصراع المستمر بين طوائف الجند، عندها نستطيع القول ان الأوضاع الأمنية في بلاد الشام قد تدهورت، فأخذ لصوص البحر(٢٣٣) يطرقون بعض الموانيء الرئيسية وشهد بعضها عمليات تهريب بالاضافة الى عمليات القرصنة، كما كان يتم ذلك في ميناء حيفا(٢٣٤) واصبحت طريق الحجاج غير آمنة بسبب الخوف من مهاجمة القبائل البدوية للقوافل. فقامت قبائل بني لام، وبني عقبة بدفن برك الماء الثلاثة الموجودة قرب قلعة الأخيضر(٢٣٥)، وروى لنا الخياري المدني ما تعرض له الحجاج من رعب عند قلعة معان(٢٣٦)، أما في حسيا فكان الحجاج يخافون من النهب من قبل العرب(٢٣٧) ولضمان سلامة قوافل الحجاج فقد لجأت الدولة الى دفع مبالغ سنوية من المال، أطلق عليها اسم «الصرة»، الى القبائل القوية الموجودة على الطريق، وذلك لتعوض الفراغ الذي نجم عن سحب بعض الحاميات. كما لجأ امراء القوافل والملاقاة الى عقد نوع من الصداقات مع شيوخ وأمراء هذه القبائل، مثال ذلك الصداقة التي كانت بين الأمير موسى التركماني(٢٣٨)، وبعض القبائل البدوية(٢٣٩). أما الطرق بين دمشق والقاهرة فلم تكن أحسن حالا من طريق الحج، وقد دون اثنان من الرحالة مشاهداتها على هذه الطريق، الرحالة الأول: الخياري المدني

---

(٢٣٣) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٩٤، ١٩٥.
(٢٣٤) البخيت «من تاريخ حيفا العثمانية»، ص ١١٩ - ١٢٠.
(٢٣٥) ابن كبريت، رحلة الشتاء، ص ٢٣٥.
(٢٣٦) الخيارى المدني، تحفة الأدباء، ص ٨١
(٢٣٧) ابن كبريت، رحلة الشتاء، ص ٢١٠.
(٢٣٨) سبقت ترجمته في هامش رقم (١٢٢)، ص ٥١ من هذه الدراسة.
(٢٣٩) المحبي خلاصة الاثر، جـ٤، ٤٣٤ - ٤٣٥.

الذي عبر فلسطين سنة ١٠٨١ هـ/١٦٧٠ م، فقد روى عند مروره بقرية جلجوليا:[٢٤٠] أنه وجد بها جماعة يسمون بـ «الغفرية»، كانت مهمتهم اجبار التجار على وضع مبالغ نقدية لهم تعرف باسم «الغفارة»[٢٤١]. أما الرحالة الثاني فهو عبد الغني النابلسي الذي ذكر أنه عند مروره بقرية برقة[٢٤٢]، رأى جماعة تقوم بمحاصرة القرية وتطلق النار على كل من يخرج منها[٢٤٣]، كما شاهد الحرب قائمة بين سكان قرية عرابة[٢٤٤] وسنجق القدس بسبب ظلم الأخير[٢٤٥]، وعندما زار أريحا وجدها خرابا لكثرة الظلم والجور[٢٤٦]. ومما يزيد الأمر سوءاً، تغلغل البدو في المناطق الزراعية أثناء فترات الضعف، وما يرافق ذلك من تخريب ودمار للمزروعات[٢٤٧]. وعلى الرغم من كل ذلك فقد قامت الدولة بجهود كبيرة لاعمار الريف وإعادة الحياة إليه، وذلك باقامة الكثير من المنازل والخانات على طول طرق المواصلات، وأسكنت بها بعض العشائر التركمانية التي استقدمتها لتقوم بحمايتها. وتوفير الأمن لمن يمر بها من الحجاج والتجار والمسافرين (وكان يوجد في كل منزل وخان عدد من خيل البريد)، وكذلك لاعمار المناطق المجاورة للخانات والمنازل، خاصة

---

(٢٤٠) جلجوليا: قرية جنوب قليلية، انظر حسن عبد القادر وآخرون، **اسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين**، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، ١٩٧٣، ص ٥٥. سيشار لهذا المرجع: عبد القادر، **اسماء المواقع الجغرافية**

(٢٤١) الخياري المدني، **تحفة الأدباء**، جـ٢، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢٤٢) برقة: احدى قرى محافظة نابلس تقع شرقي طولكرم، شمال غرب نابلس. انظر: عبد القادر، **اسماء المواقع الجغرافية**، ص ١٣.

(٢٤٣) عبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ/١٧٣١)، **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز**، تركيا - اسعد افندي رقم ٢٣٧٦، صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط ٥٧٣، ورقة ٨٧أ، ٨٧ب، وسيشار لهذا المصدر النابلسي، **الحقيقة والمجاز**

(٢٤٤) عرابة: احدى قرى نابلس تقع الى الجنوب الغربي من جنين. انظر: عبد القادر، **اسماء المواقع الجغرافية**، ص ١١٧.

(٢٤٥) النابلسي، **الحقيقة والمجاز**، ورقة ٨٦أ.

(٢٤٦) المصدر ذاته، ورقة ١١٣أ.

(٢٤٧) ضحى شطي، «توسع البدو في بلاد الشام واخسارهم»، **المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام**، ٢ح، جامعة دمشق، دمشق ١٩٨٠م، جـ١، ص ٤٠٥ - ٤٠٦، سيشار لهذا المرجع: ضحى، «توسع البدو»

أن أكثر هذه الخانات والمنازل كانت مقامة في أماكن خصبة وافرة المياه وقد عرف هذا النظام بنظام الدرك[٢٤٨].

ومن أهم الخانات والمنازل الموجودة على الطريق بين دمشق وحلب. وبين حماة الاسكندرونة ثم بين دمشق والقاهرة. فمن خانات ومنازل الطريق بين دمشق وحلب:

١ – منزل الكتيبة: (الى الجنوب من دمشق) بني وسط سهل واسع، وتكثر فيه الضياع العامرة[٢٤٩].

٢ – منزل القصير: وهو خان كبير ينزله المسافرون أيام الشتاء[٢٥٠]

٣ – خان القطيفة: بني في واد تكثر فيه المزارع[٢٥١].

٤ – خان النبك: بني في منطقة زراعية[٢٥٢].

٥ – خان حسيا: بني في منطقة زراعية، وكان ينزله علاوة على الحجاج، المسافرون والبريد[٢٥٣].

٦ – خان شيخون: بني وسط منطقة زراعية واسعة وكان يرابط فيه سنة ١٦٦٠م خمسون جندياً من المشاة وعشرة فرسان وذلك لتوفير الحماية والأمن للخان والمناطق المجاورة له من خطر الغارات البدوية[٢٥٤].

٧ – خان طومان: الى الجنوب من حلب، بني لحماية التجار والمسافرين[٢٥٥].

---

(٢٤٨) Bakhit, The Ottoman Province, p.104, pp. 107 – 108.

(٢٤٩) الخياري: المدني، تحفة الأدباء، ص ٩٤.

(٢٥٠) المصدر ذاته، ص ١٧٧.

(٢٥١) المصدر ذاته، ص ١٧٧.

(٢٥٢) المصدر ذاته، ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٢٥٣) المصدر ذاته، ص ١٨٠.

(٢٥٤) لويس شيخو، «من حماة الى حلب»، المشرق، م٨، ١٩٠٥، ص ٩١٩.

(٢٥٥) **TheVenot**, Travels into the levant, Book 1, part II, P. 30

وعلى الطريق من حماة الى الاسكندرونة وجدت الخانات والمنازل التالية:

١ - خان المضيق: بني في مكان يعبره المسافرون والتجار والحجاج[٢٥٦].

٢ - منزل الشغر: بني في منطقة عبور على نهر العاصي، وقد زود بكافة وسائل الراحة للعابرين[٢٥٧].

٣ - خان الزنبقي: بني في واد فسيح تكثر فيه الأشجار، ويعبره الكثير من المسافرين[٢٥٨].

٤ - خان بيلان: اعدّ لنزول المسافرين شتاء وهو مبني في منطقة جغرافية صعبة تشكل خطورة على المسافرين[٢٥٩].

أما على الطريق بين دمشق والقاهرة، فقد وجدت خانات ومنازل هامة مثل: داريا وسعسع والقنيطرة وكلها مبنية في مناطق زراعية[٢٦٠].

٥ - عيون التجار: بنيت في مكان يتوفر فيه الماء حيث يشكل محطة مناسبة لنزول المسافرين[٢٦١].

٦ - اللجون: بني هذا الخان وسط منطقة زراعية مزدهرة[٢٦٢].

٧ - قاقون: خان كبير ينزله المسافرون، وتتوفر فيه وسائل الراحة[٢٦٣].

---

(٢٥٦) الخياري المدني، تحفة الادباء، جـ١، ص ١٨٦.
(٢٥٧) المصدر ذاته، ص ١٨٧.
(٢٥٨) المصدر ذاته، ص ١٨٨.
(٢٥٩) المصدر ذاته، . ص ١٩٢ - ١٩٣.
(٢٦٠) المصدر ذاته، ص ١٦٠ - ١٦٣.
(٢٦١) المصدر ذاته، ص ١٦٥.
(٢٦٢) المصدر ذاته، ص ١٦٧.
(٢٦٣) المصدر ذاته، ص ١٦٨.

ثم يتبع ذلك عدد من الخانات والمنازل الأقل أهمية في الرملة وبيت لحم وبيت جبرين، والزعقا الى الجنوب بين غزة والعريش[٢٦٤].

---

(٢٦٤) المصدر ذاته، ١٧٠ - ٢٠٦.

ثانياً: الأسلحة المستخدمة في بلاد الشام

أ - الأسلحة الخفيفة (التقليدية)

ب - الأسلحة النارية (البنادق والمدافع)

جـ - البارود.

د - السفن الحربية.

كانت القوات العثمانية المرابطة في بلاد الشام تستخدم الأسلحة بنوعيها: التقليدية (أسلحة الفارس)، والنارية (الأسلحة الحديثة)، ومنذ بداية الربع الأخير من القرن السادس عشر، نجد أنواعاً مختلفة من تلك الأسلحة أخذت تنتشر بشكل واسع بين أفراد الرعية، ومن بينها كميات كبيرة من أسلحة الجيش العثماني[١] نفسه، وقد جاءت تلك الأسلحة من مصادر متعددة منها على سبيل المثال: إنه بعد الفتح العثماني لجزيرة قبرص سنة ١٥٧٠ غنم الجيش العثماني (وكان من ضمنه القوات المرابطة في بلاد الشام) الكثير من البنادق[٢]، وشكلت مخازن أسلحة الجيش العثماني مصدراً مهماً للبنادق المهربة[٣]، كما كان يتم شراء أعداد كبيرة من الأسلحة النارية من الانكشارية الذين كانوا يخرجون عن طاعة الدولة[٤]، كذلك كانت تصل الى موانيء بلاد الشام بشكل متواصل شحنات من الأسلحة المهربة سواء من استانبول أو الموانيء العثمانية الأخرى، أو من موانيء الدول الأوروبية المسيحية التي كانت تشكل في ذلك الوقت مصدراً هاماً لتجارة الأسلحة، وذلك كجزء من نشاطها التجاري مع الشرق، فكانت تتم مبادلة كميات كبيرة من الأسلحة الأوروبية مقابل كميات كبيرة من الحبوب والمنتوجات المحلية الأخرى، خاصة من قبل أرباب الزعامات والتيارات، وكان هؤلاء

---

(١) **Heyd, Ottoman** Documents, p. 78.

(٢) **Ibid,** p. 78.

(٣) Ibid, **p. 78.**

(٤) Ibid, p. 78.

بدورهم يبيعون الأسلحة للفلاحين والبدو بأثمان مرتفعة[٥].

وقد تنبهت الدولة العثمانية الى هذا الوضع، وبعثت بمراسيم متعددة الى ولاتها في بلاد الشام تنبههم الى هذا الخطر وتطلب منهم ان يحدّوا من انتشار تلك الأسلحة، وذلك بمصادرة ما هو موجود منها بين ايدي الفلاحين والبدو، ومنع محاولات تهريب الأسلحة، وقد ورد مرسوم سلطاني الى سنجق صفد سنة ٩٦٩ هـ /١٥٦١م يبين له ان فلاحي السنجق يستخدمون التفنك، وان ارباب التيارات والزعامات هم الذين يبيعون تلك الأسلحة للفلاحين، وطلب من السنجق ان يحول بين الفلاحين واستعمالهم للأسلحة[٦] وفي سنة ٩٨١ هـ/١٥٧٣م لفت السلطان العثماني نظر والي دمشق وقاضي صفد الى وجود عدد كبير من العصاة يقدر بثلاثة آلاف اكثرهم مسلحين بالبنادق والأقواس[٧]، وورد مرسوم سلطاني آخر سنة ٩٨٥ هـ/١٥٧٧م الى سنجق صفد ينص على وجود ما بين ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف من سكان السنجق ممن يمتلكون السلاح الناري، وانه يجب على السنجق مصادرة تلك الأسلحة[٨]. وفي سنة ٩٩٠هـ /١٥٨٢م ورد مرسوم سلطاني الى سنجق صفد وقاضي عكا ينص على ان الحكومة ستبعث بسفينة الى عكا لأخذ الأسلحة وآلات الحرب التي تمت مصادرتها من دروز السنجق[٩]. وبالأضافة الى ذلك فان بعض انواع الأسلحة كانت تصنع داخل بلاد الشام، وكان من الطبيعي ان يؤدي وجود الأسلحة بين ايدي افراد من الرعية الى تغييرات في بنية المجتمع الاقتصادية والأجتماعية كما سنرى.

قبل ان نبدأ الحديث عن الأسلحة وانواعها، لا بد ان نشير الى

---

(٥) Ibid, p. 78, p. 81.

(٦) **Heyd**, Ottoman Documents, pp. 80 – 81

(٧) Ibid, pp. 84 – 85

(٨) Ibid, p. 81

(٩) Ibid, p. 82.

المواد الخام التي كانت تصنع منها هذه الأسلحة، وهل كانت متوفرة في بلاد الشام، أو هل كان يتم استيرادها من الخارج؟

المعدن الوحيد الذي يمكن الإشارة اليه، والذي كان يتوفر بكثرة في بلاد الشام، هو معدن الحديد، حيث كانت تكثر خاماته في البترون وكسروان، والمتن، وعكار، ومشغرة، والفرزل وفي حوض نهر الكلب[١٠]، وكذلك في بلاد الشقيف وحوران، والمناطق المحيطة عجلون، وفي جبل الأقرع، ومناطق اخرى قرب حلب[١١] ويروي الحميري في كتابه «الروض المعطار» اثناء حديثه عن بيروت: «... وبمقربة منها جبل فيه معدن حديد جيد يقطع ويستخرج منه الكثير ويحمل الى بلاد الشام[١٢]...» وكان حديد لبنان مشهوراً بلدونته ومرونته، وكانت تصنع منه السيوف الشامية والمسامير وانعال الدواب[١٣]، وعلى الرغم من توفر هذا المعدن في بلاد الشام، الا انه بقي ضئيل الفائدة لعدم استخراجه في هذه الفترة ومن ناحية اخرى، ومن خلال القاء نظرة على قائمة الاستيراد والتصدير الواردة في قانون نامه ولاية الشام نجد ان كثيراً من المعادن كالحديد والفولاذ والرصاص والنحاس[١٤] كان يتم استيرادها علاوة على ما كانت تتعاقد الدولة العثمانية على شرائه من الدول الأوروبية من تلك المعادن. فخلال الأعوام ٩٨٦ هـ/١٥٧١م - ٩٩٩ هـ/١٥٩٠ م أقدمت الدولة

---

(١٠) الأب هنري لامنس اليسوعي، «المعادن في لبنان»، المشرق، م٨، ١٩٠٥، ص ٩٤٣، سيشار لهذا المرجع: لامنس، «المعادن في لبنان».

(١١) صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني (ت ٧٨٠ هـ/١٣٧٨ م)، تاريخ صفد، نشرة B. Lewis تحت عنوان: «An Arabic Account of the province of Safat», BSOAS, vol. XV, 1953, p. 481».

سيشار لهذا المصدر، العثماني، تاريخ صفد.

(١٢) ابو عبدالله محمد بن محمد بن محمد الحميري (ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٥ م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٢٣. سيشار لهذا المصدر: الحميري، الروض المعطار.

(١٣) لامنس، «المعادن في لبنان»، ص ٩٤٢ - ٩٤٦.

(١٤) قانون نامه ولاية الشام لسنة ٩٥٥ هـ ١٥٤٨م، ص ١٢ - ١٣.

العثمانية على شراء كميات كبيرة من القصدير والرصاص والحديد والفولاذ والبرونز والنحاس من انجلترا[١٥]. لذا، فانه كان من اليسير على طوائف الصنّاع الحصول على تلك المعادن كما وانه كان بامكان بقية افراد الرعية الذين كانوا يقومون احياناً بالمتاجرة بهذه المواد من الحصول عليها وبيعها بهدف الربح، ففي سنة ٩٩٧ هـ/١٥٨٨ م اشترت طائفتا الخناجرية والسيوفية في حماة مائة وخمسين قضيباً من الفولاذ الهندي[١٦]، وقامت طوائف الصناع في بيروت وطرابلس وحلب بشراء نفس المادة في نفس السنة[١٧]. وفي سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م نجد افرادا من حامية دمشق يتاجرون بمعدني الحديد والرصاص، فقد اقدم قائمقام وكتخذا طائفة القبوقولية في قلعة دمشق على شراء خمسة وتسعين قنطاراً ونصف قنطار، وثمانية ارطال وثلاثة اواق من الحديد، وستة وستين قنطاراً من الرصاص، وكان ثمن ذلك كله سبعمائة وتسعة وعشرين قرشاً وثلثي قرش[١٨].

كانت غابات بلاد الشام تشكل مصدراً هاماً للحصول على الأخشاب التي كانت تعتبر، مع ما يتم استيراده من ولايات الدولة العثمانية الأخرى، احدى المواد الأولية اللازمة لصناعة الأقواس، خاصة خشب القيقب وخشب التوت الأبيض[١٩]، ويعتبر الخشب مادة ضرورية في

---

(١٥) **Parry, V. J. «Barud»**, E. I^2, vol. I. P. 1063

(١٦) Rafeq: the Local Forces p. 297,

(١٧) **Parry, V. J., Materials of War in the Ottoman Emqire,** Studies in the Economic History of the Middle East, **Edited by M. A. Cook, London, 1970, p 227**
سيشار لهذا المرجع: Parry, «Materials of war»

(١٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٥ق٢ قضية ٢٠٥، ص ١٦١، ١١٠٠ هـ/١٦٨٨.

(١٩) **Paterson, W. F. «The Archers of Islam»**, Journal of the Economic and Social History of the orient, **vol. IX, part 1 -2, Leiden.**
سيشار لهذا المرجع: Paterson, «the Archers».

صناعة البنادق وعجلات المدافع واسرتها[٢٠]. هذا بالاضافة الى اهميتها في بناء المراكب والسفن الحربية، ومن الجدير بالذكر ان الدولة المملوكية في اخر عهدها كانت تعتمد على الدولة العثمانية في هذه المادة لبناء سفنها الحربية، فقد ذكر المؤرخ المملوكي ابن اياس في احداث سنة ٩١٨ هـ /١٥١٢ م، ان السلطان قانصوه الغوري بعث احد تجاره لشراء الخشب والحبال ومكاحل النحاس، من السلطان العثماني. وكان هذا التاجر محط ترحاب ابن عثمان وامده بما يحتاجه السلطان الغوري[٢١].

الأسلحة

نستطيع ان نصنّف الأسلحة المستخدمة في بلاد الشام الى صنفين رئيسيين: الاول ويشتمل على الأسلحة التقليدية، والثاني يشتمل على الأسلحة النارية بنوعيها الخفيفة والثقيلة.

أ - الصنف الأول: ويشتمل على السيوف بانواعها المختلفة. وقد تفنن الصناع في صنعها، فبلغت درجة عالية من الدقة والاتقان، وزيادة في حدة وفعالية هذه السيوف فان صناعها كانوا يغمسونها في سموم معينة[٢٢]، وقد حرص ارباب هذه الصناعة على سر صناعتهم واحتكارها لأنفسهم كما كانوا ملتزمين باداب وتقاليد هذه الصناعة التي ورثوها عن اسلافهم[٢٣]. ولم يقتصر الأمر بهم على صناعة السيوف ذات الأطراف الحادة، بل عمدوا

---

(٢٠) Parry: Materials of War, p. 219

(٢١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٨٥.

(٢٢) تبصرة ارباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء نشره: في Clude, caher
Bulletin Detudes orientales, Tom , XII, Institut francais De Damas, 1947 - 1948, pp. 106 - 108.
سيشار لهذا المصدر، تبصرة ارباب الألباب.

(٢٣) Ibid, pp. 106 - 126.

الى تزيين تلك السيوف بالمعادن والجواهر الثمينة. فهناك السيوف الفولاذية المموهة بالذهب ذات المقابض المرصعة بالجواهر[٢٤] والسيوف الفولاذية المفضضة[٢٥]، اما اغمدة تلك السيوف فمتنوعة، منها: الأغمدة السوداء، والأغمدة الفضية[٢٦]، وكان بامكان افراد الرعية الحصول على السيوف بسبب تفاوت اسعارها، فمنها ذات الثمن الزهيد والمتوسط، والباهظ الثمن[٢٧]، وكل ذلك يعتمد على نوع المعدن الذي صنع منه السيف، وطريقة صنعه، والدقة التي تم بها الصنع، وزخرفة ذلك السيف. والخناجر: وهي مصنوعة من الفولاذ، وكان اكثرها مزخرفاً ومحلّى بمعادن وجواهر ثمينة كالذهب والفضة[٢٨] والألماس[٢٩]. والأقواس: بلغت الأقواس درجة عالية من الدقة، وجودة الصنع في العهد العثماني[٣٠].

ومن الأسلحة التقليدية الأخرى، الرماح والدروع[٣١]، والتروس التي كان الكثير منها مموهاً بالذهب ومغطاة بالمخمل[٣٢]، واخرى مرصعة

---

(٢٤) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٢١.

(٢٥) دفتر القسمة العسكرية في دمشق، م١٥، قضية ١، ص ١٥١ - ١٥٥، سنة ١٠٩٩ هـ/١٦٨٧م، سجلات محاكم دمشق الشرعية. (القسمة العسكرية). م١١ ق٢، قضية ٣، ص ٢ - ٣، ١٠٩٢ هـ/١٦٨١م

(٢٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م٣٦، قضية ١، ص ١ - ٣، سنة ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦م، سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م١١ ق١، قضية ٢٧٧، ص ١٤٥ - ١٤٦، سنة ١٠٩٢ هـ/١٦٨١م.

(٢٧) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م١، قضية ٣، ص ٦٥٤، سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م.

(٢٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٤ ق١، قضية ٣٨٠، ص ١٩٣، ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦م، سجلات محاكم حلب الشرعية، م٣٦، قضية ١، ص ١ - ٣، سنة ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦م.

(٢٩) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٢١.

(٣٠) للمزيد عن صناعة الأقواس، تاريخها وتطورها وانواعها انظر:

Paterson, «The Archers», pp. 69 - 87;

E. I^{2}., vol. IV, pp. 797 - 803

(٣١) Rafeq, the local forces, pp. 294 - 295

(٣٢) **Zygulski, Jr., «Islamic weapons in polish collections and their Provenanc. ,** Islamic) Arms and Armour, London, 1979. p. 216.

سيشار لهذا المرجع: «Zygulski, Islamie Weapons»

بالياقوت[٣٣]، والخوذ[٣٤]، والبلطات[٣٥]، والدبابيس[٣٦]، وكان كثير منها مرصعاً بالياقوت[٣٧]، وكانت كافة هذه الأسلحة تصنع محلياً، مما يجعل الحصول عليها مُيسّراً، كما كانت اسعارها في متناول الجميع، لذا تسلحت بها فئات عريضة من السكان، خاصة العناصر البدوية. وكان يشرف على صياغة كل نوع من هذه الأسلحة طائفة معينة، فهناك طائفة الخناجرية، وطائفة السيوفية[٣٨]، وطائفة الأقوسية والأوتارية[٣٩] وهكذا، اما اسواق هذه الأسلحة فكانت معروفة في دمشق وحلب وحماة[٤٠]، ففي دمشق، كان سوق السلاح يقع جنوبي الجامع الأموي، ويتصل به سوق البنادقية بالاضافة الى سوق السروجيين الذي يقع الى الغرب من القلعة وتباع فيه عدة الخيل[٤١].

ب – الصنف الثاني (الأسلحة النارية)

عرفت بلاد الشام الأسلحة النارية منذ زمن المماليك، خاصة اثناء فترة حكم السلطان قانصوه الغوري، فقد شهدت هذه الفترة نشاطاً ملحوظاً في سكب المدافع[٤٢]، في الوقت ذاته كان يركز جهوده ايضاً

---

(٣٣) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٢١.

(٣٤) تبصره ارباب الألباب، pp. 114 – 116

(٣٥) سجلات محاكم حلب الشرعية، م٣٦، قضية ١، ص ١ – ٣، سنة ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦م.

(٣٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م٣، قضية ٢٣، ص ١٨ – جمعة، ١٨ – ١٩، ١٠٤٠ هـ/١٦٣٠م.

(٣٧) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٢١.

(٣٨) عبد الودود برغوث، «تاريخ حماة الأجتماعي والأقتصادي والأداري»، **الحوليات الاثرية العربية السورية**، م١٦ ق١، دمشق، ١٩٦٦، ص ٧٩ سيشار لهذا المرجع، برغوث، تاريخ حماة.

(٣٩) المرجع ذاته، ص ٩٩.

(٤٠) المرجع ذاته، ص ٩٩.

(٤١) يوسف ابن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) «**نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق**» نشره حبيب الزيات في المشرق، م٣٧، بيروت، ١٩٣٩، ص ١٨ – ٢٨. سيشار لهذا المصدر: ابن عبد الهادى. **نزهة الرفاق**.

(٤٢) **Ayelon, David,** Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom, London, 1956, P. 48

سيشار لهذا المرجع: **Ayalon,** Gunpowder and Firearms

على تطوير نظام الفروسية[٤٣]، ولم يفكر الغوري جدياً باحلال اي سلاح آخر محل سلاح الفرسان، رغم وجود سلاح جديد فتاك له القدرة على حسم المعارك في اقصر مدة، وهو التفنك (البنادق[٤٤]). ولم يتبين الغوري خطأ سياسته الا بعد ان ثبت له فشل فرسانه في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، حيث لم تمكنهم مهارتهم وشجاعتهم وفروسيتهم من الصمود امام تفنك جنود ابن عثمان. وقد أسهبت بعض المصادر المحلية في سبب انتصار الجيش العثماني على الجيش المملوكي. فكان ابن زنبل يرى ان السبب هو استخدام «المدافع والبندقيات»[٤٥] وكذلك كان في رأي الصديقي حيث يذكر المدافع التي على العجل ورماة البندق[٤٦]

١ - الأسلحة النارية الخفيفة (التفنك):

انتشر هذا النوع من السلاح مع مجيء العثمانيين، وهذا ما يؤكده المؤرخ شرف الدين بن موسى الأنصاري، اذ يروي اثناء حديثه عن محمد ابن منصور بن عساف: «فضربه رجل ببندقية رصاص بالمكحلية التي

---

(٤٣) Ibid, PP. 52 - 56

(٤٤) عبر ابن غانم الأندلسي عن الحروب التي يستعمل فيها هذا النوع من السلاح بقوله: «واعلم ان صناعة الحرب البارودية هي الآن افضل من جميع الأسلحة الموجودة لأن الحروب التي هي تخاف الناس منها اكثر من غيرها». انظر:
ابراهيم بن احمد بن غانم الأندلسي (من اهل القرن الحادي عشر الهجري) **العز والرفعة للمجاهد في سبيل الله بالمدافع**»، الخزانة العامة والجلاوي، رقم ٨٧، الرباط، صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية شريط رقم ٦٦٣، ورقة ٢٢ب، سيشار لهذا المصدر: ابن غانم، **العز والرفعة**.

(٤٥) احمد بن علي الرمال المشهور بابن زنبل (ت ٩٨٠هـ/١٥٧٣م). تاريخ السلطان سليم خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر، القاهرة، ١٩٧٨هـ ص ٢٠، سيشار لهذا المصدر ابن زنبل، تاريخ السلطان سليم.

(٤٦) محمد بن ابي السرور الصديقي (ت١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) **فيض المنان بذكر دولة آل عثمان**، الخزانة العامة، الجلاوي رقم ٨٤٨ الرباط - صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية شريط رقم ٦٦٣ ورقة ٤٠ب - ٤١أ.

ظهرت زمن الاروام ويسمونها بالتركي تفنك[٤٧] » وقد تحدثنا سابقاً عن كيفية تسرب هذه الأسلحة الى ايدي افراد الرعية وكانت تلك البنادق على نوعين الطويلة (الكبيرة)[٤٨] ويبلغ طولها ستة اقدام[٤٩] والقصيرة او الطبنجات[٥٠]، وكان يشار اليها احياناً باسم غدارة[٥١]، وقد اطلق الكثير من التسميات المحلية على البنادق، فعرف منها « الجوهدار » ذات الأساور الفضية[٥٢]، والجقمقلية[٥٣]، نسبة الى سوق السلطان جمقمق بدمشق[٥٤] **وبنادق** « بقداحة »[٥٥] (تستعمل القداحة لاشعال الفتيل)[٥٦] وبنادق « نعل بارة »[٥٧] (أي البندقية ذات وقاء من النعل)[٥٨]، والبنادق « المكحلية »[٥٩] (نسبة الى الكحل وهو مسحوق البارود)، ثم البنادق المكلمة[٦٠] (اي المكتوب عليها)، وكان بعض هذه البنادق يصنع محلياً، فقد مثل امام قاضي دمشق سنة ١١٠١ هـ/١٦٩٠م يحنا بن رزق البندقجي وكان الاتهام الموجه اليه

---

(٤٧) شرف الدين بن موسى بن ايوب الانصاري(ت ج ١٠٠٠ هـ/١٥٩٢م)، **نزهة الخاطر وبهجة الناظر**، مخطوط في الظاهرية رقم ٧٨١٤، من ص ٣٣٢ – ٣٨٠، ورقة ٥١أ، سيشار لهذا المصدر: ابن ايوب الأنصاري، **نزهة الخاطر**.

(٤٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م١١ ق ١، قضية ٢٢٧، ص ١٤٥ – ١٤٦، ١٠٩٢هـ/١٦٨١.

(٤٩) قرألي، **فخر الدين امير لبنان**، ص ٢١١.

(٥٠) دفتر القسمة العسكرية في دمشق، م١٥، قضية ١، ص ١٥١ – ١٥٥، سنة ١٠٩٩ هـ/١٦٨٧م

(٥١) سجلات محاكم حلب الشرعية، م٣٦، قضية ١، ص ١ – ٣، ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م

(٥٢) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م١١ق٢، قضية ٣، ص ٢ – ٣، ١٠٩٢هـ/١٦٨١م.

(٥٣) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م١١ق١، قضية ٢٧٧، ص ١٤٥ – ١٤٦، ١٠٩٢هـ/١٦٨١م

(٥٤) ابن عبد الهادي، **نزهة الزمان**، ص ٢٣.

(٥٥) سجلات محاكم دمشق الترعيه (القسمة العسكرية) م٧، قضية ١٨، ص ١٢، سنة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧م.

(٥٦) Rafeq, «The Local forces», p. 295

(٥٧) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م٧، قضية ٦٢٨، ص ٣٥٦، ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م.

(٥٨) **Redhousc,**' P. 32

(٥٩) ابن ايوب الأنصاري، **نزهة الخاطر**، ورقة ٥١أ.

(٦٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م١١ ق٢، قضية ١٠٢، ص ٤٩ – ٥٢، ١٠٩٤ هـ/١٦٨٢م.

انه كان يقوم ببيع بنادق من مصنعه في دمشق الى ارمن القدس. وطلب منه القاضي ان لا يكرر هذا العمل بعد ان وبخه، فامتثل ابن رزق لأمر القاضي(٦١)، وكذلك كان مينا بن جريس البندقجي يبيع البنادق والبارود والأسلحة الخفيفة من دكانه في مدينة دمشق(٦٢)..

٢ - الأسلحة النارية الثقيلة (المدافع):

يبدو ان اسرار صناعة المدافع قد تسربت الى بلاد الشام اثناء فترة الحكم المملوكي، فقد روى ابن طولون في احداث سنة ٩٠٣ هـ/١٤٩٧: ان جماعة العصاة ممن تمردوا على نائب دمشق،. قد لجأوا الى عمل المكاحل الكبار(٦٣)، ولكن يبدو ان ذلك بقي على نطاق ضيق، وما ان بسط العثمانيون نفوذهم على بلاد الشام حتى انتشرت مدافعهم في مختلف انحاء بلاد الشام، وكانت قلاع وابراج الساحل من اهم مراكز تجمع المدافع، وذلك لحماية الساحل من عمليات القرصنة ولمنع محاولات التهريب، فكانت المدافع، تحمي موانىء طرابلس وبيروت وصيدا، كما كانت القلاع الممتدة بين حلب ودمشق، ودمشق والقاهرة، ودمشق والمدينة المنورة من المراكز الهامة للمدافع وذلك لتأمين سلامة القوافل التجارية وقوافل الحجاج والمسافرين والبريد. وكان يرافق الجردة التي تخرج لملاقاة الحجاج عدد من المدافع.

ومن امراء بلاد الشام المحليين الذين استخدموا المدافع في جيوشهم الأمير حسين باشا جانبولاد(٦٤). وقد استخدمها كذلك الأمير فخر الدين

---

(٦١) Ra feq,«the local forces», P.298

(٦٢) Ibid, P. 298

(٦٣) محمد بن علي بن طولون (ت٩٥٣ هـ/١٥٤٦ م)، قطعة من تاريخ ابن طولون، نشره: Richard Harman تحت عنوان:

Das Tubinger fragment der chronic des Ibn Tulun, «Schrifren der Konigsberger Geslischart, 3 **John Heft** 2 **Berlin 1926. P. 16**

سيشار لهذا المصدر: ابن طولون، قطعة.

(٦٤) Rafeq, The local forces, P. 296

المعني الثاني ضد قراصنة البحر في مينائي صيدا وبيروت، كما انه قام بسحب المدفع الضخم الذي كان في قلعة صيدا الى قلعة شقيف ارنون، لاستعماله ضد جيوش الدولة، الا ان هذا المدفع كما يبدو كان رديء الصنع اذ سرعان ما انفجر قبل اطلاق القذيفة الثانية منه على جيش والي دمشق الذي كان يحاصر القلعة(٦٥). كما ان الأمير يوسف باشا سيفا قد استخدم المدافع ضد جيش الأمير فخر الدين المعني عندما هاجم طرابلس سنة ١٠٣٠/١٦٢٠(٦٦). اما ذخيرة المدافع فمكونة من: البارود والفتيل، وكرات الرصاص او الحجارة. ولكي يطلق المدفع قذيفته كان يحشى بالبارود ثم توضع الكرة، ثم يبدأ باستعمال الفتيل الذي يوصل الشعلة الى البارود فيبدأ بالاحتراق ويشكل طاقة دفع قوية فتنطلق الكرة الى الهدف المعين لها(٦٧). وكان يوجد في القلاع الكبيرة كقلعتي حلب ودمشق جماعة متخصصة في عمل الألغام عرفت بـ (اللغمجية)(٦٨)، وكان عمل اللغم كما يصفه المحبي: «انه اذا حوصرت قلعة او حصن وتعسر تملكه لصعوبته، يسوقون امامه تلا عظيماً من التراب، ثم يحفرون من تحت ذلك التراب سرداباً عظيماً الى ان يصلوا الى الأساس، ثم يجوفون قعر الأساس مقدار ما يريدون بحيث انهم لم يخرجوا من تحت الجدار ابداً، فان خرجوا يبطل جميع العمل وينقلون التراب من السرداب الى خارج، خفية ليخلوا ما تحته، ثم يملؤونه بالنفط والبارود طولا وعرضاً، ويضعون فتيلة ثخينة من القطن مقدار شبرين، فيحرقون اطرافها بالنار في الخارج، ويضعون، فتيلة اخرى على قدرها، ثم يأخذون بالساعة، مقدار زمان احتراقها ليعلموا

---

(٦٥) المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٦٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٠١.

(٦٧) Gulmartin, J. Francis, Gunpowder and Galleys changing technology and Mediterranean Warfare at sea in the sixteenth century, Cambridge University press, 1974, PP. 146 - 147.

Gulmartin, Gunpowder and Galleys, سيشار لهذا المرجع

(٦٨) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٥٣.

في اي وقت تصل نار الفتيلة الى البارود تحت الأرض، ثم ان العسكر يأخذون الأهبة للهجوم ويسدون باب اللغم سداً محكماً خوفاً من رجوع البارود الى خلف، وعند احتراق البارود ينقلب ما فوقه من جدار السور او غير ذلك فيهجم العسكر دفعة واحدة ويملكون القلعة(٦٩).

جـ البارود

أهم مكونات البارود:

١ - فحم الحطب (Chacoal): وهو متوفر بكميات كبيرة في مختلف اراضي الدولة العثمانية، واحسنه ما كان مستخرجاً من اغصان شجر الصفصاف(٧٠)، من هنا كان اهتمام سكان دمشق كبيراً بزراعة هذا النوع من الأشجار، خاصة اذا علمنا ان المياه متوفرة بكثرة في «المرجين والغوطة».

٢ - الكبريت :(Sulphur) كانت هذه المادة متوفرة بكثرة في بلاد الشام وهو من النوعية الجيدة، واهم مناطق وجوده: المناطق المحيطة بالبحر الميت رأس العين، وبعض المناطق المجاورة لتدمر(٧١).

٣ - نترات البوتاس:(Sltpertre) أهم مناطق وجوده في بلاد الشام هي: حوران واللجا(٧٢).

ولعمل البارود تمزج المواد التالية مع بعضها وفقاً للنسب الموضحة امامها: ٧٥٪ نترات البوتاس، ١٥٪ فحم الحطب، ١٠٪ كبريت، وينقع الخليط في الماء في مواعين خاصة معدة لطبخ البارود(٧٣)، ثم يسحق

---

(٦٩) المحبي خلاصة الاثر، جـ١، ص ١٥ - ١٦.

(٧٠) Parry, Materials of War, P. 221, Rafeq, the local forces, p. 239

(٧١) Parry, «Materials of war», P. 222.

(٧٢) Ibid, P. 222

(٧٣) Rafeq. «The Local Forces», p. 299,

المزيج بواسطة مدقات خشبية طويلة يتراوح طولها ما بين مترين الى ثلاثة امتار، ليكون العمال في منأى عن خطر الانفجار وللحصول على نوعية جيدة من البارود يجب تحريك المزيج جيداً. ثم ينشر على قطعة من القماش، ويترك حتى يجف، وبعد التجفيف يسحق المزيج وينخل ويطرح بعد ذلك للبيع[٧٤].

وهناك اشارة الى وجود مادة البارود بالقرب من الكرك، فقد أورد ابن اياس في اخبار سنة ٩١٦ هـ /١٥٢٠ م وفي ذي الحجة منه: ان الأخبار جاءت الى السلطان قانصوه الغوري في القاهرة، بأنهم وجدوا البارود في بلد خراب بالقرب من الكرك، وأن ترابها كله من تلك المادة، فأمر السلطان بطبخة فوجدوه باروداً جيداً، ففرح السلطان بذلك وأرسل من يحفر منه الشيء الكثير[٧٥].

وكان في الخليل مصنع للبارود، وقدر عدد المراجل المستخرجة منه يومياً سنة ٩٧٨ هـ /١٥٧١م بين ٥ - ١٠ مراجل[٧٦]، وفي نفس هذا العام وجه السلطان مرسوماً الى سنجق القدس احمد بيك، يطلب منه ان يقدر عدد المراجل التي يتم انتاجها يومياً في المصنع، وكم يكلف ثمن القنطار منه بالأقجات؟ وكم يقدر انتاج المصنع السنوي؟[٧٧]

وفي حماة يوجد اكبر مصنع للبارود في بلاد الشام، وقد تم تأسيس هذا المصنع زمن السلطان سليمان القانوني، وقد تعرض هذا المصنع للخراب والنهب اكثر من مرة[٧٨]، وكان عدد عماله عند انشائه

(٧٤) Ibid, P. 299

(٧٥) ابن اياس. بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٠٤، البخيت، مملكة الكرك، ص ٣٨.

(٧٦) Heyd, Ottoman Documents, P. 137.

(٧٧) Ibid, PP.137 - 138.

(٧٨) عبد الودود يوسف برغوث «صناعة البارود في حماة في القرن السادس عشر» مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، م١٨، جـ١+٢ دمشق، ١٩٦٨، ص ٧٠ - ٧٢
سيشار لهذا المرجع، برغوث «صناعة البارود».

ستين عاملا من ذوي الخبرة والمهارة[٧٩] ولكن هذا العدد كان يزيد حيناً وينقص حيناً آخر تبعاً للظروف التي يمر بها المصنع، وكان هؤلاء العمال ينتسبون الى طائفة البارودية التي كان يدير امورها شيخ يعرف بشيخ الطائفة[٨٠]. قدر انتاج مصنع حماة من البارود قبل عام ١٠٠١ هـ /١٥٩٢م بواحد وخمسين قنطاراً[٨١]، الا ان هذه الكمية انخفضت بعد اربع سنوات الى عشرين قنطاراً[٨٢]. كان يزود هذا المصنع كل من قلاع طرابلس وحلب وارواد، فبلغ وزن ما ارسل الى قلعة طرابلس سنة ١٠٠١ هـ /١٥٩٢م خمسة وعشرين قنطاراً، اما في عام ١١٣٠ هـ /١٧١٧م فقد وصلت الكمية الى سبعة قناطير[٨٣].
وبلغت احتياجات قلعة حلب من البارود سنة ٩٧٢ هـ /١٥٦٤م ثلاثة وخمسين قنطاراً[٨٤]، وبلغ ما أرسل الى قلعة أرواد سنة ١١٩٨ هـ /١٧٨٣م سبعة قناطير[٨٥]، ولكن في الاحيان التي تكون فيها الكميات المنتجة من هذا المصنع لا تفي باحتياجات القلاع المذكورة آنفاً، فان القائمين عليها كانوا يضطرون الى استيراد البارود من مصانع اخرى[٨٦] فاحيانا كانت قلعة حلب تضطر الى استيراد البارود من بغداد[٨٧]. وعندما مرّ Thevenot بحماة سنة ١٦٦٠م شاهد قافلة محملة بالبارود الا انه لم يذكر وجهة سيرها[٨٨].

كان ثمن القنطار من البارود يحدد بين شيخ طائفة البارودية وبين

(٧٩) Rafeq, «the local forces», P. 300
(٨٠) برغوث، «صناعة البارود»، ص ٧٢ - ٧٦
(٨١) برغوث، «صناعة البارود»، ص ٧٩.
(٨٢) المرجع ذاته، ص ٨٠.
(٨٣) المرجع ذاته، ص ٨١.
(٨٤) المرجع ذاته، ص ٨١
(٨٥) المرجع ذاته، ص ٨٢.
(٨٦) Parry, «Materials of War». P. 221.
(٨٧) Ibid, P. 221
(٨٨) **Thevenot,** Travels into the levant, book Part II, P. 28.

الدولة ولم يكن هناك ثمن ثابت للقنطار، بل كان يتغير باستمرار، فمثلا كان ثمن القنطار سنة ٩٧٢ هـ /١٥٦٤م الف درهم عثماني، بينما وصل الثمن سنة ٩٩٤ هـ /١٥٨٥م الى ما يقارب السبعمائة سلطاني[٨٩]، عندما جهز ناظر الخواص الشريفة في حماة اثني عشر حملا من البارود بثمن قدره سبعمائة وسبع سلطانيات[٩٠]. وكان من اسباب تذبذب انتاج مصنع حماة هو تسرب كميات من البارود الى جهات غير مشروعة، فقد ادعى مصطفى جاويش سنة ١٠١٧ هـ /١٦٠٨م على شيخ طائفة البارودية في حماة، وبيّن مصطفى جاويش لشيخ الطائفة: ان جماعته الذين يقومون بتصنيع البارود لجهة الميري منذ ثلاث سنوات، كانوا يشتغلون البارود ويبيعونه لغير جهة السلطنة، في حين لم يدفعوا من ثمن ما باعوه شيئاً لخزينة الدولة[٩١]، ومن الذين كانوا يحصلون على البارود من هذا المصنع بطريق غير مشروع امير العرب احمد ابن ابي ريشه الحياري[٩٢]، فقد اشترى هذا الأمير سنة ١٠١٧ هـ /١٦٠٨م اثني عشر قنطاراً من البارود مقابل الف قرش، وأبدى رغبته ايضاً في شراء اربعة قناطير اخرى[٩٣]، واستطاع الأمير فخر الدين المعني الثاني ان يحصل على البارود ويخزنه في قلاعه[٩٤].

---

(٨٩) سجلات محاكم حماة الشرعية، م١٣، قضية ١٢، ص ٣٠٤، ٩٩٤هـ/١٥٨٥م.

(٩٠) المصدر ذاته.

(٩١) سجلات محاكم حماة الشرعية، م٦ قضية ١، ص ٩٥، سنة ١٠١٧هـ/١٦٠٨م.

(٩٢) احمد بن ابي ريشة الحياري، امير العرب بنواحي الشام والعراق، تولى امارة عرب الحياري بعد ان قتل ابن اخيه، واستولى على خزائن الأمير ظاهر ودروعه، فهرب مدلج ابن الامير ظاهر الى عمه ديدن وعمه فياض، وشرعوا يطالبون بدم الامير ظاهر، وبعد ذلك تحسنت العلاقة بين احمد المذكور والامير دندن، وكان الامير احمد محباً للعلماء وسخياً عليهم، وقد غمر هذا الامير طويلا، وكان يقول عن نفسه، «الدهر مل من طول عمر ثلاثة احدهم أنا والثاني من ابي الجود افندي والثالث من شاه عباس» وكانت وفاته سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م، انظر: العرضي، معادن الذهب، ورقة ٣٥أ، - ٣٦ب.

(٩٣) سجلات محاكم حماة الشرعية، م٦، قضية ١، ص ٩٥، ١٠١٧هـ/١٦٠٨م.

(٩٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٢٠، ١٥٠، الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٢٤٥.

د - السفن الحربية

شهدت موانىء بلاد الشام (طرابلس وبيروت) خلال فترة الحكم المملوكي محاولات لبناء بعض المراكب الحربية الخاصة[٩٥]، في حين انها لم تشاهد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في بلاد الشام اي صناعة للسفن الحربية، وكل ما نجده ان الأمير فخر الدين المعني الثاني عندما هاجم طرابلس سنة ١٠٣٠ هـ /١٦٢٠ م، استخدم غليونين[٩٦] فرنسيين استأجرهما ووضع فيهما خمسين سكبانيا ليحاصر طرابلس بحراً ويمنع عنها الإمدادات[٩٧]، كما انه استعان بغليونين آخرين عندما غزا بلاد الأمير احمد بن طرباي سنة ١٠٣٣ هـ /١٦٢٢م، وكان في كل غليون خمسون سكبانيا بأسلحتهم. وكان للغليونين الفضل الأكبر في تخفيف حدة اندفاع رجال الأمير احمد بن طرباي خلف سكبانية الأمير فخر الدين المعني المنهزمين وكان يرافق هذه الحملة بحراً خمس عشرة شختورة[٩٨] محملة بالطحين والأرز مؤونة للجيش المعني[٩٩]. وعلينا ان نشير الى ان سفن الأسطول العثماني كانت تفاجىء سواحل بلاد الشام بين حين وآخر، لمراقبة تحركات الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي اصبح يشكل مصدر قلق للدولة العثمانية، خاصة بعد اتصالاته ببعض الدول الأوروبية.

---

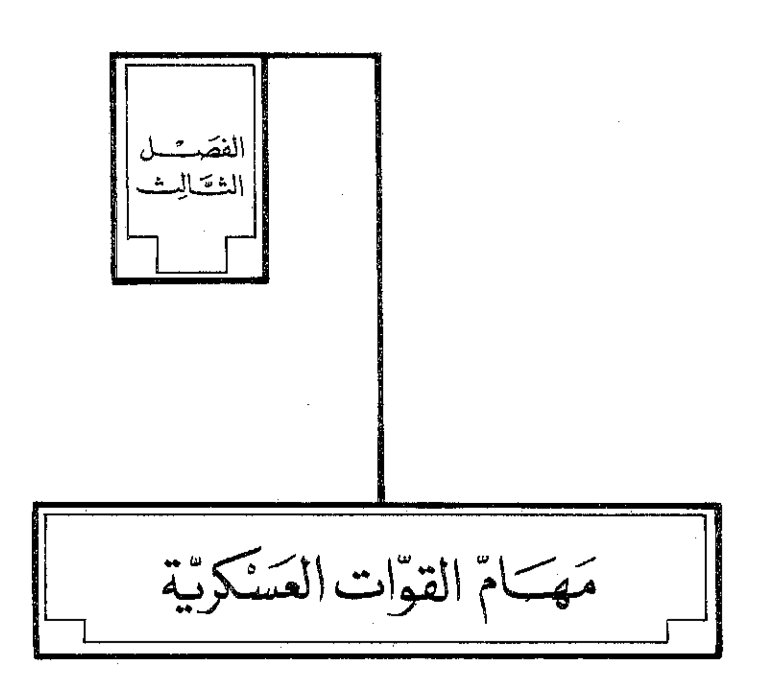
(٩٥) صالح بن يحي (ت ح ٨٤٠ هـ/١٤٣٦ م) تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس هوس اليسوعي وكمال الصليبي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٩٦) الغليون: مركب شراعي كبير.
انظر: حبيب الزيات، «معجم المراكب والسفن في الاسلام»، المشرق، م٤٣ بيروت ١٩٤٩، ص ٣٥٥. سيشار لهذا المرجع، الزيات، «معجم المراكب والسفن»، رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة ط ٢، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٨٢.

(٩٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٩٨) شختورة: مركب شراعي صغير. انظر: الزيات، معجم المراكب والسفن»، ص ٣٤٤.

(٩٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٩٠.



١ - مشاركة العسكر في حماية قافلة الحج.
٢ - مشاركة العسكر في جمع الضرائب.
٣ - دور قوات بلاد الشام في القضاء على حركات التمرد والعصيان.
٤ - مشاركة عسكر بلاد الشام في فتوحات الدولة:

أ - على الجبهة الأوروبية.
ب - الجبهة الشرقية (الصفوية).
جـ - مشاركة عسكر بلاد الشام في حملات اليمن.
د - مشاركة عسكر بلاد الشام في فتح جزيرة قبرص.

١ - مشاركة العسكر في حماية قافلة الحج

كانت حماية قافلة الحج من الأولويات الأساسية التي وضعها العثمانيون نصب أعينهم منذ فتحهم لبلاد الشام. فما أن اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش السلطنة، حتى أصدر اوامره ببناء سلسلة من القلاع على طول طريق الحج، ابتداء من المزيريب جنوب دمشق وحتى المدينة المنورة. كما أمر ان تقيم في كل قلعة حامية عسكرية، لتوفير الأمن والحماية لقوافل الحجاج، وحماية مصادر المياه القريبة منها، بالاضافة الى تقديم كافة التسهيلات التي تتطلبها قوافل الحج. الا ان ذلك لم يمنع القبائل من استغلال فترات الفوضى والضعف لمهاجمة قوافل الحجاج. فعلى أثر الاضطراب الذي نجم عن تمرد جان بردي الغزالي سنة ٩٢٧ هـ/١٥٢١ م هاجم اهل العلى القافلة ودار بين الجانبين قتال شديد[١]، تلاه غارة لعربان حوران على القافلة قبل دخولها الى مشق[٢]. وفي سنة ٩٣٧ هـ /١٥٣٠ م اعترض امير العرب ملحم الحجاج في ذات حج، ولكن العسكر المرافقين للقافلة تمكنوا من صده، فلم يحقق الأمير غايته فعزم على الانتقام، وذلك بافساد مصادر المياه التي يردها الحجاج، فتوجه من فوره الى تبوك ورمى في بركتها الأشجار، ومنها الى الأخيضر حيث وضع في بركتها الحنظل المدقوق[٣]،

(١) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٢.

(٢) شمس الدين محمد بن علي بن طولون (ت٩٥٣ هـ/١٥٤٦ م)، اعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق عبد العظيم حامد خطاب: مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٣ م، ص ٢٦٨. سيشار لهذا المصدر: ابن طولون: اعلام الورى.

(٣) الحنظل: الشجر المر. انظر: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١ هـ/١٣١١ م) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م، ١١، ص ١٨٣ - ١٨٤. سيشار لهذ المصدر، ابن منظور: لسان العرب.

ثم توجـه الى المعظم ورمـى في بركتهـا الجيـف، ونجم عن هـذا الانتقام الرهيب موت عدد كبير من الحجاج عطشاً[٤]، ومن الوسائل الأخرى التي اتبعها ولاة دمشق لحماية القافلة تعيين بعض الزعماء المحليين امراء لقافلة الحج، وقد راعت ان يكون هؤلاء الزعماء ممن يحكمون سنجقاً او اكثر من السناجق التابعة لولاية دمشق، مثل حكام غزة والقدس ونابلس واللجون وعجلون والكرك، فعلى سبيل المثال تولى الأمير قانصوه بن مساعدة الغزاوي[٥]، امير عجلون والكرك، منصب امارة القافلة مدة خمس عشرة سنة[٦]. وآلت الإمارة من بعده الى الأمير رضوان بك[٧] سنجق غزة[٨]، وتولى الإمارة من بعده فرّوخ بـك[٩] سنجـق نـابلس السنـين ١٠١٩ هـ /١٦١٠م، ١٠٢١هـ /١٦١٢م[١٠]. انتقل هذا المنصب بعد وفاته الى ابنه الأمير

(٤) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ١١ - ١٢.

(٥) قانصوه ابن مساعده الغزاوي امير عجلون والكرك وامير الحج الشامي نحو خمس عشرة سنة، كان من احسن الأمراء سيرة وكان من يحج في زمانه يستريح في سفره وكانت العرب تطيعه وتخافه فيحصل للحجاج الأمن والراحة، عمر مسجد هشام جوار سوق جقمق وتبرع من ماله للجامع الأموي، وصاهر اكابر التجار، ولما لم يخرج مع والي مصر ابراهيم باشا اثناء حملته على بلاد الدروز، وشي به الى السلطان، فأصدر امراً بالقبض عليه، واقتيد مقيداً الى استانبول، ولكن السلطان عفى عنه وارجعه اميراً للحج. وكانت وفاته سنة ١٠٠٠ هـ/١٥٩١م. انظر:
نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ٢٠١ - ٢٠٢..

(٦) المصدر ذاته، ص ٢٠١.

(٧) رضوان باشا بن مصطفى باشا، كانّ حاكماً لسنجق غزة واميراً للحاج، ثم اوكلت اليه ولاية اليمن سنة ٩٧٢ هـ/١٥٦٤م، وقد ابدى سيرة محمودة في بداية ولايته، لكنه ما لبث ان نزع الى العسف والظلم، مما سبب نقمة سكان اليمن عليه، وقامت بعض حركات العصيان السبب الذي جعل الدولة تستدعيه سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م، وسجن عدة سنوات في العاصمة ثم اطلق سراحه، وعين سنجقاً لغزة، ثم والياً على الحبشة. انظر: قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي (ت٩٩٠ هـ/١٥٨٢م). البرق اليماني في الفتح العثماني، اشرف على طبعه حمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٧، ص ١٥٧ - ١٧٧.
سيشار لهذا المصدر: النهروالي، البرق اليماني.

(٨) المصدر ذاته، ص ١٥٧، المحبي، خلاصة الاثر، جـ٢، ص ٨٨.

(٩) فرّوخ بن عبدالله امير الحاج، كان احد مماليك الامير بهرام ابن مصطفى باشا أخي الامير رضوان حاكم غزة. وبعد وفاة سيده «تنبل وشاع امره بالشجاعة والسخاء والمروءة، وصرف جهده في حراسة الركب». وكانت وفاته سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠م.
انظر: المحبي، خلاصة الاثر، ص ٢٧١.

(١٠) البوريني، تراجم الاعيـان، جـ١، ص ٢٠٢، ٢٠٥، محمـد خليـل بن عـلي المرادي

محمد بن فروخ[11] الذي بقي في الإمارة ثمان عشرة سنة[12].. وفي سنة ١٠٥٣ هـ /١٦٤٣ م تولى امارة الحج امير نابلس وغزة حسين باشا بن رضوان[13] الـــذي بقي في منصبـــه هـــذا حـــتى سنـــة ١٠٧١ هـ /١٦٦٠ م[14]. كان السبب في اختيار هؤلاء الزعماء لإمارة القافلة هو مكانتهم المرموقة التي جعلتهم موضع احترام بين القبائل البدوية[15]، اضافة الى كونهم على جانب كبير من القوة، التي تمكنهم من ارهاب العناصر البدوية، اذا حاولت الاعتداء على القافلة. فالأمير فرّوخ بذل جهده في حراسة القافلة[16]، أما ابنه الأمير محمد فقد كرّس كل جهوده لحماية القافلة، فأرعب بقوته العناصر البدوية، فأصبحت تخاف بطشه. وكما يقول المحبي « .. انهم كانوا اذا ارادوا يخوفون احدا منهم يقولون ها ،ابن فروخ اقبل فتتلوى قوائمه.. »[17]. وقد خلد الشاعر ذلك بقوله:

(ت١٢٠٦ هـ/١٧٩١ م)، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، ٤ ج، القاهرة، ١٢٩١ هـ- ١٣٠١ هـ ، اعادت تصويره مكتبة المثنى بغداد، د. ت، جـ٢ ، ص ٣٨ سيشار لهذا المصدر، المرادي، سلك الدرر.

(١١) الأمير محمد بن فرّوخ امير الحاج الشامي، ولد في نابلس، وكان من الشجعان المشهورين، وقد استولى على الامارة من ابيه سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠ م، عندما كان والده في مكة، فوقع خوفه في قلوب اهالي تلك البلاد وهابوه،«ولما توفي والده في نفس السنة سافر الى استنبول والتقى بالصدر الأعظم الذي فوض اليه امارة الحاج، فقدم الى دمشق وسار بالحجيج سنة احدى وثلاثين والف وأرهب العربان وبقي في الامارة مدة ثمان عشرة سنة، وكان يحب مجالسة العلماء والأدباء. وكانت وفاته سنة ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨ م.

انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ١٠٨ - ١١٠.

(١٢) المصدر ذاته، ص ١٠٨.

(١٣) حسين باشا ابن حسن بن احمد بن رضوان، «كان نبيهاً، كبير الهمه، وله آداب ومآثر، ولي اثناء حياة ابيه امارة نابلس وامارة الحج سنة ثلاث وخمسين والف ولما توفي ابوه صار مكانه حاكماً لغزة، فكبرت دولته واطاعته العربان»، والقت الدولة القبض عليه نتيجة لوشاية وارسل الى استنبول حيث قتل هناك سنة ١٠٧٣ هـ/١٦٦٢ م.

انظر المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٨ - ٨٩.

(١٤) المصدر ذاته، ص ٨٨.

(١٥) **Rafeq**, rovince of Damascus, P. 54.

(١٦) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٧١.

(١٧) المصدر ذاته، جـ٤، ص ١٠٨.

واذا قيـــل ابن فرّوخ اتـــى   سقطوا لو ان ذاك القول مزح

أما حسين باشا بن رضوان فقد استطاع ان يطوع القبائل البدوية خلال فترة امارته[19]. وهناك امر آخر لا يمكن تجاهله، هو ان هؤلاء الزعماء بحكم مناصبهم كانوا يتولون الانفاق على القافلة، من الأموال المترتبة على سناجقهم، التي كانوا يجمعونها باسم مال الحج. كما كان قسم من هذه الأموال يصرف على تجهيز الجردة الذاهبة لمقابلة القافلة عند عودتها، فعندما تولى الأمير فخر الدين المعني امارة الملاقاة سنة ١٠٢٨ هـ /١٦١٨م قام بجمع مال صفد ودفعه للخزينة من اجل مصاريف الجردة[20]. وفي سنة ١٠٣٢ هـ /١٦٢٢م بلغت اموال الملاقاة المقررة على سنجق صفد عشرة آلاف سلطاني بينما بلغت الأموال المترتبة على سنجق عجلون للغرض ذاته خمسة آلاف سلطاني[21]استطاعت الدولة عن طريق هذه الاجراءات السيطرة على الزعماء المحليين وتشديد قبضتها على مناطقهم[22]. وفي فترات لاحقة أخذ ولاة دمشق يعينون امراء القافلة من بين كبار انكشارية دمشق، فقد تولى عبد السلام المرعشي[23] امارة القافلة بعد وفاة الأمير محمد بن فروخ[24]. وتولى هذا المنصب ايضاً محمد بن حسن التركماني المعروف بابن تركمان. حسن[25]

---

(١٨) المصدر ذاته، جـ٤، ص ١٠٨،

(١٩) المصدر داته، جـ٢، ص ٨٨.

(٢٠) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٨٦.

(٢١) المصدر ذاته، ص ١٣٨.

(٢٢) **Rareq,** Province of Damascus, P. 45.

(٢٣) عبد السلام المرعشي: احد اعيان جند دمشق خدم في بداية امره عند الامير فروخ امير الحج الشامي وتقلب في المناصب الى ان صار باش جاويش، ثم كتخذا الجند ثم بياباشيا، وكبرت دولته وعلا صيته وانحصرت فيه امور دمشق كما يقول المحبي. وحاول المرعشي وجماعته منع والي دمشق مرتضى باشا سنة ١٠٦٧ هـ/١٦٥٦م من الدخول الى المدينة، واجبر علماء دمشق على كتابة عريضة للسلطان يطلبون منه غزل الوالي الجديد، واستمرت الفتنة حتى سنة ١٠٦٩ هـ/١٩٥٨م عندما صدر الامر بقطع رأسه مع مجموعة من اتباعه.
انظر المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٤١٧ - ٤١٨، جـ٤، ص ٤٣٩.

(٢٤) المصدر ذاته، جـ٢، ص ٤١٧.

(٢٥) محمد بن حسن التركماني، من اعيان جند الشام وسراتهم، كان والده كتخذا الجند في دمشق، وقد

(ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م)، الذي بقي في هذا المنصب مدة سبع سنوات[٢٦]. وانتقل هذا المنصب بعد وفاته الى ابنه الأمير موسى بن أحمد (ت ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م)[٢٧] الذي استطاع ان يوطد صلاته مع القبائل البدوية، وبلغ من دهائه انه أصبح لا يتزيا الا بزيهم، ولا يتكلم الاّ بلسانهم، وارتبط الأمير موسى بصداقة وثيقة مع شيخ عرب حوران (الأمير حمد بن رشيد) الذي قام سنة ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م بمهاجمة قافلة الحج وقتل جماعة من الحجاج، وغنمت عربه ما كان مع الحجاج من مجلوبات مكة، وأدى عمله هذا الى اثارة نقمة صديقه أمير القافلة، الذي خرج لملاقاته من دمشق على رأس قوة تضم قوات من دمشق والقدس ونابلس، والتقى بعرب حوران بالقرب من الزرقاء. التحم الطرفان في قتال عنيف، وانتهت الموقعة بهزيمة عسكر دمشق، وقتل امير القافلة[٢٨]. نجم عن انتصار الأعراب اختلال امور الحج عدة سنوات، الى أن تولى امارة الحاج خليل باشا، المعروف بابن كيوان[٢٩]، الذي استمرت مسؤوليته عن القافلة أربع سنوات، أرهب خلالها العربان، فوفر بذلك الأمن والراحة للحجاج، حيث يصف المحبي وضع الحجاج خلال فترة امارته بقوله: «والحجاج في ايامه مطمئنون في بلهنية من العيش ورخاء وراحة»[٣٠]. تولى الامارة من بعده سنان باشا ابن

اشتهر بفروسيته، شارك في حملة روان وأسره العجم، ورجع الى دمشق ليعين بياباشيا، وعظم قدره بين العسكر الى ان صار كبيرهم، وصارت اولاده بلوكباشية، وكانت وفاته سنة ١٠٧١ هـ/١٦٦٠ م. انظر، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٢٦) المصدر ذاته، ص ٤٢٨.

(٢٧) انظر ترجمته، هامش رقم ١٢٢، ص ٥١ من هذه الدراسة.

(٢٨) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٣٤، المرادي، سلك الدرر، جـ٢، ص ٦٣.

(٢٩) خليل بن عثمان المعروف بابن كيوان امير الحاج الشامي، كان من صدور دمشق واعيانها، ملأ صيته بر الشام حتى هابه عربانها، ثم عرضت عليه امارة الحج بعد ان اختلت امورها مدة عامين، فتولاها وكانت فترة امارته، فترة راحة للحجاج. وكانت وفاته سنة ١٠٩٢ هـ/١٦٨١ م. انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٣٠) المحبي، خلاصة الأثر، ص ١٣٣.

محمد[٣١]، أحد أعيان دمشق[٣٢]. واتبعت الدولة وسيلة اخرى لحماية القافلة، اضافة الى القوة العسكرية المعدة لمرافقتها وهي ارسال قوة اخرى تعرف بالملاقاة[٣٣] مهمتها ملاقاة الحجاج وحمايتهم من خطر الهجمات البدوية. وكانت تبوك مكان الملاقاة المعتاد[٣٤]. وسرعة قوة الملاقاة والتقاؤهم بالقافلة كانت تتوقف على نشاط وكفاءة اميرها، وما تتعرض له من اخطار اثناء مسيرها[٣٥]. وكان جغال زاده[٣٦] والي بغداد في حدود سنة ٩٩٨ هـ /١٥٨٩م أول من دعا الى هذا النوع من الحماية العسكرية، حيث نبه أولي الأمر في استنبول الى الأخطار التي كان يتعرض لها الحجاج عند اختراقهم البوادي العربية. فاقترح على الدولة تنظيم حملات مسلحة وقوية لتقوم بهذه المهمة[٣٧]. ومن امراء الملاقاة ابراهيم الطالوي[٣٨]، والأمير فخر الدين المعني الثاني، الذي بعث بكيوان بن عبدالله على رأس قوة من السكبان تقدر بخمسين

---

(٣١) سنان باشا ابن محمد، نزيل دمشق ومتولي الجامع الأموي، كان في بداية امره في خدمة الوزير مصطفى باشا الخناق والي الشام، وبقي في دمشق، حتى صار من كبار جندها، وصار زعيم دمشق ثم سردارا بخدمة المحكمة، ثم محتسبا لمدة طويلة، ثم اصبح كتخذا للجند الشامي، واوكلت اليه امارة الحج، فحج بالناس سنتين ثم عزل، وكانت وفاته سنة ١٠٧٦ هـ/ ١٦٦٥م. انظر: المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٢، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣٢) المصدر ذاته، ص ٢٢٠.

(٣٣) المصدر ذاته، جـ٤، ص ٤٣٤.

(٣٤) الخيارى المدني، **تحفة الأدباء**، جـ١، ص ٧٣.

(٣٥) ابن جمعة، **الباشات والقضاة**، ص ٥١.

(٣٦) جغال زادة، من اعظم شخصيات ذلك العصر، عرف في اوروبا باسم «سيكالا»، تقلد العديد من المناصب الرفيعة في الأمبراطورية العثمانية، وتولى ولاية بغداد سنة ٩٩٨ هـ/١٥٨٩م، وعرف ايام تقلده الحكم باصلاحاته الكثيرة، انظر:
لونغريك، ستيفن، **اربعة قرون من تاريخ العراق**، ط ٥، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الرابعة كانت في بغداد، سنة ١٩٤١، ص ٥٠. سيشار لهذا المرجع، لونغريك، **اربعة قرون**.

(٣٧) لونغريك، **اربعة قرون**، ص ٥٠ - ٥١.

(٣٨) ابراهيم الطالوي بن حسن ابراهيم، وصل في الشجاعة الى مرتبة عظيمة، ولد في دمشق، وخدم عند احمد باشا المعروف بشمسي، ولما عزل الوالي رافقه الطالوي، ثم رجع الى دمشق، وشارك في فتح قبرس، وشارك في قتال الصفويين، وتولى امارة مدينة نابلس سنة ٩٩٧ هـ/١٥٨٨م مدة سنتين، ثم رحل الى العاصمة رجع بعدها الى دمشق، وكانت وفاته سنة ١٠١٤ هـ/١٦٠٥م. انظر:
البوريني، **تراجم الأعيان**، جـ١، ص ٣٠٩ - ٣١١، المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ١، ص ١٨.

خيالا لملاقاة القافلة، وقد بذلت هذه القوة جهوداً كبيرة لتأمين السلامة والراحة للحجاج. ونالت هذه الجهود استحسان أمير القافلة(٣٩). ومن امراء الملاقاة كذلك حسن التركماني، والأمير موسى التركماني. واضافة الى ذلك فان الدولة لم تنس ان تدفع «الصرة» للقبائل الموجودة على طريق الحج الشامي محاولة منها في كسب ود هذه القبائل وضمان حماية الحجاج المارين بمناطقهم(٤٠). فاذا حدث وانقطعت الصرة ولو لفترة بسيطة فالخطر المحقق بانتظار القافلة(٤١).

٢ - مشاركة العسكر في جمع الضرائب

كانت حلب خلال فترة حكم السلطانين سليم الأول وسليمان القانوني مقرا لدفتر دار عربستان، ولكن في سنة ٩٧٥ هـ /١٥٦٧ م انفصلت دمشق عن حلب واصبح لها دفتر دار خاص بها، وعلى الرغم من هذا التدبير، الا ان الدولة واظبت على عادتها القديمة بارسال مجموعة من انكشارية دمشق كل سنة، لمساعدة دفتر دارها في جمع الضرائب، وكانت جماعة من هؤلاء تتولى الخدمة في دار الوكالة وباب القنصل الفرنسي في حلب(٤٢). ومع مرور الزمن كثر تواجدهم في مدينة حلب وريفها وأصبحوا يلتزمون القرى، ويأخذون من سكانها اضعاف المبلغ الذي دفعوه. وقد اشار الى ذلك أبو الوفاء العرضي بقوله: «كان من قديم الزمان في دولة بني عثمان يرسلون شرذمة من عساكر دمشق وعليهم شوربجي بحوالات اموال السلطنة فيحصل لهم الإنتفاع ويخدمون عند الدفتر دار وفي دار الوكالة وفي باب القنصل الفرنجي وفي كل مدة يرسلون غيرهم وعليهم شوربجي حتى قطن بحلب اعداد كثيرة منهم

---

(٣٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ، ص ١١٣ - ١١٨.

(٤٠) Bakhit, , «Aleppo and the Ottoman Military», P. 30;
Rafeq, Province of Damascus P. 70 - 72: Barbir, Ottoman Rule.

(٤١) الخيارى المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص ٨١.

(٤٢) Bakhit, «Aleppo and the Ottoman Military», PP. 30 - 31.

واتسعت اموالهم وكبر جاههم واستولوا على أغلب قرى السلطنة يعطون مال السلطان عن القرية ويأخذون من أهلها اضعافاً مضاعفة وتبقى أهل القرية جميعاً خدمة لهم جميع ما يجمعون لغيرهم لا لأنفسهم...»[٤٣].

وعندما ولي ابراهيم باشا[٤٤] حلب سنة ١٠٠٨ هـ /١٥٩٩م ورأى تسلط جند دمشق، التمس من السلطان ان يقوم عسكر قلعة حلب بمهمة جمع الضرائب، بدلا من جند دمشق، وأعلن عن استعداده بترتيب عسكر حلب على هيئة عسكر دمشق، وعزّز علماء وزعماء المتفرقة في حلب هذا الإلتماس[٤٥]، واستجاب السلطان لهذا الالتماس وعندما علم جند دمشق بخطة ابراهيم باشا صمموا على الانتقام منه ومن جند حلب، فحدثت بين الجانبين مصادمة عنيفة، قتل فيها عدد كبير من جند دمشق، لكنه فشل في طردهم من حلب[٤٦]. عند ذلك رأى السلطان انه من الحكمة تغيير الوالي بوال جديد، فعين شخصاً آخر اسمه علي باشا والياً على حلب، استطاع بمساعدة العلماء ان يجبر عسكر دمشق على الخروج من المدينة[٤٧].

وبينما كانت الدولة العثمانية تواجه حركات العصيان المتعددة في عدد من ولاياتها، ومن بينها حركة «العاصي» عبد الحليم اليازجي التي كان مسرحها جنوب الأناضول، ورد أمر سلطاني سنة ١٠٠٩ هـ /١٦٠٠م الى انكشارية دمشق بالخروج بصحبة واليها للإنضمام الى جيوش الدولة التي خرجت للقضاء على حركة اليازجي.

---

(٤٣) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٦ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٤٩.

(٤٤) ابراهيم باشا الشهير بحاج ابراهيم باسا والي حلب، تولى حلب في فترة كانت فيها السيطرة لجند دمشق، وكانوا قد افحشوا في ظلم الرعية، فعرض امرهم على السلطان وجاءه امر سلطاني يطرد عسكر دمشق، ولما رفض جند دمشق وصمموا على قتال الوالي خرج اليهم وهزمهم. وكان هذا الوالي عادلا ومحباً للعلماء، وكانت وفاته سنة ١٠٣٦ هـ/١٦٢٦م. انظر: العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨أ - ١٢أ.

(٤٥) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٣ب - ٨٤أ،
Bakhit, «Aleppo and the Ottoman Military; P. 31,

(٤٦) Bakhit, «Aleppo and the Ottoman Military», P. 31,

(٤٧) Ibid, P. 31.

وكان النجاح حليف هذه الحملة(٤٨). وفي السنة التالية خرج انكشارية دمشق كعادتهم لجمع الضرائب من حلب، وكان يترأسهم محمد باشا والي دمشق السابق، فلم تمكنها قوات حلب من دخول المدينة، فتراجعت قوات دمشق امام قصف مدافع قلعة حلب. ولم يجد عسكر دمشق ملجأ الا الالتحاق بالسردار حسن باشا بن محمد باشا المتوجه لقتال اليازجي(٤٩)، بينما تخلفت عساكر حلب متعللة بقتال عسكر دمشق(٥٠)، وبعد النجاح الذي احرزته الحملة على اليازجي سنة ١٠١٠هـ /١٦٠١م رجع عسكر دمشق الى مدينتهم دون ان يتمكنوا من دخول مدينة حلب. وفي دمشق جمعوا اعدادا كبيرة من السكبان، واستعانوا بالزعامات المحلية كالأمير فخر الدين المعني الثاني والأمير يوسف باشا سيفا. وقدّر عدد الجيش المتجمع بعشرة آلاف رجل، وتوجهوا الى حلب(٥١). في الوقت ذاته وصل عدد جند حلب الى الف وخمسمائة جندي(٥٢). حاول عسكر حلب ابعاد الخطر عن مدينتهم، فالتقوا بعسكر دمشق في قرية الراموسة، وقاتل عسكر حلب بشجاعة فائقة، لكنهم لم يحرزوا اي تقدم على القوات المهاجمة، فتراجعوا الى داخل المدينة(٥٣)، وتبعهم عسكر دمشق وأخذوا بمحاصرة حلب. وأثناء حصارهم للمدينة وصل قاضي حلب الجديد يحيى افندي ابن بستان زاده، فاستضافه عسكر دمشق وأعلموه ان عسكر حلب هم الذين خرجوا عن طاعة السلطان(٥٤)، وحاول القاضي اطفاء نار الفتنة،

---

(٤٨) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٥٩ - ٢٧٠، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٣٢٠ - ٣٢٤.

Bakhit, «Aleppo and the Ottoman Military; PP. 31 - 32.

(٤٩) العرضي، معادن الذهب، ورقة ١٨٤.

(٥٠) المصدر ذاته، ورقة ٨٤أ.

(٥١) المصدر ذاته، ورقة ٨٤أ،

Bakhit, «Aleppo and the OTTOMAN Military.» P. 32.

(٥٢) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٤أ - ٨٤ ب.

(٥٣) المصدر ذاته: ورقة ٨٤ أ.

(٥٤) العرضي: معادن الذهب ورقة ٨٤ أ - ٨٤ ب.

واستعان بعلماء المدينة، الذين اشاروا عليه بدورهم بالاستعانة بحسين باشا جانبولاد، حاكم كلس واعزاز، لاجراء الصلح بين الطرفين. وبعد ثلاثة ايام وصل حسين باشا الى حلب، مصحوباً بعدد كبير من جيشه، وبعد ان استمع الى حجج الطرفين قرّر: «أن هذه الفتنة لا يمكن أن تنتهي الا بقتل كيخية القول الحلبي، ومحمد بن النحاس، وجمال بن النحاس من شروبجية حلب»[٥٥]، وهذا ما كان يريده عسكر دمشق، الا ان عسكر حلب رفضوا هذا الشرط المجحف، وأخذوا بتحصين قلعة حلب. وأقسم عسكر دمشق بالمصحف الشريف: أنه اذا ما تم الحاق العقوبة بهؤلاء الثلاثة فانهم سيعودون الى دمشق، فاستثناء العسكر الذين كانت لهم دور في حلب، وطلبوا من عسكر حلب ان يفتحوا لهم ابواب السور. وما أن اطمأن اليهم جند حلب، حتى هجموا عليهم وقتلوا منهم ثلاثين جندياً، ولجأ من فرّ من عسكر حلب الى القلعة. فحاول حسين بن جانبولاد تهدئة الوضع، ولكنه فشل. فرحل مع قواته الى كلس وهو يقول: «سلط الله الكلاب على البقر»[٥٦]. واستمر القتال داخل المدينة ونهبت وخرّبت بعض دور الحلبيين. وتولى حلب في هذه الأثناء حسن باشا ابن علي بن الوند. فتقرب اليه جند دمشق وقدموا اليه خمسين الف قرش. وكانت الغاية من وراء ذلك أن يساعدهم الوالي الجديد على عسكر حلب[٥٧]، وبعد مباحثات بين الطرفين استقر الرأي، على ان يعرض الأمر على السلطان، «فان اعطى السلطان الاستخدام للدمشقيين، يستمر الحلبيون قولا بغير استخدام، وان أعطي للحلبيين، يستمر الدمشقيون من اهل البلد في حلب ولا يعارضهم الحلبيون ولا يضرونهم»[٥٨]. وفي نفس الوقت كان جند حلب يتحصنون داخل القلعة،

(٥٥) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٤ب.
(٥٦) المصدر ذاته، ورقة ٨٤ ب - ٨٥ أ.
(٥٧) المصدر ذاته، ورقة ٨٥أ.
(٥٨) المصدر ذاته، ورقة ٨٥ أ - ٨٥ ب.

ويشحنونها بالعتاد والمؤن، خوفاً من غدر جند دمشق. وصدق حدسهم فقد شرعت قوات دمشق بهدم بيوت الحلبيين، ونهب اموالهم. وعزم جند حلب على مباغتة جند دمشق ولسان حالهم يقول: «تغدوا بهم قبل ان يتعشوا بكم»[٥٩]. ولم تفلح محاولتهم، وذلك بسبب التجاء جند دمشق الى الوالي والقاضي والسرحتلية، وهم جند روان، وكان اميرهم يومئذ علي خان اغا[٦٠]. وتوجه عسكر دمشق مع الوالي والقاضي الى جامع حلب حيث اجبروا بعض العلماء على توقيع عريضة رفعت الى السلطان ونصت على: «ان قول حلب خرجوا عن الطاعة، وانهم الظالمون المعتدون على عساكر دمشق»[٦١]. وبعد استصدارهم للعريضة، توجهوا الى القلعة، وبدأوا بمحاصرتها من جديد، وامطروها بوابل من قذائف مدافعهم، حتى اجبروا حامية القلعة الى طلب الصلح، واستمر جند دمشق بالقصف. وأعلنوا انهم لن يتوقفوا عن ذلك، حتى يترك جند حلب الاستخدام، ويستمروا على ما كانوا عليه، كعساكر للقلعة، وان يخلعوا لباس القتال[٦٢]. فقبل جند حلب هذه الشروط على مضض، ولكنهم لم ينزلوا من القلعة، الا بعد حصولهم على الأمان من جند دمشق. الا ان جند دمشق نكثوا وعدهم، وباشروا بقطع رؤوس عسكر حلب، أمام الوالي والقاضي، دون ان يفعلا شيئاً. ويصف أبو الوفاء الغرضي مقدار ما قتل من عسكر حلب بقوله «حتى جمعوا من رؤوس الحلبيين مقدار القبة العظيمة في يوم عرفة»[٦٣]. وبعد هذا كله صفا الجو لعسكر دمشق، وصارت كلمة سردارهم خداوردي[٦٤] أنفذ من

---

(٥٩) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٥ ب.

(٦٠) المصدر ذاته، ورقة ٨٥ ب.

(٦١) المصدر ذاته، ورقة ٨٥ ب،

Bakhit, Aleppo and the Ottoman Military, P. 33.

(٦٢) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٦ أ.

(٦٣) المصدر ذاته، ورقة ٨٦ أ.

(٦٤) خداوردي بن عبدالله بلوكباشي الطاغية، كان في بداية امره من آحاد الانكشارية، وترقى الى ان صار من كبراء الجند، وكان متميزاً فيهم بالجهل والجرأة، وتوسع في الدنيا، وعظمت صولته، وتبعه =

كلام الحاكمين[٦٥]. وتولى عسكر دمشق على أثر ذلك، الخدمة في بيت القاضي وبيت الصوباشي، وبيت القنصل، وبيت الدفتردار، وشددوا من قبضتهم على الريف اكثر من السابق. وتزوجوا من بنات اكابرها، فتزوج خداوردي من ابنة الشيخ أبي الجود، وتزوج ابنه من ابنة السيد حسين نقيب اشراف حلب[٦٦]. وبقيت سيطرة جند دمشق على حلب وريفها حتى سنة ١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣ م عندما تولى حلب نصوح باشا[٦٧]، الذي طلب منه السلطان أحمد الأول (ت١٠٢٦ هـ /١٦١٧ م) أن يطرد عسكر دمشق من المدينة. وبعد ان ثبت عجز نصوح باشا عن اخراجهم، قرر الاستعانة بحسين باشا جانبولاد فبعث الأخير جزءا كبيرا من قواته بقيادة ابن أخيه علي باشا ابن جانبولاد، بينما أخذ نصوح باشا في هذه الاثناء بتحصين القلعة. وبعث الى سردار عسكر دمشق المجتمعين عند باب بانقوسة يخبرهم: ان السلطان قد رفعهم من الاستخدام، وعليهم الخروج من المدينة بعيالهم[٦٨]،

= العديد من الجند، واطاعوا اوامره، وقد لعب دوراً بارزاً في اثارة الفتن، ومنه كما يقول نجم الدين الغزي «نشأ فساد الجند الشامي»، خاصة عندما تولى سردارية العسكر الدمشقي الذاهب الى حلب، فظلم ونهب وتعدى، حتى ضجر منه اهلها وحكامها، واصبح خداوردي في حلب صاحب الحل والعقد، وكلامه انفذ من كلام الحاكمين في حلب، وكان على رأس العسكر الدمشقي الذي قاتل نصوح باشا، وخداوردي من جماعة كورد حمزة الطاغية المشهور. وكانت وفاته في بضع عشرة بعد الألف.

انظر: محمد بن نجم الدين الغزي (ت١٠٦١ هـ/١٦٥٠ م)، **لطف السحر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر**، مخطوط، الظاهرية ٤١ (١٦٨ - ٢١٧)، ورقة ٢٩ أ - ٢٩ ب، سيشار لهذا المصدر: نجم الدين الغزي، **لطف السحر**، العرضي، **معادن الذهب**، ورقة ٨٦ أ، المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٢، ص ١٠٨، ١٣٩.

(٦٥) العرضي، **معادن الذهب**، ورقة ٨٦ أ.

(٦٦) **المصدر ذاته**، ورقة ٨٦ أ.

(٦٧) نصوح باشا وشهرته بناصف باشا، والي حلب، اشتهر عنه استطاعته اخراج جند دمشق من مدينة حلب وريفها، وأعقب ذلك نزاعه مع حسين باشا جانبولاد، حيث اضطر الى تسليمه المدينة وخروجه صاغراً منها، وتولى بعد حلب نيابة السلطنة في الأناضول، وبغداد، وديار بكر واخيراً أصبح الصدر الاعظم سنة ١٠٢٠ هـ/١٦١١ م، وكانت وفاته سنة ١٠٢٣ هـ/١٦١٤ م. انظر: المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٤، ص ٤٤٨ - ٤٥١.

(٦٨) العراضي، **معادن الذهب**، ورقة ٨٦ ب،
Bakhit, Aleppo and the Ottoman Military, P. 34 .

لكنهم رفضوا ذلك. وعندما سمعوا بقدوم قوات حاكم كلس وتأكد لهم انها قد وصلت فعلا الى قرية حيلان، رأوا ان الامر خطير جداً، فأخلوا المدينة على جناح السرعة. دخل علي ابن جانبولاد بقواته مدينة حلب ففرح الناس بانقطاع آثار العسكر الدمشقي[٦٩]. وأصر نصوح باشا على ملاحقتهم. وبعد معركة حامية قرب قرية كفر طاب ولى جند دمشق هاربين الى دمشق. وفي طريقهم عاثوا فسادا وفرضوا مبالغ مالية على اهل حمص وحماة، واعترضوا القوافل. وفشلت محاولة عسكر دمشق في الاستعانة بالزعماء المحليين مرة اخرى[٧٠]. وبعد ان طهر نصوح باشا ريف حلب منهم تبعهم حتى مشارف دمشق. وطالب زعماءهم، ان يرجعوا ما لديهم من اموال الدولة، والا اضطر الى انتزاعها منهم بالقوة[٧١]. وفي هذه الأثناء ورد الى دمشق مرسوم سلطاني ينص على: عدم خروج عسكر دمشق الى حلب، وانهم اذا خرجوا، فانهم من المغضوب عليهم والمستحقين للعقوبة والهلاك من قبل السلطان[٧٢]. وعلق المحبي على انقطاع سردارية عسكر دمشق بقوله: «وانقطع امرهم عن حلب وسرداريتهم فيها وليته انقطع عن دمشق ايضاً فلعمري ان بلدة تأمن غوائلهم ولا ترى مصائبهم ونوازلهم لهي امينة»[٧٣].

لم يقتصر امر عسكر دمشق على جمع الضرائب من حلب، بل كانوا يجمعونها ايضاً من غزة. فعندما كان التاجر الانجليزي Sandys سنة

---

(٦٩) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٦٩ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٥، كامل بن حسين بن مصطفى بالي الغزى، نهر الذهب في تاريخ حلب، ٣ح، المطبعة المارونية، حلب ١٩٢٢ - ١٩٢٦ -، جـ٣، ص ٢٧٠ - ٢٧١. سيشار لهذا المرجع: الغزي، نهر الذهب، محمد راغب الطباخ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ح، حلب، ١٩٢٣ - ١٩٢٦، جـ٣، ص ٢٢٧. سيشار لهذا المرجع: الطباخ، اعلام النبلاء.

(٧٠) Bakhit, Aleppo and the Ottoman Military. P. 34.

(٧١) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٤٩ - ٤٥٠؛ الطباخ، اعلام النبلاء، جـ٣، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٧٢) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٤٩.

(٧٣) المصدر ذاته، ص ٤٥١.

١٦١٠ في مدينة غزة رأى قوة من السباهية تقدر بمائتي فارس، جاءت بأمر من والي دمشق مراد باشا، لتحصيل الأموال السلطانية المترتبة على سنجق غزة(٧٤). وشارك العسكر ايضاً في جمع الضرائب الأخرى: كالجزية المفروضة على النصارى واليهود. فقد «ادّعى بمجلس الشرع الشريف حسن بشه بن عبدالله الراجل المأمور بجمع جزية نصارى كولجك(٧٥).. على كركور ولد زكرى النصراني حواط النصارى... وقال في دعواه ان في جهته من مال السلطنة ماية وثمانية غروش اسدية فقط، واطالبه بالباقي فسئل النصراني الحواط... فأجاب بالإقرار، وقال: اني قد دفعت اليه الماية والخمسين الأسدية المذكورة، بموجب تذكرته المزبورة المتضمنة لإقراره بقبض الماية والخمسين المذكورة، فقال: حسن بشه المذكور انّى اقررت لي بقبضها وكنت كاذباً في اقراري، فلما كان من اللازم في هذا الخصوص اليمين الشرعي، حلف النصراني الحواط المذكور على انه ما كان كاذباً في اقراره بقبض الماية والخمسين..»(٧٦). تبين لنا من خلال القضية السابقة محاولة استغلال العسكر لمناصبهم، ومحاولتهم في الكسب غير المشروع. وتولى كتخدا الانكشارية في مدينة انطاكية، جمع الجزية من «نصارى مدينة حلب وعينتاب وقلعة الروم وجزية يهود مدينة حلب سنة ست وستين والف بموجب امر سلطاني»(٧٧). والتزم بعض عسكر حلب مقاطعة احتساب مدينة حلب، فقد مثل امام المحكمة في حلب «.... فخر الأماثل والأقران مصطفى بشه الراجل... وقرر بأن مقاطعة احتساب مدينة حلب قد صارت في عهدته مدة سنة كاملة... وابرزت من يده تذكرة قدوة الأماجد والأماثل اسماعيل آغا ضابط كمرك مدينة حلب. المعلّمة باسمه...

---

(٧٤) Sandys, A Relation of a journey, P. 177.

(٧٥) احدى قرى ناحية تل بشار التابعة لحلب. انظر: الغزى، نهر الذهب، جـ١، ص ٤٥٠.

(٧٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م٢٣، قضية ٣، ص ٢٣٦، ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦م.

(٧٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢، قضية ١، ص ٢٢٨، ١٠٦٦ هـ/١٦٥٥.

المتضمنه احتساب مدينة حلب الذي هو من جملة اقلام الكمرك السلطاني، قد صار في عهدة مصطفى بشه المذكور، بمعرفة قدوة الأماجد والأكارم حسن آغا كتخدا حضرة الدستور المكرم والي حلب (لم يذكر اسمه)، ليضبطها المذكور السنة المزبورة .... بمعلوم قدرة اربعة آلاف من الغروش الريالية... »[٧٨]. والتزم مصطفى جلبي ابن حسين الراجل السلطاني ميناء مدينة طرابلس[٧٩]. والتزام العديد منهم كذلك العسسية (حراسة الليل)[٨٠]، والسمسارية[٨١]، والتزم بعض الأنكشارية في دمشق الحسبة[٨٢] وسوق الخيل وميزان الحيري[٨٣]

ولم تخل عملية جمع الضرائب، والتزام بعض المرافق من تجاوزات وتعديات العسكر. فقد تكررت على سبيل المثال شكايات القنصل الأنجليزي في حلب من تعديات الوالي لبشير مصطفى غير القانونية، فقد «ادّعى في مجلس الشرع الشريف هوجه اريكو ريلة قنصل طايفة الأنكليز بحلب وادّعى... بأن المرحوم بشير مصطفى باشا، لما كان والي حلب تعدى على القنصل المذكور، واخذ خلاف الشرع ومغاير القانون بطريق الظلم والتعدي... »[٨٤]. وهناك تجاوزات عديدة تمت على يد اتباع الوالي بشير من العسكر، أمثال: بوشناق علي آغا وأحمد آغا. وقد بلغ ما تم جمعه من المال بطريق التجاوز والتعدي من القنصل الأنجليزي ...,٣٦ قرش ريالي. وقد سجلت تلك التعديات تحت

(٧٨) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢، قضية ٢، ص ٧٠٧، ١٠٦٥ هـ/١٦٥٤.
(٧٩) سجلات محاكم جلب الشرعية، م ١٣، قضية ٢، ص ٥٩، ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦م.
(٨٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ١٣، قضية ١، ص ٣٢، ٩٧١ هـ/١٥٦٣م.
(٨١) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١٨.
(٨٢) يكون صاحب الالتزام مسؤولا عن طوائف الحرف القائمة على صنع المأكولات للتأكد من صحتها وخلوها من الغش، ومراقبة الاوزان، والمقاييس والمكاييل، ومعرفة الأسعار ومعاقبة كل مخالف لها والقيام بحملات تفتيشية على الأسواق انظر:
ابن عبد الغني، اوضح الاشارات، ص ١٢٧.
(٨٣) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٣١١
(٨٤) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٤ قضية ١، ص ٤٦٧، ١٠٦٥ هـ/١٦٥٤م.

اسباب مختلفة: كالخروج دون اذن الوالي[٨٥]، ومحاولة التهريب[٨٦]، وخروج السفن الانكليزية وتجوالها مع سفن معادية[٨٧].

٣ - دور قوات بلاد الشام في القضاء على حركات التمرد والعصيان .

شهدت بلاد الشام كغيرها من ولايات الدولة العثمانية، عدداً من حركات التمرد والعصيان، وكان مثيرو الفتن والقلاقل يتحينون فترات انعدام الأمن، واضطراب الأوضاع في السلطنة، وخروج جيش الدولة من الولايات للمشاركة في حروب الدولة على مختلف الجبهات. كذلك استغلوا ضعف بعض الولاة. وقد عانى سكان الريف والمدن على حد سواء من هذه الحركات، التي لم تخلف وراءها الا الفوضى والخراب والدمار. ونستطيع ان نقسّم تلك الحركات حسب ما نجم عنها من نتائج وآثار الى اربعة اقسام، هي:

القسم الاول: حركات لا تعدو عن كونها تعكيراً لصفو الأمن، وهذه الحركات لم تكلّف الدولة جهوداً كبيرة للقضاء عليها، ومن هذه الحركات، ما كانت تقوم به بعض القبائل البدوية من سلب ونهب وقطع للطريق. فقد قامت عرب الأمير درياع بن مهنا بقطع طريق الحج ولم تسمح لقافلة الحجاج بالمرور من مناطقها[٨٨]. وهاجمت عرب آل علي منطقة المرج سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م[٨٩]. وفي عام ١٠١٧ هـ /١٦٠٨م خرج والي دمشق على رأس قوة لمطاردة وتأديب عرب آل حيار ومن معهم من السكبانية، الذين عاثوا في الأرض فساداً، وتمكنوا من احتلال قلعتي القسطل والقطيفة، فأدركهم الوالي في نواحي قلعة القطرانة،

---

(٨٥) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٤ قضية ٣، ص ٤٦٦، ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م.
(٨٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٤، قضية ١، ص ٤٦٧، ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م.
(٨٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٤، قضية ١، وقضية ٢، ص ٤٦٨، ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م.
(٨٨) ابن طولون، اعلام الورى، ص ٢٦٨.
(٨٩) المصدر ذاته، ص ٢٦٨.

والحق بهم هزيمة منكرة، كان من نتائجها قتل ثلاثمائة من السكبانية، والقبض على مائة منهم تم اعدامهم في مدينة دمشق[٩٠]. ومن هذه الحركات كذلك ما كان يقوم به الدروز من تجاوزات بين حين وآخر. فعلى سبيل المثال، خرج والي دمشق خرّم باشا[٩١] في ذي الحجة من عام ٩٢٩ هـ /١٥٢٢ م لكبس دروز الشوف، واستطاع ان يحرز نصراً كبيراً عليهم فوصلت احمال من رؤوس الدروز الى دمشق، وطيف بها على الرماح في اسواق دمشق ليراها الناس[٩٢]. وفي عام ٩٩٢ هـ /١٥٨٣م، اتهمت الدولة الدروز بالإعتداء على الخزنة المصرية المرسلة الى استنبول وذلك اثناء مرورها في جون عكّار، فخرج اليهم والي مصر على رأس قوة هزمتهم ودمرت لهم عدداً كبيراً من مواقعهم[٩٣].

القسم الثاني: حركات بدأت داخل بلاد الشام وامتدت آثارها الى المناطق المجاورة، مستغلة ظروف الدولة الصعبة على الجبهة الأوروبية[٩٤]. كان من اهم هذه الحركات، حركة العصيان التي قادها عبد الحليم اليازجي. بدأت فتنة اليازجي في مدينة صفد، عندما حرّض حاكمها درويش بك على التمرد وعدم تسليم المدينة للحاكم الجديد المبعوث من قبل والي دمشق، فاضطر والي دمشق الى تسيير قوة من عسكر دمشق لاخراجها من المدينة بالقوة. ولم يتمكن عسكر دمشق

---

(٩٠) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٩١) كان واليا على طرابلس ثم عين والياً على دمشق في ذي الحجة من عام ٩٢٩ هـ/١٥٢٢م، واستمر في ولايته حتى صفر من عام ٩٣١ هـ/١٥٢٤م، وقتل في استنبول في نفس السنة. انظر: ابن طولون، اعلام الورى، ص ٢٧٢ - ٢٧٤.

(٩٢) المصدر ذاته، ص ٢٧٢ - ٢٧٤.

(٩٣) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٨٤؛ حيدر احمد الشهابي (ت ١٨٣٥ م) تاريخ الأمير حيدر الشهابي وهو في ثلاثة اجزاء، الجزء الاول، كتاب العرر والحسان في تواريخ حوادث الزمان، والجزء الثاني نزهة الأزمان في تاريخ جبل لبنان، والجزء الثالث، الروض النضير في ولاية الامير بشير الكبير، نشره نعوم مغبغب، مطبعة السلام، القاهرة، ١٩٠٠ - ١٩٠١، ص ٦١٨ - ٦١٩. سيشار لهذا المرجع: الشهابي، تاريخ.

(٩٤) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢١٩.

من اخراجها الا بعد قتال عنيف كان اليازجي في قتاله هذا معتمداً على قوات خاصة تعرف بـ« السكبانية »[٩٥]، وهرب اليازجي مع قواته الى حلب، حيث استقر في ريفها بعض الوقت الى ان تنبه الى خطره والي حلب فأرسل قوة بقيادة خداوردي شوربجي جند دمشق لاجباره على مغادرة اراضي الولاية. وبعد صدام عنيف هزمت قوات اليازجي. ولم يجد اليازجي امامه الا التوجه الى الرها[٩٦]. التقى اليازجي في هذه المدينة بحسين باشا والي الحبشة سابقاً، والثائر على الدولة آنذاك. واتفق الأثنان على محاربة جيوش الدولة. وعندما شعرت الدولة بتعاظم خطرهما وجهت اليهما حملة على جانب كبير من القوة، بقيادة محمد باشا بن سنان باشا. واشترك في تلك الحملة قوات دمشق وحلب. وتكنت من محاصرة « العاصين »، وعندما شعر اليازجي بتشديد الخناق عليه اضطر الى تسليم حسين باشا الى قوات الدولة، مقابل السماح له ولأتباعه في البقاء بالقلعة ولم تذعن له قوات دمشق واستمرت في محاصرته. ثم عادت وتراجعت الى حلب بسبب حلول فصل الشتاء. استغل اليازجي هذه الفرصة فهرب الى عينتاب[٩٧]. وعند حلول فصل الربيع عادت قوات الدولة الى مهاجمته بقيادة حسن باشا بن محمد باشا[٩٨]، وكان يساعده ابراهيم باشا الذي قدم على رأس قوة

---

(٩٥) افرد للسكبان فصلا خاصاً. انظر ص ١٤٧ - ١٨٤ من هذه الدراسة.

(٩٦) البوريني، **تراجم الاعيان**، جـ٢، ص ٢٦١ - ٢٦٢، المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٢ ص٣٢٢. والرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. وهي الآن احدى المدن التركية. لمزيد من المعلومات انظر: شهاب الدين ياقوت ابن عبدالله الحموي الرومي (ت٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م)، **معجم البلدان**، ٦ م، طبع باشراف Wustenfeld ليبزيج، ١٨٦٦ - ١٨٧٠، أعيد تصويره على الاوفست في طهران ١٩٦٥ م، جـ٢، ص ٨٧٦ - ٨٧٨. سيشار لهذا المصدر: ياقوت، **معجم**.

(٩٧) مدينة من أعمال حلب، الى الشمال من مدينة حلب، وهي مدينة حسنة، واسعة الأرجاء كثيرة المياه والبساتين، وبها قلعة حصينة. انظر:
أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م)، **صبح الاعشى في صناعة الانشا**، ١٤ م، القاهرة، ١٩١٣ - ١٩١٩، جـ٤، ص ١٢٦. سيشار لهذا المصدر: القلقشندي، **صبح الاعشى**.

(٩٨) المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ١، ص ٢٨٦، ج ٢، ص ٤٣ - ٤٤، ٣٢٤.

قوامها عشرة آلاف عسكري من استنبول معززة بالمدافع. الا ان اليازجي الحق هزيمة نكراء بالعساكر المرسلة من استنبول وغنم ما معهم من المدافع. ولمّا رأت عساكر الشام وبغداد ما حل بجيش ابراهيم باشا، شددت من قبضتها على اليازجي، وتمكنت من هزيمته، ووضعت السيف في رقاب أتباعه، فقتل ما يزيد على أربعة آلاف رجل من «السكبانية». فهرب اليازجي الى جبال جانبك ومنها الى حصن ساميسون على ساحل البحر الأسود، حيث توفي هناك سنة ١٠١٠ هـ /١٦٠١م[٩٩].

القسم الثالث: كانت ساحة هذه الحركات خارج بلاد الشام، وقد شارك في قمعها قوات من بلاد الشام. ففي ربيع سنة ١٠١٧ هـ /١٦٠٨م توجه مراد باشا، بناء على امر سلطاني، لقتال العبد سعيد ومحمد الشهير بقلندر اوغلي وجماعتها من العصاة الخارجين عن طاعة الدولة والذين اتخذوا من بروسة في الأناضول مركزاً لعصيانهم. وقد شارك في الحملة عسكر من دمشق ومصر واستنبول، وحقق مراد باشا نصراً كبيراً على العصاة وهرب العبد سعيد وقلندر اوغلي الى بلاد الصوفيين[١٠٠]. وشاركت قوات من حلب في القضاء على العصيان الذي اعلنه متسلم عينتاب سنة ١٠٣٣هـ /١٦٢٣م[١٠١]. وكذلك اشترك جند حلب في الحملة الموجهة لقمع المتمردين الذين احتلوا البصرة سنة ١١١٢هـ /١٧٠٠م[١٠٢]. وكانت تضم عساكر شهرزور وآمد وسيواس وقرمان والبيرة وافامية وعينتاب ومرعش.

القسم الرابع: حركات تزعمتها بعض الاسر المحلية في بلاد الشام،

---

(٩٩) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ١٥٥ - ١٥٦، ١٥٧.

(١٠٠) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٩١، - ٢٩٤، المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢٨٧.

(١٠١) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٦٠.

(١٠٢) نظمي زاده مرتضى افندي، كلشن خلفا، نقله الى العربية، موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.
سيشار لهذا المصدر: مرتضى افندي، كلشن خلفا.

ودامت فترة طويلة من الزمن، حتى انها اصبحت مصدر ازعاج وقلق للدولة، وكلفت الدولة جهوداً جبارة حتى تم القضاء عليها، اضافة الى ذلك فقد كان لهذه الحركات تأثير سيء على الريف. والذي يعنينا منها، حركتان: الاولى الحركة التي تزعمتها الأسرة الجانبولادية في اواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر، وكان مسرحها مدينة حلب وريفها.

بعد ان تمكن نصوح باشا من طرد جند دمشق من ولاية حلب، عزم على القضاء على قوة الأمير حسين بن جانبولاد حاكم كلس(١٠٣)، الذي كان قد ساعده في طرد جند دمشق، وذلك لما رآه من قوة ونفوذ هذا الحاكم. وعندما علم حسين بن جانبولاد بنية نصوح باشا، جمع سكبانه واستعد للقتال(١٠٤). التقى الطرفان في كلّس. وكانت هزيمة قاسية لعسكر حلب. فتراجع نصوح باشا الى حلب، وأخذ يجمع الأجناد ويغريهم بالأموال ويحثهم على قتال ابن جانبولاد(١٠٥). اثناء ذلك ورده مرسوم من السردار سنان باشا بن جغال زادة، ينص على تعيين حسين باشا ابن جانبولاد والياً على حلب(١٠٦). فرفض نصوح باشا تسليم المدينة الى الوالي الجديد. وبعد مرور اسبوع من ورود المرسوم، وصلت عساكر حسين باشا جانبولاد الى حيلان(١٠٧). وقامت معركة قصيرة بين الطرفين على أرض القرية، ولّت على أثرها قوات حلب هاربة الى المدينة، وأخذت في تحصين قلعتها استعداداً للمواجهة. تقدم حسين باشا نحو

---

(١٠٣) تقع مديه كلس الى الشمال من حلب، وهي مركز قضاء، تبعد عن حلب ٦٠ ميلا، وهي واقعة على سفح جبل آخور المعروف هناك بجبل بيوقلي. انظر:
الغزى، نهر الذهب، جـ١، ص ٣٦٩.

(١٠٤) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٠أ.

(١٠٥) المصدر ذاته، ورقة ٧٠ أ.

(١٠٦) المصدر ذاته، ورقة ٧٠ أ - ٧٠ ب.

(١٠٧) حيلان: من قرى ناحية جبل سمعان التابعة لحلب. انظر:
الغزى، نهر الذهب، جـ١، ص ٤٦٢.

حلب وشرع في محاصرتها، وقطع الماء عن المدينة، كما منع وصول الميرة اليها. وأخذ في نصب مدافعه واقامة المتاريس استعداداً للهجوم، كما وضعت قواته الألغام تحت سور المدينة(١٠٨). عانى الحلبيون من شدة هذا الحصار، وعظم كربهم خاصة عندما قام نصوح باشا بمصادرة اموال الأغنياء والفقراء على حد سواء(١٠٩)، وأصبح «اعظم من في البلد يجد اكل البصل والخل من احسن الأطعمة...»(١١٠)، وعندما لم يجد عسكر حلب التبن لخيلهم عمدوا الى الحصر وقطعوها ونقعوها بالماء ثم اطعموها لخيلهم(١١١). ودام حصار حلب ما يزيد على اربعة أشهر، ولم يرفع الاّ بعد ان تم عقد الصلح بين الطرفين. عند ذلك خرج نصوح باشا صاغراً من المدينة، وسلّمها لواليها الجديد حسين باشا ابن جانبولاد. وما أن دخل الوالي الجديد المدينة حتى شرع بتحصين القلعة وشحنها بالسكبان، وما يحتاجون اليه من الذخيرة والمؤن. وقام بمصادرة أهل المدينة من اجل علوفات السكبان(١١٢). وعندما تبطأ حسين باشا عن الخروج بصحبة السردار سنان باشا لحرب الشاه عباس سنة ١٠١٤هـ /١٦٠٥م، صمم السردار على قتله في أول فرصة تسنح له. وصادف أن هزم سنان باشا في تلك الحملة مما زاد في حنقه على حسين باشا ولما وصل السردار الى بلدة «وان»، استقبله هناك حسين باشا ابن جانبولاد، فسارع السردار الى وضع حد لحياة حسين باشا ابن جانبولاد والي حلب(١١٣). ولما سمع علي بن جانبولاد بقتل عمه شق عصا الطاعة، وجمع حوله عشرة آلاف سكباني(١١٤)، أخذوا يعيثون فساداً في

(١٠٨) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٠ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٥ - ٨٦.
(١٠٩) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٠ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٦.
(١١٠) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٠ ب.
(١١١) العرضي، معادن الذهب، ورقة٧٠ ب.
(١١٢) المصدر ذاته، ورقة ٧١ أ.
(١١٣) المصدر ذاته، ورقة ٧١ أ، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٧.
(١١٤) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٧١. وانظر كذلك بتفصيل اكثر في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

ريف حلب، وقام بالاتصال مع الجلالية التي كانت تتخذ من الأناضول مسرحاً لها، فعظم خطره، كما انه استفاد من انشغال الدولة على الجبهة الأوروبية فأخذ في تحصين منطقته وبسط نفوذه. وجمع حوله عدداً كبيراً من السكبانية، وهزم الحملة التي أرسلتها الدولة ضده بقيادة والي طرابلس يوسف باشا سيفا، وتتبع ابن جانبولاد ابن سيفا وغزاه في عقر داره واجبره على الهروب بحراً الى اللجون[115]. ولم يكتف ابن جانبولاد بذلك بل توجه الى دمشق لسماعه برجوع ابن سيفا اليها، وشاركه في هذا الحصار الأمير فخر الدين المعني، ولم يفكّا الحصار عن المدينة الاّ بفدية مقدارها مائة ألف قرش دفعها اهالي دمشق[116]. ولّما استتبت الأمور على الجبهة الأوروبية تفرغت الدولة لقمع حركات العصيان في الأناضول وحلب. فوجهت الدولة حملة كبيرة بقيادة مراد باشا استطاعت اثناء تقدمها من تطهير الأناضول من جميع حركات العصيان التي كانت تعج بها، ولم يبق امامها الاّ حركة علي بن جانبولاد. تمكنت هذه الحملة كذلك من وضع حد لتمرد ابن جانبولاد فاستعادت حلب، بعد ان انقطعت عنها الأوامر السلطانية مدة سنتين[117]. فرّ ابن جانبولاد الى الأناضول وعندما لم يجد من يأويه هناك وجد ان عفو السلطان أقرب له، فتوجه الى استنبول طالباً العفو ومعلناً التوبة فعفى عنه السلطان[118].

والحركة الثانية التي لا تقل خطورة عن سابقتها هي حركة الأمير فخر الدين المعني الثاني[119]. وقد تمثلت خطورة هذه الحركة بتعاظم نفوذها على حساب الزعامات المحلية المجاورة، واحراز عدد من

---

(١١٥) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص ٢٨٨.

(١١٦) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢٨٧.

(١١٧) سنورد ذلك بشكل مفصل في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(١١٨) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ١٣٨ - ١٣٩، المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٨٨.

(١١٩) سنورد ذلك بشكل مفصل في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

الانتصارات على جيش الدولة، واتصالها ببعض الدول الأوروبية. فقد قام زعيم هذه الحركة بتحصين منطقة نفوذه وتأسيس قوة كبيرة من السكبان، مما جعل الدولة تشك في نشاطات ابن معن، فأصبح مصدر قلق وازعاج حتى ١٠٤٢ هـ /١٦٣٢م حينما وجهت اليه الدولة حملة كبيرة ضمت عساكر من حلب وطرابلس وغزة والقدس ونابلس واللجون وحمص وحماة[١٢٠]. وتساقطت قلاع ابن معن الواحدة تلو الأخرى حتى القي القبض عليه اخيراً في مغارة جزين، واقتيد هو وعدد من ابنائه اسرى الى دمشق، ومن ثم ارسلوا الى استنبول[١٢١].

٤ - مشاركة عسكر بلاد الشام في فتوحات الدولة

شاركت عساكر بلاد الشام في الذود عن حدود الدولة العثمانية، على مختلف الجبهات وكان لها بلاء حسن في بعض المعارك التي خاضتها، وهذه الجبهات هي:

أ - الجبهة الأوروبية:

اشتركت قوات من بلاد الشام في حرب المجر سنة ١٠٠١ هـ /١٥٩٢م، وقد دامت هذه الحرب مدة سنتين فتحت خلالها قلعة طاطا وقلعة فران وقلعة يانق. وكان يرافق عساكر بلاد الشام مدفع عليه علم الرسول صلى الله عليه وسلم[١٢٢]. ويذكر نجم الدين الغزي: أن عساكراً من بلاد الشام قد شاركت في قتال النصارى سنة ١٠١٥ هـ /١٦٠٦م، (ويعتقد ان الحرب كانت مع النمسا) وكان النصر حليف القوات العثمانية[١٢٣]. وفي سنة ١٠٦٧ هـ /١٦٥٦م اشتركت قوات من

---

(١٢٠) المحبي، خلاصه الأثر، جـ١، ص ٣٨٦.
(١٢١) المصدر ذاته، جـ١، ص ٣٨٧.
(١٢٢) المحبي، خلاصة الأثر، ص ٣٥٣.
(١٢٣) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ١٠ ب.

بلاد الشام في حصار قلعة قندية[١٢٤]. وقد اظهر بعض افراد القوة الشامية شجاعة فائقة في القتال، كالأمير موسى بن محمد المشهور بابن تركمان. وكانت تلك الحملة سبباً في شهرته بالفروسية[١٢٥]. وفي عام ١٠٨١ هـ /١٦٧٠ م توجه صارى حسين (ت ١٠٩٤ هـ /١٦٨٢ م)[١٢٦] والي دمشق على رأس قوات دمشق لمساعدة القوات العثمانية التي تحاصر قلعة قامنيجة من بلاد الليه[١٢٧]. وكانت الكسرة على الجيش العثماني، وعزى سبب الهزيمة الى سوء تدبير والي دمشق، مما جرّ عليه غضب السلطان، فعزله عن ولاية دمشق، ولكنه ما لبث ان اعيد اليها نتيجة لتدخل والدة السلطان[١٢٨]. وفي سنة ١٠٩٤هـ /١٦٨٣م أمر صاري حسين مرة اخرى بالسفر على رأس عسكر دمشق، لمشاركة جيش الدولة في محاصرة قلعة بتيج «بودابست» من بلاد الأنكروس (المجر). فتوجه الوالي مع عساكره والتقى بجيوش الدولة المتجمعة في بلغراد ثم توجه بصحبتها لمحاصرة القلعة. وأثناء حصار جيوش الدولة العثمانية للقلعة، داهمتهم الجيوش الاوروبية المكونة من جيوش بولونيا والمانيا والنمسا وجيوش اوروبية اخرى بمباركة البابا ولما ايقنت القوات العثمانية انها

---

(١٢٤) قلعة منيعة في جزيرة كريت، وكانت في تلك الفترة تابعة لجمهورية البندقية، وتمكن العثمانيون من احتلالها سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م.
انظر: اسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ٣ ج، بولاق، القاهرة، ١٣١٢ هـ - ١٣١٦ هـ ، جـ١، ص ٥٩٨ - ٥٩٩. سيشار لهذا المرجع: سرهنك، حقائق.

(١٢٥) المحبي، خلاصة الاثر، جـ٤، ص ٤٣٤ - ٤٣٥

(١٢٦) صاري حسين، ولي حلب ومن بعدها ولي دمشق سنة ١٠٨١ هـ/١٦٧٠م. واشترك في حملة قمينجة، وعزل على اثرها بسبب سوء تدبيره، لكنه ما لبث ان رجع والياً على دمشق نتيجة لتدخل والدة السلطان. وكانت وفاته سنة ١٠٩٤ هـ /١٦٨٢م.
انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ١٢٤.

(١٢٧) تعرف حالياً باسم بولونيا.
انظر: سرهنك، حقائق، جـ١، ص ٦٠٠.

(١٢٨) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ١٤٢.

هالكة، ركنت الى الفرار، وكانت هزيمتها شنيعة[١٢٩].

ب - الجبهة الشرقية (الصفوية):

شاركت قوات الشام جيش الدولة أكثر من مرة في قتال الصفويين، خاصة زمن السلطان مراد الثالث ابن سليم (ت١٠٠٣ هـ/١٥٩٥ م)[١٣٠]، فعلى سبيل المثال في سنة ١٠٢٥ هـ/١٦١٦ م عين السلطان أحمد الأول (١٠٢٦ هـ/١٦١٧ م) الوزير محمد باشا والي دمشق سردارا على العساكر المتوجهة لقتال الشاه عباس[١٣١]. وعند سقوط بغداد بيد الشاه عباس، انتدب السلطان والي آمد أحمد باشا الحافظ[١٣٢] (ت ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م) للتوجه إليها واسترجاعها من يد الصفويين، وجعله سردارا على العساكر المتجمعة من الروملي والاناضول ومصر وحلب ودمشق. وكان بحوزة هذه القوات عدد كبير من المدافع. ولكن جيوش الدولة العثمانية لم تتمكن من استعادة المدينة نظراً لسوء إدارة الحافظ العسكرية، وحاول مراد باشا قائد قوات حلب أن يهاجم الشاه عباس، لكنه مني بهزيمة كبيرة وخلّف في أرض المعركة عدداً كبيراً من مدافعه[١٣٣]. وهناك بعض القضايا الشرعية التي ترد في سجلات محاكم دمشق الشرعية تشير الى مشاركة قوات من دمشق في القتال على الجبهة

---

(١٢٩) المصدر ذاته، ص ١٢٥، ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٤٤ - ٤٥، دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ٢، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(١٣٠) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١٨.

(١٣١) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٥١.

(١٣٢) احمد باشا المعروف بالحافظ، احد وزراء الدولة العثمانية الكبار، ولي دمشق سنة ١٠١٨ هـ/١٦٠٩ م، وساس الأمور في بداية ولايته على النهج القويم، ثم ما لبث ان لجأ الى الظلم، وارعب اهل دمشق، وكانت له دراية في الحروب، وقام بحملتين فاشلتين على الأمير فخر الدين المعني الثاني، ولما جهة انفصل عن ولاية الشام عين والياً على آمد، ثم عينه السلطان سردارا للعساكر العثمانية المتوجهة الى بغداد لاستعادتها من يد الصفويين، لكن الحملة فشلت، وعزل على اثرها عن آمد، وتولى في استنبول الصدارة العظمى، الا أن العساكر ثارت عليه وقتلته سنة ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م.

انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٨٠ - ٣٨٥.

(١٣٣) المصدر ذاته، ص ٣٨٤، مرتضى افندي، كلشن خلفا، ص ٣٢، دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ٢، ص ١٩٥ - ١٩٨.

الصفوية سنة ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩ م، وان هذه الحرب قد أدت الى قتل عدد منهم، وتبين كذلك ان سردار العساكر المتوجهة لقتال الصفويين في تلك السنة هو الوزير الأعظم خسرو باشا. ومن هذه القضايا على سبيل المثال ما يلي: «... سبب تحرير هذه الحروف.. بمحضر حضرة ابراهيم باشا الدفتردار بالشام دامت معاليه على الدوام الضابط لموجودات المرحوم جعفر بن عبد الله الفرنجي الاصل، الينكجري بدمشق، المتوفي بسفر بغداد حال كونه مندوباً بالسفر المزبور صحبة العساكر الشامية العثمانية في ركاب الصدر الاكرم المنير المفخم حضرة خسرو باشا الوزير الأعظم...»(١٣٤). وبأمر من الدفتردار «... نظر القسّام العسكري بشأن التركة المضبوطة عن جودات اسماعيل بشه ابن عاشور الينكجري بدمشق، من بلوك محمد سوباشي ابن درويش، المتوفي بسفر بغداد سنة تاريخه (بعد فرض؟) زوجته عقيب الاستشهاد الشرعي الصادر عن حامل هذا الكتاب، فخر الاقران مصطفى اوده بشه، اشهدهم على نفسه، حين إرادته التوجه والمسير صحبة العساكر الرومية في أواخر محرم سنة تسع وثلاثين وألف..»(١٣٥). وفي سنة ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م توجهت عساكر دمشق بقيادة والي الشام الكجك أحمد (ت ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م)(١٣٦) للمشاركة في قتال الصفويين، واستشهد

---

(١٣٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٣، قضية ٤٥، ص ٣٧ - ٣٨، ١٠٤٠ هـ/١٦٣٠ م.

(١٣٥) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٣، قضية ١٠٥، ص ٨٠ - ٨١، سنة ١٠٤٠ هـ/١٦٣٠ .

(١٣٦) احمد باشا الوزير المعروف بكجك احمد، احد الوزراء المشهورين بالشجاعة وشدة البأس وحسن التدبير، وكان عارفاً بأحوال الحروب، تولى سيواس ثم دمشق سنة ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩ م. ثم زل ليتولى كوتاهية ونتيجة لما ابرزه من كفاءة في حربه مع الياس باشا الثائر في الروملّلي عينه السلطان مرة اخرى والياً على دمشق سنة ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م، وخلع عليه الوزارة، وانتدبه لقتال الامير فخر الدين المعني، واستطاع هذا الوزير ان يحرز نصراً باهراً على ابن معن ويقتاده اسيراً الى الأبواب السلطانية سنة ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢، وكانت وفاة الكجك سنة ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦. انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٨٥ - ٣٨٨.

الكجك في هذه الحرب[١٣٧]. كما واستشهد عدد غير قليل من عساكره. وتبين لنا ذلك سجلات محاكم دمشق الشرعية، فقد «أقام مولانا العلامة محب الله أفندي... القسّام العسكري بدمشق... فخر الأماجد والأعيان بكير بلوكباشي ابن عثمان بيك ابن الياس كتخدا... وصيا وضابطاً على قدر ما خصّ فخر الاماجد والاعيان على أفندي المقاطعجي سابقاً بدمشق الغايب يومئذ بسفرها يوني...»[١٣٨]، وتوجه «فخر الأماجد والأعيان عمر بلوكباشي ابن المرحوم أحمد بن أعيان البلوكباشية... في سفرها يوني صحبة العساكر المنصورة، ووكّل صهره فخر الأماثل... مصطفى بشه ابن جبرائيل الينكجري بدمشق من بلوك حسين بلوك باشي الأرنود، في ضبط تعلقاته بقرية نوى التابعة للجيدور من أعمال دمشق...»[١٣٩]، وتسلّم «فخر الأماثل والاقران محمد بشه بن المرحوم عثمان بلوكباشي.. الوصي المختار من قبل أخيه... أحمد بلوكباشي المسموع خبر وفاته ببلاد العجم بالسفر السلطاني الواقع في سنة تاريخه، على أولاده هم عثمان وحسن ورقية ومريم وخديجة...»[١٤٠].

جـ - مشاركة عسكر بلاد الشام في حملات اليمن

اشتركت عساكر من بلاد الشام في بعض الحملات المرسلة الى اليمن، وقد ساهمت هذه القوات مع غيرها من قوات السلطنة العثمانية في تثبيت قواعد الأمن والاستقرار هناك، ففي سنة ٩٧٢ هـ/١٥٦٤م أوكلت ولاية اليمن الى رضوان باشا[١٤١] حاكم سنجق غزة، وعندما توجه الى تلك الديار كانت تصحبه قوة عسكرية كبيرة استطاع

---

(١٣٧) المصدر ذاته، ص ٣٨٨؛ ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٣٣.

(١٣٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤، ق ١، قضية ٩٥، ص ٤١، سنة ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥م.

(١٣٩) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٤، ق١، قضية ١٩٠، سنة ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥م.

(١٤٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤، ق ١، قضية ٤٥٨، ص ٢٤٥ - ٢٤٦، سنة ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦م.

(١٤١) انظر ترجمته، هامش رقم ٧، ص ١٠٢ من هذه الدراسة.

بواسطتها أن يفرض الأمن والنظام، خاصة في مناطق صنعاء وعدن وجبال اليمن موطن العصيان[١٤٢]. ولما عزل رضوان باشا عن اليمن سنة ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م وخرجت معه قواته، تاركاً وراءها فراغاً لم يستطع الجيش العثماني المرابط في اليمن أن يسده وذلك بسبب ضعفه، فيصف النهروالي ذلك بقوله: « ... لمّا خلت اليمن من مماليكه وخواصه وعلوفجيته وهم من شجعان العسكر وسباعهم وشجعانهم وفرسانهم ولم يبق في صنعاء إلا عسكر ضعيف..[١٤٣] » ويبدو أن الأهالي من الزيدية الشيعة استغلوا ذلك الفراغ ليبدأوا بثوراتهم، مما جعل الدولة سنة ٩٧٥ هـ/١٥٦٧ م ترسل حملة الى اليمن لتأديب العصاة.[١٤٤] وكانت الحملة تتكون من عساكر القاهرة ودمشق، وشارك فيها ثلاثمائة من انكشارية دمشق، ولكن في العام التالي ٩٧٦ هـ/١٥٦٨ م تم إرسال ألف وخمسمائة من الانكشارية المسلحين بالأقواس، وبعض الفرسان من ولاية دمشق الى اليمن[١٤٥]. ويذكر المحبي أنه كان في خدمة قانصوه باشا[١٤٦] والي اليمن، عند توجهه الى مكة المكرمة سنة ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩ م، ألفان من القوات الشامية، وان هذه القوات قد انقسمت الى قسمين عندما رأت عجز الوالي وضعفه: قسم التحق بالزيدية، والقسم الآخر عاد الى بلاد الشام[١٤٧]. وعلى كل الأحوال فإن اليمن لم تشكل منطقة جذب للقوات العثمانية، فكان عسكر الشام يكره التوجه إليها بسبب بعدها، ولطبيعتها الجغرافية، وكثرة حركات عصيان القبائل فيها. هذا

---

(١٤٢) النهروالي، البرق اليماني، ١٥٧ - ١٦٥.

(١٤٣) المصدر ذاته، ص ١٧٥.

(١٤٤) Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, P. 109.

(١٤٥) Heyd, Ottoman Documents, P. 64 - 69.

(١٤٦) قانصوه باشا ولي اليمن سنة ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩ م، وتوجه في نفس السنة الى مكة، ولما عاد الى اليمن تجبّر وظلم، وثارت عليه عساكر اليمن، كما دارت الحرب بينه وبين الزيدية ولم تهدأ الا بهدنة عقدت بين الطرفين. وكانت وفاته سنة ١٠٦٠ هـ/١٦٥٠ م.
انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

(١٤٧) المصدر ذاته، ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

بالاضافة إلى سبب مهم آخر هو: قلّة الرواتب التي كانت تدفع لهم. لذلك كانت الدولة تجبر العسكر على التوجه الى اليمن، بعد اختيارهم، وغالباً ما تكون العناصر المختارة من بين مثيري الشغب في صفوف الجند. وكان الفرد الذي يقع عليه الاختيار موضع سخرية وشماتة من الآخرين، فقد روى ابن جمعة في حوادث سنة ١٠٧٣ هـ/١٦٦٢ م: «وكان السفر فيها الى بلاد اليمن، وكان جماعة الوالي يجلسون على الطرقات ومعهم ريش وكل من رأوه وضعوا على رأسه ريشة ونادوا عليه مستاهل ولما كمل المسافرون ارسلوا الى بلاد اليمن وبعد مدة هرب رجل من الجماعة وأخبر أن الجميع قد قتلوا»(١٤٨). وكان من الطبيعي أن تناقل مثل هذه الأخبار يزيد في قلق جند الشام وحيرتهم.

د - مشاركة عسكر بلاد الشام في فتح جزيرة قبرس

اشتركت عساكر من قلعة دمشق في الحملة الموجهة لفتح جزيرة قبرس سنة ٩٧٨ هـ/١٥٧٠ م، وكانت الحملة بقيادة السلطان سليم الثاني(١٤٩). بلغ عدد جند دمشق في هذه الحملة ثلاثمائة انكشاري، كما شاركت بعض الزعامات المحلية كذلك في فتح الجزيرة(١٥٠). فقد روى البوريني: أن ابراهيم الطالوي(١٥١) رجع الى دمشق أيام منازلة العثمانيين لجزيرة قبرس، وجمع ذخائر للعساكر التي تحاصر الجزيرة من بلاد الشام، وقد تم إرسال الذخائر في المراكب من ميناء طرابلس(١٥٢). وورد مرسوم سلطاني الى والي دمشق في نفس السنة ينص على أن ترسل عائدات الزعامات في سنجقي جينين واللجون الى جزيرة قبرس، وقد

---

(١٤٨) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٣١.

(١٤٩) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٣٠٩، المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١٨، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٦٩ - ٢٧٠،

Bakhit, The Ottoman Province of Damscus,

(١٥٠) Bakhit, The Ottoman Province of Damscus, p. 110.

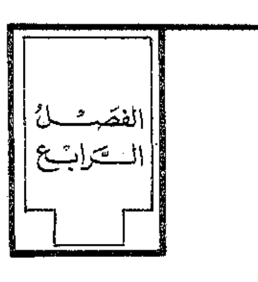
(١٥١) انظر ترجمته هامش رقم ٣٨، ص ١٠٦ من هذه الدراسة.

(١٥٢) البوريني، تراجم الاعيان، جـ١، ص ٣٠٩، المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١٨.

قدّرت هذه العائدات بعشرين ألف أقجة(١٥٣). وبعد آن تم فتح الجزيرة رابطت فيها بعض القوات العثمانية ومن ضمنها عساكر من بلاد الشام(١٥٤).

(١٥٣) Heyd, Ottoman Documents, P 65 – 79; **Hill, George,** A History of Cyprus, vol. I and IV, Cambridge University Press, London, 1949 – 1952, vol. IV, P 2,
سيشار لهذا المرجع: **Hill,** A history of Cyprus.

(١٥٤) Hill, Histoiry of Cyprus, vol, IV, P. 2.



إنحلال القوات العسكرية

١ - شغب العسكر في ولاية دمشق
٢ - شغب العسكر في ولاية حلب

لاحظنا من خلال استقرائنا لمجريات الأحداث في بلاد الشام خلال الفترة التي ندرسها مدى الضعف والانحلال الذي أصاب القوات العثمانية المرابطة في بلاد الشام منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر، وطول فترة القرن السابع عشر، وكيف أصبحت هذه القوات لا تتقيد بالضبط والربط العسكري. وسنستعرض بعض حوادث الشغب التي قام بها العسكر في كل من ولايتي دمشق وحلب:

١ - شغب العسكر في ولاية دمشق

وقع أبرز حادث لشغب العسكر في دمشق سنة ٩٨٧هـ/١٥٧٩م عندما أقدم أحد الجلادين على قتل أحد مشايخ دمشق. وقد أثار مقتل الشيخ سخط ونقمة الانكشارية الذين ألقوا القبض على الجلاد وقطعوه بالسكاكين[١]. وملخص القصة كما سمعها نجم الدين الغزى من كثير من أهالي دمشق أن الشيخ يحيى السايس «كان صالحاً قطعت رأسه بسبب أنه سب شريفاً وسب جده وأثبت ذلك عليه بالتعصب وضربه الجلاد بالسيف مرتين أو ثلاثاً فلم ينقطع عنقه فذبحه ذبحاً فثار الينكجرية بالجلاد وقطعوه بالسكاكين...[٢]». وقد حدث شغبهم هذا في وقت كان

---

(١) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ٢٢٠.

(٢) **Lewis, Bernard,** The Emergence of Modern Turkey, Oxford University press, **London, Reprinted, 1962, PP. 27 - 28.**

سيشار لهذا المرجع: **Lewis,** The Emergence

عبد الكريم رافق، «ثورات العساكر في القاهرة في الربع الاخير من القرن السادس عشر والعقد الاول من القرن السابع عشر ومغزاها» ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ٣ ج، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠ - ١٩٧١، جـ٢، ص ٣١٦، سيشار لهذا المرجع: رافق، ثورات العسكر.

فيه العسكر ناقمون على الدولة بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية، والتضخم المالي الذي نتج عنه، انخفاض القيمة الشرائية لمرتباتهم الثابتة، وتحت وطأة هذه الأوضاع اضطر أفراد الحاميات العسكرية في بلاد الشام الى الخروج من ثكناتهم ومشاركة الرعية في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما تمثل ذلك أيضاً في المنافسة التي كانت تتم بين جند دمشق وجند حلب، حيث تحولت هذه المنافسة الى صراع مسلح على شكل حملات عسكرية جردها جند دمشق على حلب، وتخلل تلك الحملات وقوع معارك عنيفة بين الطرفين تسببت في وقوع الكثير من الضحايا، كما فضل كثير من عسكر دمشق الإقامة في مدينة حلب وريفها على العودة الى دمشق(٣).

ومما زاد في طغيان الانكشارية في دمشق، الأوضاع المتردية التي سادت الدولة العثمانية زمن حكم السلطان محمد الثالث (١٠٠٣هـ/١٥٩٦م - ١٠١٢هـ/١٦٠٣م)، بسبب طغيان الانكشارية والسباهية في استنبول، وتزايد عنف الحركات الخارجة عن طاعة الدولة. كحركة الجلالية، وحركة عبدالحليم اليازجي اللتين اتخذتا من الأناضول مسرحاً لعملياتها(٤)، يضاف إلى ذلك انشغال جيوش الدولة العثمانية على الجبهة الأوروبية. فحدثت فتنة بين إنشكارية دمشق سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م، وطالب بعضهم بقتل كيوان بلوكباشي(٦) وكتخداه

(٣) انظر: ص ١٠٧ - ١١٦ من هذه الدراسة

(٤) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢٢٠.

(٥) **Bakhit, Aleppo and the Ottoman Military, P. 31**

(٦) كيوان بن عبدالله مؤسس البيت الكيواني، احد اعيان الجند في دمشق، كان مملوكاً لرضوان باشا نائب غزة، وبعد وفاة سيده انخرط في صفوف انكشارية دمشق، وترقى في المناصب الى ان اصبح بلوكباشي، ثم سردارا بصالحية دمشق لعدة سنوات، ثم تولى سردارية دمشق، واستغل منصبه فاستولى على اكثر بساتين المزة والربوة واخذ اكابر اهل دمشق بالحيلة وعوامهم بالرهبة، لسعة جاهه وانقياد الحكام له، وكان يعتمد على كتخذا ابراهيم بن البيطار، الذي كان من اخبث الناس واشقاهم واسعاهم في اذى الناس. وترأس كيوان في دمشق احد اجنحة العسكر وثار عليه انكشارية دمشق اكثر من مرة، كان يهرب على اثرها كيوان الى الأمير فخر الدين المعني، وقتله الامير فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٤م،

ابن البيطار. فهرب الاثنان واحتميا بابن معن[٧] وبعد ان هدأت الأوضاع رجع كيوان الى دمشق بمساعدة الأمير فخر الدين المعني الثاني، وقد نجح الأخير في التقريب بين الجناحين المتصارعين داخل عسكر دمشق، وطلب من الطرفين أن «يكونوا شيئاً واحداً عدو أحدهم عدو لهم جميعاً وصديقه صديقهم»[٨]، وبذلك تم توحيد كلمتها وبلغت مكانتها من القوة والنفوذ بحيث أصبح كل منها يستطيع تنفيذ ما يريد دون ان يجرؤ أحد من الحكام على معارضته[٩]، وفي هذه الأثناء هاجم ثلاثمائة من القابوقولية في دمشق جماعة الوالي أحمد باشا الحافظ وقتلوا منهم نحو عشرين رجلا، وكان السبب في نظرهم: أن جماعة الوالي قتلت أحد القابوقولية الذي كان في حالة سكر[١٠]. وأعقب ذلك بعد خمس سنوات (أي سنة ١٠٢٧ هـ/١٦١٧ م) تمرد قامت به إنكشارية دمشق بسبب قتل أحدهم على يد شوربزة حسن (ت ١٠٢٧ هـ/١٦١٧ م)[١١] وأرادوا قتله لكنه هرب، ولم يرجع الى الخدمة[١٢]، ولم تدم العلاقة الودية بين جناحي الانكشارية في دمشق طويلا، فقد استطاع الجناح المؤيد لكورد حمزة[١٣]. مجدداً من طرد كيوان بلوكباشي وبعض كبار أنصاره وأراد

= انظر: نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٤١ ب - ٤٢ ب، المحبي خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٩٩ - ٣٠٣، المرادي، سلك الدرر، جـ١، ص ١٠٦ - ١٠٧، الشدياق، اخبار الأعيان، جـ١، ص ٢٧٢ - ٢٧٧.

(٧) المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٣، ص ٣٠١، المعلوف، **تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني**، ص ٩٤.

(٨) الخالدي، الصفدي، **تاريخ الامير فخر الدين المعني**، ص ٩٤.

(٩) نجم الدين الغزي، **لطف السحر**، ورقة ٤٢ أ، الخالدي الصفدي، **تاريخ الامير فخر الدين المعني**، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(١٠) البوزيني، **تراجم الاعيان**، جـ١، ص ٢٠٣.

(١١) شوربزة باشا بن عبدالله المعروف بشوربزة حسن، كان احد الانكشارية في دمشق، ثم ترقى حتى صار كتخذا، وحدثت فتنة بينه وبين طائفة اجبرته على الخروج من الخدمة، وسافر الى استنبول مراراً، واشتهر برغايته للأيتام وتنمية اموالهم،، وتعمير الأوقاف وتنمية اموالها، ثم تولى دفتر دارية الشام واجتهد في جمع الأموال السلطانية، وعمر سوق المرادية وحمام البزورية وكانت وفاته سنة ١٠٢٧ هـ/١٦١٧ م،

انظر: نجم الدين الغزي، **لطف السحر**، ورقة ٢٧ ب، المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٢، ص ٢٤ - ٢٧.

(١٢) نجم الدين الغزى، **لطف السحر**، ورقة ٢٧ ب، المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٢، ص ٢٥ - ٢٦.

(١٣) كورد حمزة احد بلوكباشية جند دمشق، وسردار عساكر دمشق الى حلب. وقد لعب دوراً بارزا

كورد حمزة استغلال قوة نفوذه في دمشق، فأخذ يبعث برسائل الى الأمير يونس بن الحرفوش يحضه على مهاجمة الأمير ابن معن، وفي نفس الوقت استطاع أن يقنع والي دمشق بمهاجمة الأمير فخر الدين، وأكد له أن كيوان بلوكباشي كان وراء تنظيم جيش ابن معن فجرد الوالي سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م حملة كبيرة ضد الأمير ابن معن، والتقى الطرفان في عنجر واستطاع جيش ابن معن أن يوقع هزيمة كبيرة بجيش الوالي، وأن يقع الوالي نفسه أسيراً في يد ابن معن. ولما رأى الوالي ما حباه به ابن معن من احترام وتقدير، أيقن أن العمل الذي قام به ضد الأمير فخر الدين كان خديعة من كورد حمزة فبعث الوالي الى متسلمه على دمشق وكبراء المدينة وأعيانها أن يلقوا القبض على الانكشارية والبلوكباشية المحالفين لكورد حمزة. فألقي القبض على عدد منهم ومن بينهم كورد باكير أخي كورد حمزة، أما كورد حمزة وحسن بن تركمان فقد هربا ومعهما بعض الانكشارية، وتفرقوا بين حمص وحماة وحلب(١٤). ومما تجدر الاشارة إليه أن كيوان بلوكباشي وكورد حمزة استطاعا أن يوظفا لمصلحتهما الصراع القبلي المتمثل بالقيسي اليمني في هذه الفترة(١٥)،

في قتال نصوح باشا وحسين باشا بن جانبولاد، وكان كورد حمزة زعيم الجناح العسكري المناوىء لكيوان بلوكباشي، وهو الذي زين للوالي مصطفى باشا غزو بلاد الامير فخر الدين المعني، وبعد معركة عنجر هرب كورد الى نواحي حلب، وقد صادر والي دمشق جميع ارزاقه وودائعه وكانت وفاته سنة ١٠٣٣ هـ-١٦٢٣ م :

انظر: نجم الدين الغزي ولطف السحر ورقة ٤٢ أ. الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٣٢، و ١٥٦، الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(١٤) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ١٤ أ، الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٥٠ - ١٥١، ص ١٥٤.

(١٥) عرفت بلاد الشام الحزبية القيسية اليمنية منذ مرحلة مبكرة في تاريخها الأسلامي، وبرزت بقوة ابان القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وكان يذكى الصراع بين حين وآخر تدخل ممثلي وموظفي الدولة العثمانية في بلاد الشام، لصالح احد الأطراف. وكانت العصبية في الريف اشد منها في المدن، وبين عرب البادية اعظم منها بين اهل الريف، فكانت الاحياء داخل المدن مسرحاً للمنافسات الحزبية وكذا الحال ينطبق على القرى، وكانت حوران منقسمة بين قيسية ويمنية. وكان سكان المنطقة الممتدة على طول الساحل الشامي منقسمين بين قيسية ويمنية، خاصة منطقة اللجون مركز الأسرة الحارثية اليمنية، وكانت منطقة الخليل خليط بين قيس ويمن. وفي الشوف وكسروان كانت الزعامة للأسرة المعنية اليمنية الركيزة الأساسية للقيسية، وفي ولاية طرابلس كانت الكلمة =

فكـان كورد حمزة وجنـاحـه ينـاصرون اليمنيـة، بينها كـان كيوان بلوكباشي وجناحه يناصرون القيسية.

وفي أعقاب الهزيمة التي لحقت بعسكر دمشق في اصطدام عنجر، أشعل الانكشارية نار الفتنة في دمشق(١٦) وبينما هم منشغلون في فتنتهم سمعوا بخبر وصول والي دمشق الجديد محمد باشا(١٧) وكان هذا الوالي ظالما ومتعسفاً فخافته الانكشارية والسكان على حد سواء فتكتلوا ضده، والتفوا حول والي دمشق القديم مصطفى باشا، خاصة عندما

= النافذة للأسرة السيفية التركمانية التي تعتبر نفسها رأس اليمنية، وكان النفوذ في الريف الممتد من حماة الى سلمية. لعرب الحيارى، الذين كانوا منقسمين في ولائهم بين القيسية واليمنية، ومما تقدم نرى ان التعصب القيسي اليمني قد تجاوز الحدود القبلية والطائفية والعرفية. ومن الجدير بالذكر ان العصبية القيسية اليمينية قد ضعفت بعد سنة ١١٢٣ هـ/١٧١١م اثر معركة عين داره، حيث ضربت اليمنية، ولتحل محلها الحزبية اليزبكية - الجانبولادية. واخيراً علينا ان نشير الى انه كان لكل حزب علم خاص، فعلم اليمنية لونه ابيض وشارته زهرة خشخاش بيضاء، وعلم القيسية لونه احمر وشارته قرنفلة حمراء. وكان يتعارف رجال كل حزب بعبارات خاصة، ويحيون اعلامهم بالفاظ متفق عليها لمزيد من التفاصيل، انظر:

شهاب الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ٢ ج، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٢، جـ٢، ص ١٠٥، سيشار لهذا المصدر، ابن طولون، مفاكهة الخلان، احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ٤ ج، الأجزاء الاول والثالث والرابع طبعت بمطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس، سيشار لهذا المرجع: النمر، تاريخ جبل نابلس، محمد عدنان البخيت، الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥ هـ/١٤٨٠م، ١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م»، دراسة مقدمة الى سيمنار العرب الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٦. سيشار لهذا المرجع: البخيت، الأسرة الحارثية، المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني، ص ٥٥. وانظر كذلك:

Volney, M. C. F, Travels through Syria. And Egypt, 2 vol. London, Republished in **1971. vol. II, P. 40**

Volney, Travels through Siyria. سيشار لهذا المرجع:

Heyd, Ottoman Documents, PP. **85 – 86** **Bakhit,** The Ottoman Province of **Damascus, P. 125.**

(١٦) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ١٤ أ، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤ ص ٢٩٥.

(١٧) ولي محمد باشا دمشق سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م، وكان قبلها والياً على اضنه ثم على حلب، واشتهر هذا الوالي بظلمه وفسقه، وتحكمه بالحركة التجارية، فكان يأمر جلاب البضائع بعدم بيعها الا بموافقته، ولأشخاص يعينهم لشرائها، وكانت وفاته سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م. انظر:

نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ١٤ أ - ١٤ ب، المحبي خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢٩٥ - ٢٩٦، الشهابي، تاريخ الامير حيدر، ص ٦٩٧.

سمعوا بانضمام كورد حمزة واتباعه الهاربين الى الوالي الجديد. فكانت خشيتهم أنه إذا دخل هؤلاء الى دمشق مع واليها الجديد محمد باشا، أن يطلبهم ابن معن، فإن رفضوا تسليم أنفسهم إليه فان ابن معن سوف يهاجم دمشق ويأخذهم منها بالقوة، فجمع مصطفى باشا (والي دمشق المعزول) القضاة ووجوه العسكر وأهالي البلد في الجامع الأموي، فطلب إليهم أن يكتبوا محضراً ويرفعونه الى السلطان يلتمسون فيه الابقاء على واليهم القديم، وفي نفس الوقت خرجت انكشارية دمشق لاعتراض محمد باشا وقواته في قرية القطيفة، وطلبوا منه الرجوع الى حماة[١٨] ولكن السلطان لم يعر محضر اهل دمشق أي اهتمام، وامر محمد باشا بالدخول الى دمشق، فدخلها وضبط امورها. وقامت قواته باذلال سكان دمشق وعسكرها دون ان يجرأ احد من سكان المدينة على معارضتهم. وكتب محمد باشا الى الأمير فخر الدين المعني مظهراً له اسباب المودة[١٩]. ولم تطل مدة ولاية محمد باشا على دمشق فقد توفي بعد دخوله اليها بقليل، وقررت ولاية دمشق من جديد على مصطفى باشا[٢٠].

وخلال فترة حكم السلطان محمد الرابع (١٠٥١هـ /١٦٤٢ - ١٠٩٩هـ ١٦٨٧م) تسبب الانكشارية في بلاد الشام بحوادث شغب متعددة،. مستغلين الوضع الحرج الذي كانت تمر به الدولة، مثل انشغال الجيش العثماني في اخماد حركات العصيان في الولايات الأوروبية من السلطنة، فنشب قتال بين انكشارية دمشق واتباع المتسلم سنة ١٠٥٧هـ /١٦٤٧م، وظهر اثر هذا العداء واضحاً في الحملة التي قادها الوالي مرتضى باشا في العام التالي على بلاد صفد، حيث وقع نزاع بين انكشارية دمشق وجماعة الوالي. وقد تطور هذا النزاع الى

---

(١٨) نجم الدين الغزي. لطف السحر، ورقة ١٤ أ.
(١٩) المصدر ذاته، ورقة ١٤ أ - ١٤ ب، المحبي، **خلاصة الأثر**، جـ٤، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.
(٢٠) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢١٦.

قتال عنيف بين الطرفين، فرجعت الحملة فاشلة الى دمشق[٢١]. ويبدو انموقفهم لم يتغير من والي دمشق الجديد بشير باشا وظهر ذلك واضحاً عندما قاد هذا الوالي حملة على جبل الدروز سنة ١٠٥٩ هـ /١٦٤٩ م، اذ لم يشترك انكشارية دمشق في القتال، الامر الذي ادى الى هزيمة الحملة[٢٢] وفي تلك السنة عمت الفوضى دمشق واغلقت الأسواق نتيجة قتل الوالي لاثنين من الانكشارية[٢٣] وعلى الرغم من النكبة التي لحقت بانكشارية دمشق سنة ١٠٦١ هـ /١٦٥٠ م، حيث اودى الطاعون بخمسمائة منهم، الا انهم اصبحوا اكثر اصراراً للحفاظ على نفوذهم، فاصطدموا بجماعة الوالي. وتعاظم نفوذهم بعد ذلك، حتى انهم تمكنوا سنة ١٠٦٣ هـ ١٦٥٢ م من طرد الوالي بعد ان وجهوا مدافعهم من القلعة على السراي مقر اقامته[٢٤]. وبعد ذلك باربع سنوات، وفي سنة ١٠٦٧ هـ /١٦٥٦ م منع انكشارية دمشق بقيادة عبد السلام المرعشي (ت ١٠٦٩ هـ /١٦٥٨ م)، والي دمشق الجديد، من دخول المدينة بسبب ما اشاعه عبد السلام المرعشي من ظلم الوالي وجوره وكثرة اتباعه، وبقيت الفتنة التي اشعلها عبد السلام قائمة حتى سنة ١٠٦٩ هـ ١٦٥٨ م، عندما صدر امر سلطاني بقتله مع عدد من اتباعه، ولقد نفذ والي دمشق ما جاء في المرسوم، فالقي القبض على عبد السلام وعلى عدد من اتباعه وقتلهم بينما هرب الباقون[٢٥]، اما في سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م فقد ثار القابوقولية في دمشق وقاموا بخنق زعيم اليرلية صالح آغا ابن صدقة[٢٦]. وعلى اثر تمرد الانكشارية على حمزة باشا والي دمشق، ورد مرسوم سلطاني سنة ١١٠٣ هـ /١٦٩١ م ينص على معاقبة المشتركين في هذا التمرد. فألقي القبض على بعضهم بينما هرب الباقون الى الأمير

(٢١) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٣٦، رافق، بلاد الشام ومصر، ص ١٩٠.
(٢٢) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٣٦.
(٢٣) المصدر ذاته، ص ٣٦ - ٣٧.
(٢٤) رافق، بلاد الشام ومصر، ص ١٩١.
(٢٥) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٤١٨
(٢٦) ابن جمعة، الباشات والقضاة، ص ٤٦

احمد بن معن في منطقة الشوف ليخدموا في صحبته[٢٧]. من هذه الشواهد نلاحظ ان القرن السابع عشر اتسم لدى القوة العسكرية في ولاية الشام بالشغب وعدم الإنضباط.

٢ - شغب العسكر في ولاية حلب

بدأ شغب العسكر وتجاوزاتهم على الشريعة في ولاية حلب منذ وقت مبكر من القرن السادس عشر. وهذا ما نلاحظه من خلال وثيقة تاريخية يرجع تاريخها الى سنة ٩٤٠ هـ /١٥٣٣م - ١٥٣٤م[٢٨]، كان قد رفعها الى السلطان سليمان القانوني جماعة اطلقت على نفسها «المماليك نصاح الآخرة»، يعرضون فيها على السلطان ما حلّ بريف حلب من الألف فارس الذين جاؤا من دمشق[٢٩]، وكذلك يعرضون عليه بشكل مفصل ما كان يقوم به السباهية في ريف حلب من تجاوزات، ويبدون للسلطان فداحة الأمر وخطره، وتذمر الرعية من هذا الظلم، بحيث قالوا: .

«... ولم يحصل المراد بل الذي كان له ملك او وقف في قرية وللاصباهي فيها قيراط[٣٠] واحد فيمنع المالك ومستحق الوقف من فلاحيه ولا يمكنه من الدخول اليها ويقول ليس لك عليها سوى حق التراب خذه ولا تدخل اليها ويعطيه عن استحقاقه قدراً يسيراً ويكون في تذكرته قدراً يسيراً فيأخذ ما كان يأخذه صاحب الملك والوقف باضعاف ما بالعرف فان رحتم المسلمين فأرسلوا احكاماً ان صاحب

---

(٢٧) المصدر ذاته، ص ٤٧ - ٤٨، رافق، بلاد الشام ومصر. ص ٢٢٠.

(٢٨) نشر هذه الوثيقة الدكتور محمد عدنان البخيت ضمن مقال له في مجلة الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأمريكية في بيروت، العدد ٢٧ لسنة ١٩٧٨/١٩٧٩، والمقال بعنوان:

«Aleppo and The Ottoman Military in the Sixteeth Century (two case studies), PP, 35 - 38.

(٢٩) Ibid, P. 35.

(٣٠) القيراط: ١/٢٤ من مجموع المساحة: Ibid, P. 37.

الملك والوقف يستمر على ما كان عليه من التصرف في ملكه أو وقفه، واذا كان على ملكه او وقفه اصباهي فيدفع المالك للأصباهي ما في تذكرته بزيادة بحيث لا يضر الفلاح ولا الأصباهي ولا صاحب الملك ولا الوقف، فان الأصباهي اذا كان له في قرية ماية درهم يأخذها عشرة امثالها مع ما يحصل من على الفلاحين من الضرر والكلف والمظالم بغير ذنب ولا جرم، واكثر الفلاحين معهم الزناجير والضرب والقهر فان كلمهم احد بالشرع يقولون بالعرف وان غلبوا بالعرف يقولوا بالشرع والحال انه لا عرفي ولا شرعي، ولكن على حسب ما يوافقهم وما ثم حاكم شرعي او عرفي في البلاد يحكم بين الناس بالعدل والإنصاف ولا يخلص حقوق الناس فالله الله تنظروا في احوال المسلمين وترفعوا عنهم الضيم والا ان رسمتم تعطوهم دستوراً في قتل اهل المملكة عن آخرهم حتى يستريحوا فان موته اطيب من موتات والمشيرون في تحصيل الأموال وعمارة دنياكم كثير بخلاف من ينصح للأخرة ..... »[٣١].

وكما عانى ريف حلب من تجاوزات السباهية، فانه لم يسلم من تعديات الانكشارية، خاصة انكشارية دمشق، ويصور العرضي الحال التي كان عليها كثير من قرى حلب قبل ان يتولى احمد باشا الأكمكجي حلب (ت١٠٢٦هـ /١٦١٧م) بقوله: « ... وعمر قرى حلب بعدما كان على القرى اموال للينكجرية العشر باحدى عشر في كل شهر حتى خربت قرى حلب..... »[٣٢].

وشارك انكشارية حلب في بعض حركات الشغب والعصيان ولكن على نطاق اضيق مما كان عليه الأمر في دمشق، ومن الأعمال التي كان يمارسها بعض عسكر حلب بمساعدة عسكر دمشق ما يورده العرضي عند ترجمته عن اصلان جاويش[٣٣] واخيه علي جلبي، حيث يقول » ... قدر

---

(٣١) Aleppo and the Ottoman Military P. 37.

(٣٢) العرضي ،معادن الذهب، ورقة ٤١ أ – ٤١ ب.

(٣٣) اصلان بن عثمان جاويش جند حلب، ومن اعيان المدينة كان والده ترجماناً للولاة في حلب، ولما شب

الله ان شقيق اصلان وهو علي جلبي خطف امرأة خرجت من حمام الجوهري واخذها الى بيته فاشتكى اهلها للباشا فسجنه في القلعة ثم جاء في اليوم الثاني اصلان ومعه كنعان المتكلم على عساكر دمشق للقاطنين بحلب وجماعة اخر منهم فشفعوا عند الباشا في علي جلبي وقالوا هذه امرأة فاحشة بينها وبين اخي صحبة قديمة لكونها امتنعت عنه اخذها قهراً فقال اصبروا علّي يومين حتى لا يطمع الناس بعضهم في بعض وتعالوا بعد صلاة الجمعة حتى اطلقه من السجن لأجل خاطركم... »[٣٤]، وزاد الأخوان اصلان وعلي من تجاوزاتها بعد خروج عسكر دمشق من حلب حتى ضجّ سكان حلب من ظلمها ولم تهدأ الأمور الا بقتلها سنة ١٠١٣هـ /١٦٠٤م، وفي سنة ١٠٣٥هـ /١٦٢٥م تمرد انكشارية حلب، وقتلوا رئيس كتابهم مالوج آغا،[٣٥] وبعد ذلك بتسعة سنوات وقعت فتنة كبيرة بين انكشارية حلب اضطرب في اعقابها حبل الامن في الولاية، فقد اعلن خمسمائة من انكشارية المدينة العصيان، مطالبين بعزل أغتهم وكتخذاهم وكاتب الجند، وحاول الوالي ان يهدىء من شغبهم، بطرد الآغا والكتخذا، لكنهم اصروا على تسليمها لهم للانتقام منها، عندئذ ركب اليهم الوالي بجاعته، فقتل منهم خمسين رجلا وهرب الباقون، فتتبعهم الوالي حتى افناهم[٣٦]، ومن تجاوزات اصلان بن علي بن الوند العجمي (ت١٠٣٥هـ /١٦٢٥م) امير المعرة تجمعيه الجموع لمصادرة اعيان

= اصلان تقرب الى السلطان فانعم عليه بالجاوشية، واصبح من اهل الحل والعقد في حلب، ولعب دوراً بارزاً في مساعدة جند دمشق في مدينة حلب، وذلك بتعليمهم اساليب المكر والخداع، وحلف الأيمان المزورة، وصدر الامر بقتلها سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٤م وهلل اهالي حلب بمقتلها انظر: العرضي، معادن الذهب، ورقة ٥٧ أ - ٥٨ أ - ٨٦ أ.

(٣٤) المصدر ذاته، ورقة ٥٧ ب - ٥٨ أ.

(٣٥) الغزى، نهر الذهب، جـ٣، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٣٦) الطباخ، اعلام النبلاء، جـ٣، ص ٢٤٧ - ٢٤٨، لويس شيخو وثائق تاريخية عن حلب، ٣ج، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨، جـ١، ص ١٤. سيشار لهذا المرجع: شيخو. وثائق تاريخية، عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، مطبعة الف با، دمشق ١٩٧٤، ص ١٢٠. سيشار لهذا المرجع: رافق: العرب والعثمانيون

الفلاحين[٣٧].

نستطيع من خلال ما تقدم ان نلمس بوضوح مدى الحالة التي وصلت اليها القوات العثمانية المرابطة في بلاد الشام من ضعف وتفكك وعدم انضباطية، وقد زادت الحالةسوءا، الأزمة الأقتصادية التي مرّت بها الدولة العثمانية منذ بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر[٣٨] لذا لم يكن امام الكثير من العناصر العسكرية الا الهروب من الخدمة، ولجوئها الى الزعامات المحلية حيث وجدوا عندها المرتبات العالية. وسيل الغنائم الذي لا ينقطع، وهو يأتي عن طريق غزو الزعامات المحلية بعضها لبعض، ومنهم من لجأ الى قطع الطريق وممارسة اللصوصية، ومهاجمةالقوافل التجارية، وفرض بعضهم مبالغ من المال على عدد من القرى منها حمص وحماة[٣٩]. وعلينا ان نشير الى انه كان هناك نوع آخر من الهروب من الخدمة، تمثل في تنصل بعض العسكر من القيام بالمهام الرسمية التي كانت توكل اليهم ومنها الخروج للقتال. وزاد هروبهم عندما سمحت الدولة لبعضهم بدفع مال سمي «مال البدل»[٤٠]، ومنهم من لجأ الى ارسال من ينوب عنه في مهمة القتال، فعلى سبيل المثال: عندما انتدب عبد السلام المرعشي سنة ١٠٦٧ هـ /١٦٥٦م للخروج الى قتال الصفويين بصحبة والي دمشق، اعتذر عن الخروج وبعث مكانة أحد اتباعه[٤١].

هذه الشواهد عن شغب العسكر يمكن دراستها كخلفية تاريخية للصراع الذي نشب فيما بعد ما بين الانكشارية في حلب وما بين اشراف تلك المدينة كقوة محلية تدافع عن مصالحها وعن مصالح السكان امام العسكر.

---

(٣٧) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٥٨ ب.

(٣٨) انظر: الفصل الثاني.

(٣٩) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٦٩ ب.

(٤٠) رافق، العرب والعثمانيون، ص ٤٨.

(٤١) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٤١٨.



السكبان في بلاد الشام

١ - أصل السكبان.
٢ - الأسباب التي أدّت الى هروبهم من الخدمة.
٣ - السكبان في بلاد الشام.
٤ - دور السكبان في تكوين جيوش الزعامات المحلية.

أ - جيش علي باشا جانبولاد.
ب - جيش يوسف باشا سيفا.
جـ - جيش بني الحرفوش.
د - جيش الأمير فخر الدين المعني الثاني.
هـ - جيوش الزعامات المحلية الأخرى

١ - جيش ابن الأعوج.
٢ - جيش مصطفى ابن أبي زيد.
٣ - جيش الأمير مدلج بن ظاهر الحياري.
٤ - جيش محمد بن فرّوخ.

١ - أصل السكبان

شهدت الفترة الواقعة بين ١٠٠٢هـ /١٥٩٣م - ١٠١٥ هـ /١٦٠٦م، تغييرات في البنية العسكرية والإجتماعية والسياسية للامبراطورية العثمانية وذلك عندما سمحت الدولة للعناصر المحلية من الأتراك بالانتساب الى قوات الأنكشارية[١]، وباستئجار الدولة للعناصر المحلية الشابة من بين فلاحي الأناضول وبدوها ممّن لديهم القدرة على استخدام الأسلحة النارية. وقد عرفت القوة المتجمعة منهم بـ «السكبان». وكان الهدف من حشدهم مساعدة جيش الدولة على الجبهة الأوروبية، وكان يتم جمعهم وتسفيرهم الى جبهات القتال من قبل حكام المناطق المحليين تحت اشراف الولاة، وكان كل نفر من السكبان يحصل قبل ذهابه الى الجبهة على «البخشيش» لكي يعد نفسه للقتال، ويعطى راتبه احياناً عن الأشهر التي سيخدمها مقدماً[٢].

نظم السكبان في تشكيلات عرفت بالبلوكات، وكان كل بلوك يضم ما بين خمسين الى مائة سكباني. ولكل بلوك قائد يعرف بالبلوكباشي، يتم تعيينه من قبل الحاكم المحلي. ويخضع هذا القائد بدوره الى قائد أعلى منه رتبة، يعرف بـ «باش بلوكباشي» أي قائد البلوكباشية[٣]. أما القيادة الحربية للسكبان فقد كانت تناط بقوات القابوقولية، حيث كان كل بلوك من السكبانية يلحق بلواء من الانكشارية. وعرف عن السكبان مهارتهم ودقتهم في استعمال الاسلحة النارية، فقد استطاعوا

(١) Inalcik, «The Socio - Political Effects», P. 200.

(٢) Ibid, P, 200 .

(٣) Inalcik, The Ottoman Empire, P. 48, 224; «The Socio - Political Effects», P. 200.

سنة ١٠١٠ هـ/١٦٠١م أن ينقذوا جيش الدولة من هزيمة مؤكدة في معركة «استولني بلغراد» Istolni Belghrad [٤].

وكان السكبان يسرحون من الخدمة بعد انتهاء فترة تعاقدهم، ولكن مع بقائهم محافظين على تشكيلاتهم. إلا أنهم يبدأون بالبحث عمّن يستأجرهم من جديد وذلك لتأمين عيشهم [٥]. وقد استخدم الولاة وحكام المناطق هؤلاء السكبان بتشجيع من الدولة وكان هؤلاء الولاة ينضمون مع سكبانهم الى الحملات المختلفة التي كانت تسيرها الدولة الى الجبهات المختلفة. فعلى سبيل المثال، كان في خدمة نصوح باشا والي ديار بكر ألف سكباني من المسلحين بالبنادق، وهؤلاء كانوا تحت قيادته المباشرة [٦]، وخدم قلندر محمد أحد كبار السكبانية سنان باشا بن جغال زاده عندما كان الأخير سردارا على الشرق، لكن قلندر لم يلبث أن خرج عن طاعة الدولة، وانضم الى سكباني آخر اسمه قرا سعيد، وأخذا يمارسان معا اللصوصية وقطع الطريق [٧]. وفي الوقت الذي لا يجد فيه السكبان من يستخدمهم، فانهم يعمدون الى التجوال في الأرياف ليقيموا أودهم بحد السيف [٨]. في هذه الأثناء كانت حركة الجلالية قد اكتسحت الاناضول مستغلة المظالم الاجتماعية التي لحقت بريف تلك الهضبة [٩]، ومستفيدة من خلو المنطقة من الجند النظامي. يضاف الى ذلك انشغال الدولة على الجبهة الأوروبية [١٠]. ولكي تتمكن هذه الحركة

(٤) Inalcik, «The Socio – Political Effects», P. 200.

(٥) Inalcik «The Socio – Political Effects», P. 198.

(٦) Ibid, **P. 201.**

(٧) **Naima**, Annals of the Turkish Empire, from The 1591 to 1659 of Christian Era, I **vol., translated from the Turkish by Charles Fraser, London, 1832, Reprint, New York, 1973, P. 337.**
Naima, Annals of the Turkish Empire: سيشار لهذا المصدر

(٨) Inalcik, The socio – Political Ellects p. 201.

(٩) محمد عدنان البخيت، «احداث طرابلس الشام ١٠١٥ هـ/١٥١٦م – ١٠٦٦ هـ/١٦٠٧م»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الاول، عمان، ١٩٧٨، ص ١٧١. سيشار لهذا المرجع: البخيت، «احدث طرابلس الشام».

(١٠) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ١١٩.

من مقاومة جيوش الدولة العثمانية، فقد لجأ قادتها الى استخدام السكبان[١١]. ومما زاد في خطورة الوضع في الأناضول، هروب إحدى فرق السكبانية قبيل موقعة كرزت سنة ١٠٠٥ هـ/١٥٩٦م، ولجوؤها الى ولايات الدولة الشرقية. وبعد الانتهاء من المعركة أصدر سنان باشا بن جغال زاده أمراً بمطاردة السكبان الخارجين عن طاعة الدولة. هذا الأمر جعل أكثر من ثلاثين ألفاً من السكبان يبحثون عن ملجأ لهم ووجدوا أن أن الملجأ المناسب هو الانضمام الى حركة الجلالية[١٢]، الخارجة عن سلطان الدولة، وقد قام هؤلاء بأعمال التخريب والنهب والسلب في الاناضول، مركز الحركة الجلالية، فانتشر الفساد وعم الخراب والدمار، وكان هذا فيما بين ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م - ١٠١٩هـ/١٦١٠م، إذ كانت قوة الدولة في هذه الفترة مشلولة في الداخل، فزادت فيها عمليات تهريب الأسلحة وتسربها الى ريف الاناضول، فتعاظمت حركة الجلالية، وأصبحت خطراً يهدد دعائم الدولة بالانهيار. وما كانت هذه الحركة لتمر دون أن تترك لها أثراً على المناطق الشامية، خاصة المحاذية لها كحلب[١٣]، فقد انضم عدد من الجلالية الى علي باشا جانبولاد العاصي في حلب، مما زاد في قوته، فاستطاع أن يفرض نفوذه على جزء من الاناضول. ومما تجدر الاشارة إليه: أن عبد الحليم اليازجي بعد خروجه من بلاد الشام لجأ بأتباعه من السكبان الى الأناضول، وهناك نصّبه بعض الجلالية الثائرين رئيساً عليهم. واستطاع اليازجي بتدابيره الذكية أن يشعل حركة عصيان كادت تعصف بالدولة العثمانية[١٤]. واستباح مناطق: قورم وسيواس

(١١) Shaw, st., History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, 2 vol. Cambridge University Press, 1977, VOL. I, P. 50.

(١٢) Shaw, History of the Ottoman Empire :سيشار لهذا المرجع
Bakhit: The Ottomano vuiccof D'amas Aus P 193.

(١٣) البخيت، احداث طرابلس الشام ص ١٧١.

(١٤) Naima, Annals of the Turkish Empire, PP. 144 - 46 Inalcik, «The Heyday and Decline of the Ottoman Empire» The cambridge History of Islam, 2 vol. Cambridge

وتوقات وعينتاب. وبلغ عدد أتباعه عشرين ألفاً. فوجهت الدولة إليه حملة كبيرة في سنة ١٠٠٩ هـ/١٦٠١ م لكنه استطاع أن يلحق بها هزيمة ساحقة في معركة قيصارية[١٥]، حيث تراجعت الحملة مخلفة وراءها ما يزيد على ألف قتيل من الانكشارية[١٦]. وبعد معاهدة ستفاتورك Sitvatork سنة ١٠١٥ هـ/١٦٠٦ م، تفرغت الدولة لمشاكلها الداخلية، فوجهت وزيرها مراد باشا لتحرير الاناضول من الجلالية، وحركات العصيان الأخرى فحررها كما حرر مدينة حلب وريفها من يد علي باشا ابن جانبولاد، الذي كان أبو الوفاء العرضي يعتبره رأس الجلالية[١٧].

من هنا يتبين لماذا خلطت بعض المصادر المحلية بين الجلالية والسكبانية. ويبدو أن السبب في هذا الخلط عائد الى كون هاتين الحركتين متعاصرتين مكانيا وزمنيا.

٢ - الأسباب التي أدت الى هروب السكبان من الخدمة

نستطيع حصر الأسباب التي أدت الى هروبهم من الخدمة في سببين رئيسيين: -

أولها: السبب الاقتصادي، وقد تمثل فيما يلي:

أ - ان الزيادة المستمرة في عدد السكبان الملتحقين بالجيش العثماني، نتيجة تشجيع السلاطين ودفع «البخشيش»، ودفع الراتب

University Press, 1970, vol. I, PP. 347 - 348.
Inalcik, «The Heyday» سيشار لهذا المرجع

(١٥) قيصارية: مدينة في وسط بلاد الأناضول. انظر:
شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م)، المشترك وضعا والمفترق صقعا، تحقيق وستنفيلد، جوتنجن، ١٨٤٦، اعادت طبعه على الاوفست مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ص ٣٦٥. سيشار لهذا المصدر، ياقوت، المشترك صقعا.

(١٦) **Naima,** Annals of the Turkish Empire, PP. 156 - 157

(١٧) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٨٩ ب،
Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, P. 193.

مقدماً عن الأشهر التي سيخدمونها[١٨]، أدت الى تفريغ الريف الأناضولي من الفلاحين، فهجرت الأرض، واصبح أكثرها بوراً[١٩]. ان توقف سيل الغنائم المتدفقة على خزينة الدولة (بتوقف فتوحاتها)، ومواجهتها للمتطلبات المتزايدة، جعلت الدولة تلجأ الى تقسيم الأراضي الى تيارات، يؤول قسم من عائداتها الى خزينة الدولة[٢٠]، ولكن مع الزمن فسد هذا النظام، فاضطر العديد من السباهية، ممن ضبطت تياراتهم أو تخلّوا عنها، أو من كان دخله غير كاف للانضمام الى مجموعات السكبان[٢١]. يضاف الى ذلك الدمار الذي لحق بالاناضول على يد الجلالية. كل هذه العوامل مجتمعة أدّت الى فقدان مصادر هامة من واردات الخزينة[٢٢]، الامر الذي جعل الدولة تقف احيانا عاجزة عن دفع رواتب جندها، فكثرت تجاوزات الانكشارية نتيجة لتوقف دفع الرواتب، وشاركهم في ذلك السكبان والسباهية.

ب - علاوة على الأزمة الاقتصادية التي مرّت بها الدولة، عندما كانت بحاجة ماسة الى النقد، وذلك في منتصف القرن السادس عشر، فقد تعرضت اسواقها لتدفق الذهب والفضة من العالم الجديد، فانهارت بذلك قيمة النقد العثماني، محدثة تضخماً هائلا، ومسببة انخفاضاً في القيمة الشرائية لمرتبات الجند[٢٣]، فلم تعد تكفيهم، فعبروا عن سخطهم بالتمرد والعصيان، وهروبهم من الخدمة العسكرية.

---

(١٨) Inalcik, The Olloman Empire, **p. 45; «the Socio – Political Effects», p,** 200.

(١٩) Inalcilk «The Socio – Political Effects», P. 200.

(٢٠) Inalcik, **The Ottom n Empire,** P. 49.

(٢١) **Naima, Annals of The Turkish Empire P. 337**

(٢٢) **Inalcik, The Ottoman Empire P. 50**

(٢٣) **Lewis** The Emergence, **PP. 28 – 29.**

وثانيهما: السبب الأجتماعي السياسي، وقد تمثل فيما يلي:

أ - اختلال أنظمة التجنيد نتيجة لسماح الدولة للعناصر التركية المحلية بالالتحاق بالجيش، وقد عرف عن هذه العناصر عدم انضباطيتها، اذ كانت تلجأ الى التمرد والخروج عن طاعة الدولة بمجرد شعورها أن الدولة لن تستطيع ان تعطيهم ما يريدون من المال، سواء الراتب أو البخشيش، ولذا نجد أن بعض السكبان قد هربوا بأسلحتهم والتحقوا بحركات العصيان التي كانت تضج بها أرياف الأناضول، وقد رحب العصاة بانضمام هؤلاء السكبان الى صفوفهم، اذ كانو متمرسين في استعمال الأسلحة النارية، ومن لم ينضم من السكبان الى حركات العصيان، لجأ الى السلب والنهب وقطع الطرق(٢٤).

ب - أدّت الهزائم المتتالية التي منيت بها القوات العثمانية على الجبهة الأوروبية، واقتطاع جزء كبير من املاكها الى هروب عدد كبير من افراد الجيش العثماني، ومن بينهم السكبان(٢٥).

جـ - بعد احتلال الشاه الصفوي لبغداد سنة ١٠٣٣ هـ /١٦٢٣م هرب السكبان (اللاوند) الذين كانوا فيها الى سلمية وحماة، وللحصول على لقمة العيش، خدم جماعة منهم عند الأمير مدلج الحياري، بينما خدمت جماعة اخرى عند حاكم حماة محمد باشا، أما المجموعة الثالثة فقد خدمت عند مراد باشا والي حلب(٢٦).

٣ - السكبان في بلاد الشام

ان المعلومات التي توردها بعض المصادر المحلية المعاصرة عن

---

(٢٤) Inalcik, «The Socio - Political Effects», PP. 200 - 201.

(٢٥) **Inalcik, «The Heyday», P. 341, Bakhit,** The Ottoman Province of Damascus, P. 193.

(٢٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٦٦، ١٦٩، ١٧٨، ١٩١ - ١٩٢.

السكبان في بلاد الشام قليلة جداً، وكل ما نجده هو بعض الاشارات الواردة في ثلاثة مصادر مهمة وأساسية وهي: «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» للحسن البوريني، و«تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني» للخالدي الصفدي[٢٧]، و«معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب» لأبي الوفاء عمر العرضي.

لم يحدد البوريني أصل سكبانية بلاد الشام، بل اكتفى بقوله: انهم من الروم، وانهم نشأوا في الأناضول[٢٨]، وعرّفهم بقوله: «والسكبانية عبارة عن طائفة كان وضعهم أي الواحد منهم يحمل البندقية على ظهره ويقود الكلب في ساجورة[٢٩]، ويمشي أمام الأمير أو الكبير حين يسير الى الصيد، وهو لفظ فارسي مأخوذ من سك، فأما سك فهو الكلب بلغتهم واما بان فهو بمعنى حامي أي حامي الكلاب»[٣٠]، ويقول عنهم في مكان آخر: «وهؤلاء قوم خالفوا جميع الملل والنحل وصيروا غاية أمرهم الخروج عن طاعة السلطان، وسلاحهم الآلة التي يقال لها «التفنك» وهي البندقية، فيخدمون أميراً يكون خارجاً عن الطاعة على أن يدفع لكل فرد من أفرادهم في الشهر شيئاً معيناً من المال»[٣١]، وصفهم البوريني: بالبطالة والفساد وسوء الأخلاق حيث قال عنهم: «وأصل سك الكلب وبان يعني صاحبه يعني الكلابي، أي الخادم للكلب وقت الصيد ثم اضطروا وصيروه اسما لمن كان موصوفاً بالبطالة والنطالة والفراسة، وغالبهم يتعاملون فعل قوم لوط...»[٣٢]. وبالرغم من وصف البوريني لهم بالبطالة والفساد، وبأنهم أعداء للسلطان إلا أنه يشير الى

(٢٧) نشر هذا الكتاب تحت اسم «لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني».

(٢٨) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٨٠.

(٢٩) ساجورة خشبة تعلق في رقبة الكلب.. انظر:
أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨، اعيد تصويره على الاوفست في طهران، ١٩٦٥، ص ٨٥. سيشار لهذا المرجع: أدي شير، الألفاظ الفارسية.

(٣٠) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٥٩، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٣٢٤.

(٣١) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٥٤.

(٣٢) المصدر ذاته، ص ٢٥٤.

أن ولاة بلاد الشام وحكامها قد استخدموهم في نهاية القرن السادس عشر، وبداية القرن السابع عشر، وهي الفترة التي كثر فيها هروبهم من الجبهة الأوروبية ولجوؤهم الى الأناضول، وكان أول من استخدم السكبان في نظر الحسن البوريني هو حاكم سنجق نابلس (أبو سيفين في العقد الأخير من القرن العاشر الهجري كما يستدل من رواية غير مباشرة رواها النجم الغزي في كتابه الكواكب السائرة) الذي استصحب معه مائتين من السكبان، ليستعين بهم على أهل مدينة نابلس[٣٣]. أما أبو الوفاء العرضي فيرى أن أول من استخدمهم في بلاد الشام هو حسين باشا بن جانبولاد حاكم كلّس[٣٤]. وقد ساعدت الأوضاع الداخلية في بلاد الشام على استيعاب العديد منهم، إذ شكل الولاة قوات خاصة منهم، لحمايتهم من طوائف الجند المتصارعة، فيما رابط بعضهم في القلاع، وسمح للسكبان بالزواج من أهل البلاد وإسكان عائلاتهم معهم في الحصون أوقات الخطر[٣٥]. وكان الأمراء المحليون بحاجة إليهم للوقوف أمام جيش الدولة، وإذا ما وجد السكبان المال الوفير عندهم، فهم الخدّام الأوفياء.

كان يتم التفريق بين السكبان في بلاد الشام حسب مدة الخدمة التي يقضونها، فكان يشار للسكبان الذين أمضوا فترة طويلة باسم «طائفة السكبانية القديمة» وكان يشار لحديثي الخدمة منهم باسم «طائفة السكبانية الجديدة»[٣٦].

ومن الأشياء التي يتميز بها السكبان، طريقتهم الخاصة في تقسيم الغنائم. فقد أشار الخالدي الصفدي الى ذلك حين قال «.... وأما طائفة السكبانية لهم طريقة أنه مهما كسبوا يوضع في الوسط، ويباع

---

(٣٣) المصدر ذاته، ص ٢٥٩.

(٣٤) العرضي، معادن الذهب، ورقة ١٨ أ.

(٣٥) Rafeq, «The Local Forces», P. 284.

(٣٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٤٩ - ١٥٠.

ويفرق على الرؤوس..»[٣٧]، كذلك فقد كانت لهم طريقتهم الخاصة في حلف اليمين، إذ كانت لهم ايمان موثقة، فعلى سبيل المثال، لم يجرؤ نصوح باشا والي حلب على الخروج من المدينة عندما حاصرها حسين باشا بن جانبولاد، إلاّ بعد أن حلف له السكبان بالسيف، لعلمه أن لهم ايماناً وعهوداً وثيقة[٣٨]، وكان لكل بلوك من السكبان بيرق خاص يحمله أحد كبرائهم من رتبة بلوكباشي[٣٩]. وكان السكبان في بلاد الشام يتقاضون رواتبهم نقداً، علاوة على البخشيش الذي كان يدفع لهم باستمرار، لضمان قيامهم بالأعمال التي تطلب منهم، من هنا لجأت بعض الزعامات المحلية الى مصادرة الأموال من الرعية وتغريمها لتأمين رواتب سكبانهم، وكانوا لا يتحرجون من الهرب أو التوقف عن القتال في أخطر الساعات، إذا لم يتوفر لهم المال، وسنتعرض لأنماط من تصرفاتهم هذه أثناء حديثنا عن جيش الأمير فخر الدين المعني الثاني.

٤ – دور السكبان في تكوين جيوش الزعامات المحلية

أ – جيش علي باشا جانبولاد

كان للسكبان دور كبير في تكوين الجيوش المحلية، حتى أنهم في الغالب كانوا يشكلون معظم هذه الجيوش. وأول من استخدمهم في بلاد الشام حسين باشا جانبولاد عندما كان حاكماً لسنجق كلّس[٤٠]، إذ شكل منهم قوة، استطاعت أن تقدم خدمات نافعة للدولة، فقد قامت بالدور

(٣٧) المصدر ذاته، ص ١٥٢.
(٣٨) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٤ أ.
(٣٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٧٩ – ١٠٠.
(٤٠) العرضي، معادن الذهب، ورقة ١٨ أ.
قبل ان يتولى حسين باشا حكم كلس، كان احد المتفرقة، وحدث ان سجن في قلعة حلب، وبيعت جميع اسبابه وعقاراته بأبخس الأثمان لمال سلطاني كان عليه، وعندما تولى كلّس صمم على تكوين جيش قوي، الهدف منه التصدي لمحاولات الدولة، فيما اذا حاولت عزله عن كلّس، ولما علمت الدولة بتصميمه على شق عصا الطاعة، تركته في منصبه مكتفية بدفع المال.
انظر: المصدر ذاته، ورقة ٧١ ب – ٧٢ أ، ٨٤ أ – ٨٤ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٥.

الأكبر في إخراج عسكر دمشق من ولاية حلب، وألقت الرعب في قلوبهم. كما أظهرت هذه القوات مهارة فائقة في استخدام مختلف الأساليب الحربية، كاستخدام المدافع، وعمل الألغام، وإقامة المتاريس والحواجز[٤١]. وعندما حاول نصوح باشا والي حلب أن يغدر بحسين باشا بادر الأخير بمهاجمته، وهزمه في معركة جرت خارج مدينة حلب، ثم تبعه الى داخل المدينة، وحاصره فيها، وشدّد عليه الحصار. وأثناء الحصار أصدر السردار سنان باشا بن جغال زاده، امرا بتعيينه واليا على حلب[٤٢]. ولما دخل حسين باشا حلب شرع بتحصينها، فشحن قلعتها بالسكبان وما يحتاجون اليه من المؤونة والعتاد، وصادر أغنياء المدينة وفقراءها من أجل تأمين رواتب السكبان. كانت فترة حكم حسين باشا لحلب قصيرة جدا، اذ أقدم السردار سنان باشا ابن جغال زادة على قتله في بلدة «وان» التركية سنة ١٠١٣ هـ / ١٦٠٥ م، لعدم خروجه في صحبة السردار المذكور لقتال الصفويين[٤٣]. ولما علم ابن اخيه علي بن جانبولاد (الذي كان حسين باشا قد عينه قبل ذهابه الى «وان» متسلما على حلب) بمقتل عمه اعلن العصيان، وثار في مدينة حلب[٤٤]. وجمع حشدا عظيما من السكبان، زاد عددهم على عشرة الاف رجل، وامتنع عن دفع الاموال السلطانية[٤٥]. وعاشت قواته في أطراف

---

(٤١) العرضي. معادن الذهب، ورقة ٧٢ ب، ٧٣ أ – ٧٣ ب، المحبي خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٥ – ٨٦، جـ٤، ص ٤٥٠، الطباخ، اعلام النبلاء، جـ٣، ص ٢٧٧.

(٤٢) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص ٢١٧، العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٢ ب – ٧٣ أ، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٥.

(٤٣) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٤ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٨٧،

Holt, P. M., Egypt and Fertile Crescent 1516 – 1922, London, 1966, P. 105.

سيشار لهذا المرجع: **Holt,** Egypt

(٤٤) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٧١، العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٤ ب، المحبي خلاصة الأثر، ص ٨٧.

(٤٥) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٧١، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ١٣٦، المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني، ص ٨٥،

Holt, Eghpt, P. 105; Rafeq, «The Loncal Forces», P. 284.

حلب فسادا. تمكن ابن جانبولاد من بسط نفوذه على المنطقة الممتدة من حماة جنوبا حتى أضنه شمالا، وكان يقيم في المدينة الأخيرة حاكم معين من قبل ابن جانبولاد تساعده مجموعة من السكبان(٤٦). ونتيجة لامتداد نفوذه في الاناضول توثقت علاقته بالحركة الجلالية. ولما سمع علي بن جانبولاد بنبأ تولّي حسين باشا مدينة حلب من قبل السلطان احمد، بعث ابن جانبولاد الى عامله أضنه (جمشيد) طالبا منه ان يستضيف الوالي الجديد وحاشيته، وان يقضي عليهم جميعا، فقام جمشيد بتنفيذ ما امر به(٤٧). واخذت السكبان تتوافد على ابن جانبولاد، حتى قيل ان عددهم قد بلغ عنده، قبيل التقائه بالوزير مراد باشا، أربعين الفا من الفرسان ومثلهم من المشاة(٤٨).

وكان امتداد نفوذ ابن جانبولاد وتطاوله قد تمّ في فترة كانت فيها قدرة الدولة مشلولة داخلياً، لكثرة حركات العصيان، ولخلو ولاياتها من الجيش النظامي، بسبب انشغال الدولة على الجبهة الأوروبية. ولم يكن لدى الدولة ما ترسله لتأديب ابن جانبولاد سوى بعض القوات التي كانت ترابط في دمشق وطرابلس. ولما كان يوسف باشا سيفا والي طرابلس قد التزم بتخليص حلب من يد ابن جانبولاد فقد عينته الدولة سردارا على عسكر دمشق وطرابلس، والتقى ابن جانبولاد مع عسكر الدولة بالقرب من حماه، وكما يقول البوريني: «فما هو إلا أن

---

(٤٦) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص ٢٨٣، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ١٣٨،
Salibi, K., «Fakhr al-din», E. I2, vol. II, P. 750.

(٤٧) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٨٣.

(٤٨) المصدر ذاته، ص ٢٨٤، الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٢٣٩ - ٢٤٠،
Naima, Annals of Turkish Empire, P. 343.

ويورد **Inalcik** ان عدد جيش ابن جانبولاد كان ١٨،٠٠٠ من السكبان يضاف اليهم ١٦،٠٠٠ فارساً و٥٠٠ Sukhtes

انظر: Inalcik, «The Heyday», P. 348

كما اورد بعض المؤرخين المتأخرين رقماً آخر بعيداً عن الصحة. وهذا الرقم هو ثمانون الفا. انظر: الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٩٩، الشدياق، اخبار الأعيان، جـ١، ص ٣٠٦، الشهابي، تاريخ الامير حيدر، ص ٢٦٤، الدبس تاريخ سورية، م ٧، جـ٤، ص ١٦٣.

كان اجتاعهم بمقدار نحر جزور... »[٤٩]، حتى استطاع ابن جانبولاد أن يهزم عسكر دمشق، ولم يرجع ابن سيفا الى طرابلس إلا بأربعة أنفار من عسكره[٥٠]، وبقي نجم ابن جانبولاد في صعود وسكبانيته في تزايد حتى هدأت الأوضاع على الجبهة الأوروبية. ورجع الصدر الأعظم مراد باشا الى استانبول، وأخذ على عاتقه تطهير الأناضول من الجلالية، وتخليص حلب من تسلط ابن جانبولاد. فخرج مراد باشا على رأس حملة مكونة من ثلاثمائة ألف مقاتل من المشاة والفرسان، وسحق جميع حركات العصيان التي كانت في الأناضول، وطهّر أضنه من « جمشيد » أحد أتباع ابن جانبولاد[٥١]. ولم يبق أمامه إلا تخليص حلب. ولما تيقن ابن جانبولاد أن مراد باشا كان يقصده، جمع سكبانه المتفرقين، وتوجه بهم الى مضيق « بغراش »[٥٢]، حيث كمن بانتظار جيش الدولة. ولما علم السردار مراد باشا بخطة ابن جانبولاد، أراد أن يربك جنود خصمه، فغير وجهة سيره في ٢٩ جمادى الثانية ١٠١٦ هـ/١٦٠٧م.

وعلم ابن جانبولاد بالأمر فخرج من مكمنه بجميع قواته. وما هي إلا مدة يسيرة حتى باغته مراد باشا، واصطدم الجيشان بعنف، وثبت ابن جانبولاد وقواته، فلم يجد مراد باشا مفراً من استخدام المراوغة والخداع. فأمر قواته بالتراجع متظاهرة بالهرب، مما جعل قوات ابن جانبولاد تندفع وراءها. وما أن أصبح ابن جانبولاد وقواته في الميدان حتى انهمرت عليهم قذائف المدفعية، فذهلوا من هول المفاجأة، وهنا كرّ عليهم مراد باشا بفرسانه فدهك قوات ابن جانبولاد، وكسر كسرة عظيمة، فهرب مع عشرين ألفاً من قواته الى حلب، حيث استقبل فيها بعويل النساء وبكاء الأطفال، ورماه أهلها بالطين والوحل، وبعد أن

(٤٩) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص ٢٧٢.
(٥٠) المصدر ذاته، ص ٢٧٢.
(٥١) المصدر ذاته، ص ٢٨٤، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ١٣٨.
(٥٢) بغراس: قرية في لحف جبل اللكام. انظر: ياقوت معجم، جـ١، ص ٦٩٣ - ٦٩٤.

حصّن قلعتها خرج قاصداً ملطية[٥٣]. ودخل الوزير مراد باشا حلب فاتحاً، وأعمل السيف في رقاب سكبان ابن جانبولاد، وقتل أيضاً كل من انتسب إليهم من أهل القرى والضياع المجاورة، وأخذ الناس يساعدون الوزير بالبحث عن السكبان وزجّهم في السجون، حتى الشيخ الذي كان يقرأ الفاتحة في مطعم السكبان لم يسلم من القتل[٥٤]. ووصف الدويهي ما لحق بالسكبان من الذل والوهن، فقد كان باستطاعة الواحد من الرعية أن يقتل عشرة من السكبان. وفي ذات ليلة استطاع أحد الفلاحين أن يجرّد خمسة عشر منهم من سلاحهم[٥٥]. وأشار العرضي الى دخول مراد باشا حلب وتخليصها من يد ابن جانبولاد بالفتح[٥٦]. وهكذا رجعت أحكام الدولة الى ولاية حلب بعد انقطاع دام سنتين كاملتين، كانت خلالها الوحشة، وظلم الرعية وانقطاع الطرق[٥٧]. أما ابن جانبولاد فعندما لم يجد من يأويه، لجأ الى السلطان العثماني وبرّر عمله هذا بأنه كان لصالح الدولة. وكان ردّه على سؤال السلطان عن سبب عصيانه: «... ما أنا عاصي، ولا أنا ممن يغضب مالك النواحي، وانما اجتمعت عليّ فرق الأشقياء وما خلصت منهم إلاّ بأن ألقيتهم في فم جنودك المنصورين، وفررت إليك فرار المذنبين...»[٥٨]، فأعجب السلطان بجوابه وعفى عنه وأعطاه حكومة طمشوار في الروملي[٥٩].

ب - جيش يوسف باشا سيفا

وجد ابن سيفا نفسه بين عدوين كبيرين: الأسرة الجانبولادية في

(٥٣) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص ٢٨٦؛ المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ١٣٨ - ١٣٩؛
Naima, Annals of Turkish Empire, PP. 343 - 345; Inalcik, «the Heyday», P. 348.

(٥٤) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧؛ العرضي، معادن الذهب، ورقة ٤٥ أ؛ المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٨٧؛ جـ٣، ص ١٣٩؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٩٩ الطباخ، اعلام النبلاء، جـ٣، ص ٢٣٢؛ الدبس، تاريخ سورية، م ٧، جـ٤، ص ١٦٣.

(٥٥) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٩٩.

(٥٦) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٣٤ أ.

(٥٧) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٢٨٢.

(٥٨) المصدر ذاته، ص ٢٩٦.

(٥٩) المصدر ذاته، ص ٢٩٦.

الشمال، والأسرة المعنية في الجنوب. وكل منها يطمع في منطقة ابن سيفا، وخاصة ان ابن سيفا كان في نظر الزعامتين يمثل سلطة الدولة. ومن هنا كان عليه أن يعدّ جيشاً قوياً، ليحافظ على منصبه كممثل للدولة في حفظ الأمن والنظام، وكذلك ليحافظ على منطقة نفوذه من اطماع الزعامتين المجاورتين له، اللتين تتربصان به الدوائر. وقد قدّر جيش ابن سيفا سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م بثلاثة آلاف جميعهم من السكبان(٦٠). وكان هذا الجيش صغير العدد نسبياً إذا ما قورن بجيوش الزعامات المحلية الأخرى(٦١). ولم يحافظ جيش ابن سيفا على هذا العدد، بل أخذ في التناقص، لعوامل عديدة من أهمها: النزاع المستمر بين ابن سيفا وابن جانبولاد والأمير فخر الدين المعني الذي أدى الى هروب العديد من سكبانه، وانضمام كثير منهم الى الأمير فخر الدين المعني، كما أدّت المشاحنات المستمرة بين ابن سيفا من جهة وبين ابن معن، وابن جانبولاد وابن الحرفوش من جهة أخرى، الى نضوب خزينة ابن سيفا، فقد كان السكبان، كما نعلم، يتقاضون رواتب نقدية، وينالون عن طريق البخشيش أضعاف ما يأخذونه عن طريق الرواتب، وإذا لم يتوفر لهم المال اللازم، فانهم يكونون في حل من أمرهم ولا يجدون حرجاً في ترك مخدومهم، والانضمام الى غيره. هذا وقد كان ابن سيفا بخيلا في الانفاق على جيشه، إذا ما قارناه بكرمه وسخائه على الشعراء والعلماء. وأدرك ابن سيفا أهمية تحصين منطقة نفوذه بالحصون والأبراج، فقام ببناء عدد من الأبراج في كل من صافيتا وبخعون والقيرانية والبحصاص، وحصني عكار والحصن، ومن القلاع التي قام بترميمها وشحنها بالسكبان، قلعتا جبيل، وسمر جبيل، بالاضافة الى

---

(٦٠) Rafeq, «The Local Forces», P. 284.

(٦١) ينقل الأب بولس قرألي عن تقارير أوروبية: ان ابن سيفا كان باستطاعته ان يجند بين ١٢,٠٠٠ - ٣٠,٠٠٠ رجل. وكما يبدو ان في هذا الرقم مبالغة كبيرة.
انظر: قرألي، الأمير فخر الدين ادارته وسياسته، ص ٩٧، نفس المؤلف، الأمير فخر الدين امير لبنان، ص ١٦٢ - ١٦٣.

قلعة طرابلس، وشاركت قوات ابن سيفا في الصراع بين عسكر دمشق وعسكر حلب، فقد بعث ابن سيفا ١٠١٠ هـ/١٦٠٢ م بألف سكباني لمساعدة عسكر دمشق على عسكر حلب[٦٢]. كما ساهمت قوات ابن سيفا ايضا في الحملات التي جرّدتها الدولة على بعض الامراء الخارجين عن طاعة الدولة في بلاد الشام. فقد حاولت هذه القوات سنة ١٠١٦ هـ/١٦٠٧ م مع قوات دمشق وطرابلس تخليص حلب من يد ابن جانبولاد، لكنها منيت بفشل ذريع في معركة العرّاد قرب حماه[٦٣]. كما وهزمت هذه القوات مراراً امام قوات ابن معن. ومن اهم الوقائع بين الطرفين: موقعة نهر الكلب سنة ١٠٠٧ هـ/١٥٩٨ م[٦٤]، وموقعة جونية سنة ١٠١٤ هـ/١٦٠٥ م[٦٥]، وموقعة عين الناعمة سنة ١٠٢٤ هـ/١٦١٥ م[٦٦]. وكان الفشل في كل هذه الوقائع من نصيب قوات ابن سيفا. وأدى فشله هذا الى تفتيت منطقة نفوذه. ولكن على الرغم من ذلك فان ابن سيفا لم ييأس، وكان يستغل كل فرصة للايقاع بابن معن، فشاركت قواته قوات دمشق في حصار قلعة شقيف ارنون سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣م[٦٧]، كما تدخل في دعم المتمردين ضد ابن معن في منطقة الشوف[٦٨]. الا انه ابتداء من سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م، بدأت قلاع ابن سيفا وابراجه بالتساقط بيد ابن معن. فعلى أثر استعانة والي طرابلس الجديد عمر باشا الكتانجي بالأمير فخر الدين، في تحصيل

---

(٦٢) البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ١٥١.

(٦٣) المصدر ذاته، ص ٢٧٢، الشدياق، اخبار الأعيان، جـ١، ص ٣٠٥.

(٦٤) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٩١، الشدياق، اخبار الأعيان، ص ٣٠٥، محمد كرد علي، خطط الشام، ٦ ج، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩ - ١٩٧١، جـ٢، ص ٢٣٧. سيشار لهذا المرجع: كرد علي، خطط الشام.

(٦٥) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٩٧، قرألي، فخر الدين امير لبنان، ص ١٦٠.

(٦٦) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١١، الدبس، تاريخ سورية، م ٧ جـ٤، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٦٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٢١ - ٢٢،

Salibi, «The Sayfas and Eyalet of Tripoli», P. 40.

(٦٨) Salibi, «The Sayfas and Eyalet of Tripoli», P. 41.

الأموال السلطانية المتبقية عند ابن سيفا، تمكن ابن معن من احتلال قلعتي جبيل وسمر جبيل، وبرج بجعون، وانضم سكبانيتها الى الأمير فخر الدين[٦٩]. بعدها توجه ابن سيفا للتحصن في عكّار. وعند سماع ابن سيفا بقدوم ابن معن هرب من أحد طرق الحصن السرية، تاركاً الحصن وما فيه غنيمة سهلة لسكبانية ابن معن[٧٠]. وبعد عكّار توجه ابن معن الى قلعة الحصن (حصن الأكراد)، أعظم قلاع ابن سيفا، وفيها تجمّع أكثر سكبانيته للدفاع عنها، ولم تستطع سكبانية ابن معن احتلال القلعة بسبب صمود المدافعين واستبسالهم في اندفاع عنها، وشارك عمر باشا والي طرابلس الأمير فخر الدين في حصار القلعة، ولم يرفعا عنها الحصار إلا بعد أن كتبت ولاية طرابلس مرة أخرى على يوسف باشا سيفا[٧١]. وفي هذه الأثناء كان الأمير موسى بن الحرفوش قد هاجم برج القيرانية، وكانت ترابط فيه جماعة من سكبانية ابن سيفا، واحتل البرج بعد حصار دام ثلاثة أيام[٧٢].

وكانت الصفعة القاسية لابن سيفا هي التي تلقاها من الدولة سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م، عندما أمرته بهدم جميع قلاعه[٧٣]. وعندما رفض ابن سيفا سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠ م دفع الأموال لخزينة الدولة، وجهت إليه الدولة مرة أخرى الأمير فخر الدين المعني، لتحصيلها منه بالقوة. وقام ابن سيفا بتحصين قلعة طرابلس، وأمر بقية سكبانه بالمرابطة في أبراج طرابلس. وعندما مر ابن معن في برج البحصاص وكان فيه الأمير حسين بن سيفا على رأس مجموعة من السكبانية، ودارت مباحثات بين الجانبين، انتهت باجبار حسين بن سيفا على بيع جميع ممتلكات بني

(٦٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٧٣ - ٧٤، ٧٨ - ٧٩، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١١.
(٧٠) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٧٤ - ٧٥.
(٧١) المصدر ذاته، ص ٧٥ - ٧٦.
(٧٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٧٧.
(٧٣) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١٢، الشدياق، أخبار الأعيان، جـ١، ص ٣٠٦.

سيفا، مقابل دين لابن معن كان قد دفعه في استنبول عن مال بلاد جبيل والبترون[٧٤]. أما ما يخص اموال الدولة، فقد رفض ابن سيفا ان يدفعها. وعلى حين غرّة هاجم قسم من سكبان ابن سيفا، سكبانية ابن معن وقتلوا عددا منهم. عند ذلك أمر ابن معن قادة سكبانيته بمهاجمة طرابلس ودخولها[٧٥]، وفي الوقت ذاته بعث بغليونين لمحاصرة طرابلس بحرا[٧٦]، وشرعت سكبانية ابن معن بمهاجمة المدينة، لكنها قوبلت بدفاع سكبان ابن سيفا الشديد عن سور المدينة، الا ان عددا من سكبان ابن معن تمكنوا من الوصول الى السور فتسلقوه، وفتحوا الأبواب أمام قوات ابن معن التي اندفعت الى داخل المدينة، بينما تراجعت سكبانية ابن سيفا الى القلعة، واستمروا في دفاعهم، وأخذوا يقصفون قوات ابن معن بالمدافع. وبعث ابن معن الى بعض قواته المرابطة في عكّار بالقدوم للمشاركة في حصار قلعة طرابلس[٧٧]. وصمد سكبانية ابن سيفا داخل القلعة، ووصف الخالدي الصفدي دفاعهم عن القلعة بقوله: «واستمر الحصار متواصلا عليهم، ولم يجدوا من يفرج عنهم وكان فيها من سكبانية يوسف باشا الذين يعتمد عليهم فثبتوا ثباتا حسنا، وبذلوا مجهودهم في حفظ القلعة»[٧٨]، وحاول السكبان الذين كانوا في ابراج الاسكلة (الميناء) ان يخففوا ضغط قوات ابن معن عن اخوانهم المحاصرين داخل القلعة، فهاجموا قوات ابن معن المحاصرة للقلعة، ودارت رحى معركة عنيفة عند طرابلس القديمة على جانب البحر، واوقع سكبان ابن سيفا بعضّ الخسائر في صفوف قوات ابن معن. وعندما سمع الأمير فخر الدين ما حلّ بقواته، هرع الى الميدان، وشارك قواته في الهجوم

---

(٧٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص٩٨٠.
Salibi, «The Sayfas and Eyalet of Tripoli», P . 45.

(٧٥) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٩٨.

(٧٦) المصدر ذاته، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٧٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٧٨) المصدر ذاته، ص ١٠٠.

ونجح في زحزحة المدافعين عن اماكنهم. وحتى لا يهربوا حالت قوات ابن معن بينهم وبين الأبراج، والتحم الطرفان بالسيوف، وقتل العديد من سكبانية ابن سيفا، وركن الباقون الى الفرار[٧٩]. ومع ذلك استمر سكبان ابن سيفا الذين كانوا في القلعة بالدفاع، وكاد الحظ يحالفهم بقتل الأمير ابن معن عندما اطلقوا عليه عدة قذائف من مدفعية القلعة ساعة تناوله الافطار (في رمضان)[٨٠]، وكان رد فعل ابن معن عنيفاً فأمر بهدم حارة حسين بن يوسف سيفا، ووصف الخالدي الصفدي الحال التي اصبحت عليها تلك الحارة: «... وتركوها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا..»[٨١]. وعندما سمع ابن سيفا ما حل بطرابلس وكان آنذاك في منطقة جبلة، بعث الى الباب العالي، يعرض عليه حاله، ويتذلل إليه، ويخبره بحقيقة نوايا ابن معن، وأنه لم يأت لجمع أموال الدولة، بل لضم طرابلس الى جملة ممتلكاته، وان ابن سيفا مستعد لدفع ما عليه من الأموال[٨٢]. وفي محاولة من ابن سيفا لتقوية معنويات قواته المحاصرة في قلعة طرابلس، توجه مع أهله وأقاربه وجمع من عساكره الى طرابلس لمساندة السكبان المحاصرين، وأثناء تقدمهم اشتبكوا مع قوات ابن معن المرابطة خارج المدينة، فانهزمت قوات ابن معن أمامها، ولما علم الأمير فخر الدين بهزيمة قواته، خرج من طرابلس للوقوف أمام الهجوم الجديد، ولكن ما ان عرف سكبان ابن سيفا بخبر قدوم الأمير فخر الدين مع سكبانه حتى تراجعوا، ولم يتمكن ابن معن من اللحاق بهم[٨٣]. ولم يرجع ابن معن من طرابلس إلا بتدخل من والي دمشق[٨٤]. وفي سنة ١٠٣١ هـ/١٦٢١م لم يمكّن ابن سيفا والي طرابلس الجديد عمر باشا من

(٧٩) المصدر ذاته، ص ١٠٠.
(٨٠) المصدر ذاته، ص ١٠١.
(٨١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٠٢.
(٨٢) المصدر ذاته، ص ١٠٢.
(٨٣) المصدر ذاته، ص ١٠٢ - ١٠٣.
(٨٤) المصدر ذاته، ص ١٠٣.

التصرف في شيء من أمور الولاية. فأراد عمر باشا الاستعانة بابن معن، ولمّا سمع ابن سيفا بخبر استعداد ابن معن للخروج، أخلى طرابلس وما حولها، ولجأ بجميع توابعه وسكبانه الى عكّار، واكتفى ابن معن عند سماعه بخروج ابن سيفا من طرابلس، بارسال مجموعة من سكبانيته على رأسهم بلوكباشي لضبط برج قرية بشرّيه[٨٥]، وطرد سكبان ابن سيفا منه[٨٦]. ونتيجة لتلكؤ ابن سيفا، وعدمْ وفائه بتسديد ما عليه من الأموال السلطانية المرتبة على منطقته، قسمت منطقته سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م، فكتبت سنجقية حماة على أحمد بك ابن شرابدار، وسنجقية جبلة على جعفر أفندي، وكتبت الدولة الى باشا الشام وعساكرها، والى ابن معن ويونس ابن الحرفوش، أن يكونوا عونا لها في ضبط أملاك ابن سيفا، وأملاك توابعه، وذلك للوفاء بالديون التي كانت عليه[٨٧]. وعندما توجه مصطفى باشا والي الشام سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م لقتال ابن معن، انقسم سكبان بني سيفا الى قسمين: قسم كان على رأسه الامير عمر بن سيف وانضم الى الوالي مصطفى باشا والقسم الآخر كان على رأسه سليمان بن سيفا وانضم الى الأمير فخر الدين، لكنه لم يصل إلا بعد انتهاء المعركة[٨٨]. وكان هذا الانقسام نتيجة للخلاف بين الأمراء من بني سيفا، خاصة بعد أن جرّد يوسف باشا سيفا جملة عسكرية على ابن أخيه، سليمان، الذي كان يرابط في برج صافيتا سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م، بسبب تأييد الأخير للأمير فخر الدين المعني[٨٩]. وبعد وفاة الأمير يوسف باشا سيفا سنة ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م انهارت قوات السكبانية التابعة له، وسلمت برج صافيتا آخر برج كانت

---

(٨٥) بشري احدى قرى محافظة الشمال، وهي مركز قضاء، تبعد عن بيروت ١٢٥ كم. انظر: عفيف بطرس مرهج، اعرف لبنان، ٩ م، مطابع مؤسسة الأرز، بيروت ١٩٧١ – ١٩٧٢ جـ١، ص ٣٤٠ – ٣٤٨. سيشار لهذا المرجع ،مرهج: اعرف لبنان.

(٨٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين اللعني، ص ١١٦ – ١١٧،
Salibi, The Sayfas and Eyalet of Tripoli, P. 45.

(٨٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١١٦، ١٢١، ١٢٢.

(٨٨) المصدر ذاته، ص ١٤٨، ١٥٢.

ترابط فيه سنة ١٠٣٥ هـ/١٦٢٥ م. وانضم السكبانية الذين فيه وعددهم أربعمائة الى سكبانية ابن معن[٩٠]. ورافق ذلك ضعف الأسرة السيفية، واضطر أكثر أفرادها الى الاختفاء، بسبب صولة ابن معن، وما ان ألقي القبض على الأمير فخر الدين حتى ظهر من كان قد اختفى منهم، هذا ما يؤكده العطيفي الذي زار طرابلس سنة ١٠٤٣ هـ/١٦٣٣ م والتقى بأحد أفراد هذه الأسرة[٩١].

جـ - جيش بني الحرفوش

كانت زعامة الأسرة الحرفوشية منذ بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر، للأمير موسى بن الحرفوش[٩٢]. وكانت العلاقة عدائية بينه وبين الأمير يوسف باشا سيفا، بسبب عداء قديم بين الأسرتين. فقد أقدم الأمير موسى بن الحرفوش، بناء على أمر من والي دمشق، على قتل الأمير علي بن سيفا صاحب طرابلس سنة ١٠٠٧ - ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩ م. وفي سنة ١٠١١ هـ/١٦٠١ م استغل يوسف باشا سيفا انشغال جيش دمشق في قتال «العاصي» عبد الحليم اليازجي: فهاجم ابن الحرفوش، وحاصر قلعة بعلبك مدة خمسين يوماً. ولم يرفع الحصار عنها إلاّ بعد أن تحرك الأمير فخر الدين المعني لنجدة صديقه موسى بن الحرفوش[٩٣]. وأثناء توجه الحملة التي قادها ابن جانبولاد وابن معن على دمشق سنة ١٠١٥ - ١٠١٦ هـ/١٦٠٦ - ١٦٠٧ م

---

(٨٩) المصدر ذاته، ص ١٢٥.

(٩٠) ، تاريخ الأزمنة، ص ٣٢١.

(٩١) رمضان بن موسى العطيفي (ت ١٠٩٥ هـ/١٦٨٣ م)، رحلة من دمشق الشام الى طرابلس الشام. تحقيق اسطفان فيلد، نشرت مع رحلة النابلسي «حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز» ضمن كتاب رحلتان الى لبنان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٦، سيشار لهذا المصدر: العطيفي، رحلة من دمشق الشام.

(٩٢) **Rafeq**, The Province of Damascus,P. 201.

وعن اصل هذه الأسرة، ومكان استقرارها ومذهبها انظر:

Salibi , K. S. «Harfush», E. I^2, vol III, PP. 205 - 6; Rafeq, The Province of Damascus, **P. 200.**

(٩٣) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٩٦، قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته، ص ١٠٢ - ١٠٣.

استقبلها ابن الحرفوش، وكان يرمي من وراء ذلك الى حماية منطقته من خطر استباحتها من قبل جيشي الأميرين(٩٤)، وحاول هذا الأمير اصلاح ذات البين بين عسكر دمشق، والقوة المهاجمة. ولما فشل في مسعاه، آثر الانضمام الى جانب عسكر دمشق(٩٥)، بينما انحاز ابن عمه الأمير يونس الى جانب الأميرين: ابن جانبولاد وابن معن(٩٦). مما أذكى نار العداء بين الأميرين موسى بن الحرفوش وابن عمه يونس بن الحرفوش. ولما رجعت القوات المهاجمة، أراد موسى أن ينتقم من ابن عمه يونس بن الحرفوش. فخرج الى برج القيرانية، وجمع جمعاً كبيراً وقصد الأمير يونس في بعلبك، لإخراجه منها، ولكن وفاته حالت دون ذلك(٩٧). وحاول الامير يونس أن يبرهن على إخلاصه لأولياء نعمته فبعث سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م سكبانه لمساعدة الأمير ابن معن(٩٨). وبعد ذلك بعشر سنوات بعث أربعة من بلوكباشيته مع أنفارهم ليشاركوا سكبان ابن معن في محاصرة قلعة الحصن(٩٩). وفي الوقت ذاته قام بالهجوم على سكبان ابن سيفا الذين كانوا في برج القيرانية، وتمكن من احتلاله، ثم قام بضبط ناحية القيرانية والهرمل(١٠٠). لقد أدرك الأمير يونس ومن قبله الأمير موسى ابن الحرفوش أهمية منطقتهما. فقاما ببناء بعض القلاع والأبراج. وكان من أهمها، قلعة بغلبك، وتتمثل أهمية هذه القلعة في حماية البقاع من جهة الجنوب. بينما كان يحمي مدخل البقاع من الشمال حصن اللبوة(١٠١)، ثم برج القيرانية الذي احتله من

---

(٩٤) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٣٢.

(٩٥) المصدر ذاته، ص ٤٣٣.

Rafeq, The Province of Damscus, P. 203.

(٩٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٧٩، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٣٣.

(٩٧) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٣٣.

(٩٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١١.

(٩٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٧٧، المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ١٧٦.

(١٠٠) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٧٧.

(١٠١) قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته، ص ٨٦.

الأمير يوسف سيفا(١٠٢). وقد طلب أحمد باشا الحافظ والي دمشق سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣م من الأمير يونس تسليمه قلعة بعلبك وحصن اللبوة، إلاّ ان ابن الحرفوش أرضى الوالي بخمسين الف قرش(١٠٣). ومنذ اواخر سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م بدأت العلاقات بالفتور بين ابن الحرفوش والأمير ابن معن، وذلك بسبب التقارب الذي حصل بين الأمير يونس بن الحرفوش وبين والي دمشق، خاصة بعد ان استأنس ابن الحرفوش في نفسه القوة. وتم نوع من الصداقة بين الأمير يونس ابن الحرفوش وبين كورد حمزة بلوكباشي، الذي أصبحت كلمته نافذة في جند دمشق خاصة بعد ان خرج كيوان بلوكباشي من دمشق ولجأ الى الامير فخر الدين المعني، وتحول العداء بين الاميرين: ابن الحرفوش وابن معن الى صراع مسلح. فوجه ابن معن بعض قواته الى البقاع، فهدمت حارة يونس ابن الحرفوش في قب الياس(١٠٤). ولما كتبت سنجقية صفد على الأمير يونس ابن الحرفوش، أخذ يجمع السكبان ويؤلف بين قلوبهم بـ«البخشيش» فأخذت السكبان تتوافد عليه «أقواما بعد اقوام»(١٠٥)، ولكن الأمر لم يطل لابن الحرفوش في صفد، فقد كتب السنجق مرة اخرى على الامير فخر الدين المعني، فهرب ابن الحرفوش. وأراد ابن معن ان يقتص منه فوجه بعض قواته الى «كرك نوح» التي كان يرابط بها أربعمائة من سكبان ابن الحرفوش، واستطاعت قوات ابن معن ان تحتل القرية وتقتل ثلاثمائة من السكبان، كما احرقت قرى ابن الحرفوش(١٠٦). بقي ابن الحرفوش يتحين الفرص للانتقام من الأمير ابن معن، فقام بمساعدة كورد حمزة باقناع الوالي مصطفى باشا بغزو الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م. وبعد الانتصار الذي

(١٠٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٧٧.
(١٠٣) المصدر ذاته، ص ٢٥.
(١٠٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٣٥، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١٦.
(١٠٥) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٣٩.
(١٠٦) المصدر ذاته، ص ١٤٧، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١٧.

احرزه ابن معن في معركة عنجر، هرب ابن الحرفوش وكورد حمزة وعمر ابن سيفا الى حلب. اما سكبانية ابن الحرفوش فقد تحصنوا في قلعة بعلبك، وحصن اللبوة، وبرج القيرانية(١٠٧). وتوجه ابن معن بصحبة والي دمشق المأسور الى بعلبك قاعدة ابن الحرفوش لتخريبها، وفي الطريق حاضر برج اللبوة. وطلب من سكبانيته الاستسلام، فأجابوه انهم تبّع للسكبانية الذين في قلعة بعلبك، فاذا استسلم سكبانية بعلبك فانهم لن يتأخروا في تسليم انفسهم(١٠٨). ولما وصل ابن معن الى بعلبك ضرب الحصار حول قلعتها، وكان فيها مائتا سكباني، وتسعة بلوكباشية، وكان السردار عليهم شخص اسمه أحمد بلوكباشي، ودافع المحاصرون ببسالة، وقتلوا ما يقارب الاربعين سكبانيا من جماعة ابن معن، مما أجبر المهاجمين على عمل المتاريس، وأخذوا يتقدمون بحمايتها جنوب القلعة(١٠٩). ولم يستسلم سكبانية القلعة الا بعد سماعهم بأسر سيدهم ابن الحرفوش من قبل والي حلب مراد باشا، فانضموا عندئذ مع سكبانية حصن اللبوة الى سكبان ابن معن(١١٠). وبهذا تمت السيطرة للأمير فخر الدين المعني على مناطق الأسرة الحرفوشية.

د - جيش الأمير فخر الدين المعني الثاني

سعى الأمير فخر الدين المعني الثاني منذ توليه امارة البيت المغني الى ضمان عدم تدخل الدولة في شؤونه الداخلية. واستطاع ان يضمن ذلك طوال مدة امارته، على الرغم من توسعه على حساب الزعامات المحلية المجاورة، التي كانت اكثر ولاء للدولة منه. وقد ساعده في ذلك عدة عوامل كان من اهمها: زعامته التقليدية الموروثة في منطقة

---

(١٠٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٥٣.
(١٠٨) المصدر ذاته، ص ١٥٩، الشدياق، اخبار الأعيان، جـ١، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.
(١٠٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٥٣، ١٦٠ - ١٦٣، ١٧٢ - ١٧٣.
(١١٠) المصدر ذاته، ص ١٧٣، ١٨١، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣١٨.

الشوف[111]، وزعامته الشخصية المعترف بها على الدروز القيسية[112]. ثم استغلاله لأوضاع الدولة على مختلف الجبهات، وخلو بلاد الشام احيانا من قوات الدولة، كذلك فان اشرافه المباشر على شؤون امارته جعله مطلعاً على كل صغيرة وكبيرة داخل منطقة نفوذه[113]، وفوق ذلك كله، ذكاؤه وفكره اللذان سخّرهما في تحقيق طموحه. فهو كما وصفه التاجر الانجليزي Sandys الذي زار الأمير فخر الدين المعني أثناء مروره بالمنطقة سنة ١٦١٠م: «فعلى الرغم من قصره، وعمره الذي لم يتجاوز الأربعين عاما، وشجاعته النادرة، كان مكّارا كالثعلب[114]».

وعلاوة على ما ذكر فقد لجأ الأمير الى استخدام عدة وسائل مكنته من تأسيس امارة ثابتة الأركان، ضمن اطار الدولة العثمانية، ومن هذه الوسائل:

أولاً دفع الأموال المترتبة على منطقة نفوذه:

كان الأمير فخر الدين المعني الثاني من الناحية الرسمية ملتزما بجباية الضرائب في المناطق التي كان يسيطر عليها[115]، وحريصا على ان يؤدي الأموال العائدة الى خزينة الدولة سنويا. ولم يمنعه هربه خارج حدود الدولة العثمانية من الوفاء بالتزاماته. ولم «ينكسر» عنده للدولة مال قط[116]، بل كانت له احيانا اموال سلفا في خزينة الدولة[117]. وقد دفعت به هذه المواظبة على استعانة الدولة به لتحصيل «الأموال المكسورة» على الأمير يوسف باشا

---

(١١١) نقولا زيادة، **ابعاد التاريخ اللبناني الحديث**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٦. سيشار لهذا المرجع: زيادة، ابعاد التاريخ اللبناني.

(١١٢) المصدر ذاته، ص ٢٦.

(١١٣) قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته، ص ٦٢.

(١١٤) Sandys, A Relation of a journey, P. 164.

(١١٥) زيادة، **أبعاد التاريخ اللبناني**، ص ٢٦.

(١١٦) العرضي، **معادن الذهب**، ورقة ٢٦ ب.

(١١٧) الخالدي الصفدي، **تاريخ فخر الدين المعني**، ص ١٧.

سيفا. وقاده هذا الأمر الى الصدام المسلح مرتين مع ابن سيفا[118]، وفي الوقت ذاته كانت الدولة راضية عنه.

ثانيا: محاولة استرضاء اولي الأمر، ابتداء من الباب العالي في استنبول وحتى صغار العسكر في دمشق، وذلك عن طريق دفع الأموال، وتقديم الهدايا والتقدمات. فكانت للأمير ابن معن مقدرة عظيمة على تحويل غضب الصدور العظام والولاة الى مودة وصداقة. فعلى سبيل المثال: قدّم الأمير سنة ١٠٠١ هـ/١٥٩٣ م مبلغا كبيراً من المال الى والي دمشق الجديد (مراد باشا)[119]. وفي سنة ١٠٢١ هـ/١٦١٢ م استطاع أن يكسب ود نصوح باشا الصدر الأعظم، بعد ان كان من ألد أعدائه، بسبب نصرة ابن معن لعسكر دمشق، عندما حاول نصوح باشا اخراجهم من ولاية حلب. وبعث اليه فخر الدين، في محاولة لكسب صداقته، خمسة وعشرين الف قرش، علاوة على الخيل والثياب الثمينة[120]. وثلاثة مراكب محملة بالصابون[121]. وفي سنة ١٠٢٩ هـ/١٦١٩ م أرسل أموال الخزينة البالغة خمسة وعشرين الفا، ومعها خمسة وعشرين الفا اخرى للصدر الأعظم[122]. وفي عام ١٠٣١ هـ/١٦٢١ م قدّم الأمير الخدمة لوالي الشام مرتضى باشا، ثم ارسل المال السلطاني المطلوب منه[123]. وكان من عادة الأمير الاسراع في اكرام رجال الدولة الذين يمرون بمنطقته أو بجوارها. فعندما وصل قائد «العمارة» العثمانية **ممّي** باشا الى ميناء صيدا سنة ١٠٣٢ هـ/١٦١٣ م، لتفتيش الميناء، اسرع اليه

---

(١١٨) انظر ص ١٥٩ - ١٦٦ من هذه الدراسة.

(١١٩) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٢٣.

(١٢٠) **Sandys**, A Relation of a journey, P. 164.

الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٢٤٠.

(١٢١) قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته، ص ٤٨.

(١٢٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ٨٩.

(١٢٣) الشدياق، اخبار الأعيان، جـ١، ص ٢٦٦.

ابن معن وشرح له وضعه. وشكى اليه تعديات والي دمشق أحمد باشا الحافظ على منطقته، وبالغ في اكرامه، مما جعل ممي باشا يعجل في الرحيل[١٢٤]. وقدّم الأمير وابنه على خمسة الاف قرش الى القبودان علي باشا عند وصوله الى ميناء صيدا سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م، علاوة على المؤن والمأكل ومختلف أنواع الفواكه[١٢٥]. ولم ينس الأمير قسما من عسكر دمشق من كرمه، فقد كانت هدايا الأمير وامواله تصل باستمرار الى كل من كورد حمزة وكيوان بن عبد الله، كبيري جند دمشق[١٢٦]. وبينما كان الأمير ابن معن يحاصر طرابلس سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠ م لاجبار واليها آنذاك يوسف باشا سيفا، على دفع اموال الدولة، وصله كيوان بن عبد الله وكورد حمزة، ومعهما مائة نفر من جند دمشق. كانوا مبعوثين من قبل والي دمشق، لمطالبة الأمير ابن معن برفع الحصار. فأعطى كلا من كورد حمزة وكيوان بلوكباشي الف قرش، واعطى البلوكباشية الآخرين مع انفارهم الاقمشة والأموال[١٢٧]. وهكذا اصبح للأمير جماعة من العسكر داخل دمشق تناصره وتدافع عنه، وتخبره بما يحاك ضده داخل دمشق.

ثالثاً: تأسيس جيش قوي:

كان جيش الأمير فخر الدين المعني، من ناحية تركيبته الاجتماعية، مكونا من فئتين: الأولى، وتعرف بـ «العشير» أو «أولاد العرب»، وهم خليط من عناصر درزية وشيعية وسنية ومسيحية[١٢٨]. وكانت قيادة «العشير» مناطة بالأمير وابنه علي.

(١٢٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٦ - ١٧.
(١٢٥) المصدر ذاته، ص ٨٥.
(١٢٦) المصدر ذاته، ص ١٠٣.
(١٢٧) المصدر ذاته، ص ١٠٤.
(١٢٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٥، الشدياق، أخبار الأعيان، جـ١، ص ٢٨٧.

والفئة الثانية: تتكون من عناصر مأجورة وهي ما تعرف بـ «السكبان». فقد استطاع ابن معن أن يجند عدداً كبيراً منهم، خاصة بعد أن أصبح محط انظارهم لما يغدقه على امثالهم من الرواتب والهدايا والبخشيش[١٢٩]. وكان يقود هذه الفئة الأمير يونس ابن معن[١٣٠].

لم يتفق المؤرخون على تحديد جيش الأمير فخر الدين المعني الثاني. هناك روايات كثيرة ومتناقضة، وبعضها مبالغ فيه الى درجة كبيرة، خاصة اذا ما قورنت تلك الروايات مع الروايات التي يوردها مؤرخ الأمير ابن معن نفسه[١٣١]. ولعل هذا الاختلاف وهذه المبالغة يرجعان الى ان المؤرخين من السنّة كالبوريني والمحبي والمرادي، عز عليهم أن يهزم جيش الدولة الشرعي أمام جيش الأمير ابن معن الدرزي، إذ كان في نظرهم أنه مستحق للقتل وكافر، يضاف الى ذلك اعتماده على طائفة السكبان الخارجة عن طاعة الدولة. وقد أوصل هؤلاء المؤرخون عدد جيش الأمير الى مائة ألف جندي[١٣٢]، ونقل عنهم بعض المؤرخين المتأخرين ذلك، دون تدقيق[١٣٣]. أما Sandys الذي زار الأمير سنة ١٦١٠م فقدر عدد قواته بأربعين ألفا. ووصفهم بأنهم من ذوي الخبرة الحربية، وانهم يضمون بين صفوفهم عناصر من المسيحيين والمغاربة[١٣٤]. وينقل الأب بولس قرالي أرقاماً أخرى جمعها من وثائق متعددة، كان مصدرها مبعوثي إمارة توسكانا، الذين زاروا منطقة الأمير ابن معن،

---

(١٢٩) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٢٠٩.

(١٣٠) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(١٣١) هذا المؤرخ هو الشيخ احمد الخالدي الصفدي، وكتابه هو «تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني» والذي نشره د. اسد رستم، و د. فؤاد افرام البستاني تحت عنوان لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني.

(١٣٢) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٦٧، المرادي، سلك الدرر، جـ٢، ص ٥٩.

(١٣٣) انظر: المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، هـ ص ٦٥، قرألي، فخر الدين امير لبنان، ص ١٨٥.

(١٣٤) Sandys, A Relation of a journey, P. 165.

وقـدروا عـدد جيش الأمـير اثني عشر ألـف مقـاتـل وذلـك سنـة ١٦٣٢ م[١٣٥]. ويورد المؤرخ طنوس الشدياق أرقاماً متقاربة وأحياناً مطابقة لما يورده الخالدي الصفدي، فقد بلغ عدد جيش الأمير سنة ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م أربعة عشر ألف مقاتل[١٣٦]. بينما وصل هذا العدد سنـة ١٠٤٤ هـ/١٦٣٤ م الى أربعـة وعشرين ألـف مقـاتـل[١٣٧]. أمـا الشواهد التي يوردها الخالدي الصفدي عن عدد هذا الجيش فكانت كما يلي: في سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م بلغ العدد أربعة آلاف مقاتل، منهم ثلاثة آلاف من السكبانية، والباقي من أولاد العرب[١٣٨]. وفي سنة ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م، بلغ عدد قوات الأمير أربعة عشر ألف مقاتل: تسعة آلاف من السكبانية، وخمسة آلاف من أولاد العرب. من هنا نستطيع القول أن عدد قوات ابن معن لم يتجاوز الأربعة عشر ألف مقاتل، خاصة إذا عرفنا أنه ليس بامكان الأمير إعداد قوات أكثر من ذلك. وقد عزّز ذلك معرفته لطبيعة منطقته الجغرافية، ومركزها الحربي الممتاز، وانه يستطيع بأقل عدد من الجنود مع قلاعه المحصنة الوقوف أمام قوات الدولة، وهذا ما حدث فعلا[١٤٠]. وكان سكبان ابن معن من مشاة وفرسان، منقسمين في قولين: السكبانية القديمة، وهم الذين مضى على خدمتهم فترة طويلة من الزمن، والسكبانية الجديدة الذين دخلوا حديثاً في الخدمة[١٤١]. أما البوريني فيورد تقسيماً آخر لقوات ابن معن، عند محاصرة أحمد باشا الحافظ لقلعة شقيف أرنون: «وكان المحصور في القلعة قسمان من الأروام البغاة السكبان، وقسم من العرب الدروز

---

(١٣٥) قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته، ص ١١٨.
(١٣٦) الشدياق، اخبار الأعيان، جـ١، ص ٢٨٧.
(١٣٧) المصدر ذاته، جـ١، ص ٢٩٠.
(١٣٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٥٢.
(١٣٩) المصدر ذاته، ص ١٤٩.
(١٤٠) قرألي، فخر الدين امير لبنان، ص ١٧٠.
(١٤١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٤٩.

المستحقين للقتل باجماع المذاهب »[١٤٢]. وكان جميع سكبان ابن معن يتقاضون رواتب نقدية من خزينة الأمير، ويتم أحياناً دفع رواتبهم عن سنتين مقدماً[١٤٣]. وعلاوة على الرواتب، فقد كانوا يأخذون ما يعرف بالبخشيش قبل إقدامهم على أي عمل. وكان يقدم لهم الهبات والهدايا باستمرار[١٤٤]. ومع ذلك فقد أوجدوا العديد من المصاعب للأمير ابن معن وابنه علي وأخيه الأمير يونس، لأسباب مختلفة كان من أهمها: انهم لا يرغبون بالمسير الى مسافات بعيدة، وانهم لا يطيقون قطع البخشيش والهبات عنهم. ففي سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣م عندما جرّد الأمير فخر الدين حملة على الشيخ رشيد وعربه النازلين في واحة الأزرق، رفضت السكبانية التوجه مع الجردة، لما بلغهم من بعد المكان وشح المياه فيه، ولم يصحبه إلا القليل منهم[١٤٥]. وقبل أن يهرب الأمير فخر الدين المعني الى توسكانا سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣م، وضع في قلعتي، الشقيف وبانياس مائة ألف قرش، رواتب للسكبان، خوفاً من تسليم القلعتين للحافظ، إذا ما انقطع المال عنهم[١٤٦]، وهذا ما حدث فعلا، فعندما حاصرت قوات الحافظ قلعة شقيف أرنون سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣م، استنجد سكبان القلعة بسكبانية دير القمر، وكان معهم آنذاك الأمير يونس بن معن، ولكنهم رفضوا تقديم أي عون، إلا بعد ان دفع الأمير يونس لكل منهم خمسة قروش هدية[١٤٧]. وكان لعلي بن فخر الدين معهم شأن آخر، فإنه عندما خرج هاربا مع سكبانه الى معان، رفضوا التوجه معه الى دومة الجندل، وعزموا على تركه[١٤٨]، فاضطر الأمير علي

---

(١٤٢) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٢٠٨.
(١٤٣) قرألي فخر الدين امير لبنان، ص ١٩١.
(١٤٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٨.
(١٤٥) المصدر ذاته، ص ١٠.
(١٤٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٣.
(١٤٧) المصدر ذاته، ص ٢١ - ٢٢.
(١٤٨) المصدر ذاته، ص ٢٧.

الى الاذعان لهم. ولما وصلوا الى المفارق طلبت السكبانية واللاوند العلوفة من الأمير، ولم يكن معه آنذاك ما يكفيهم، فافترقوا عنه، وكان السبب في نظرهم انهم «اشمأزوا من الدوران معه في البرية»، ولم يبق معه سوى خمسين رجلاً[149]. توجهت السكبانية المنفصلة عنه الى بلاد بعلبك للالتحاق بالأمير أحمد بن الحرفوش. وعندما لم يجدوا منه اهتماماً وترحيباً، حاولوا إفساد جماعته، فاسترضاهم الأمير، فلما ان اصبحوا عنده في حصن اللبوة حتى ألقي القبض على خمسة من بلوكباشيتهم مع مائة سكباني وقتلهم، وبعث برؤوسهم الى الحافظ الذي يحاصر قلعة شقيف أرنون[150]. ويعلق الخالدي الصفدي على خيانتهم تلك، والمصير الذي آلوا إليه بقوله: «... والله تعالى جازاهم حيث فارقوا استاذهم الذي أكلوا خبزه وملحه من غير أن يحصل منه في حقهم تقصير لكون عذره كان واضحاً وتركوه في البرية في حال الضيق والمضايقة الكلية. وهذا جزاء كل مخالف عنيد وما ربّك بظلام للعبيد»[151]. وفي سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٣م عندما وجد السكبان صعوبة في قتال جماعة الأمير أحمد بن طرباي الحارثي، استغلوا وضع الأمير ابن معن الحرج وطلبوا منه البخشيش وكان عددهم الفين وثمانمئة نفر[152] وبعد أن احتل ابن معن قلعة بعلبك من يد ابن الحرفوش، ثار السكبان على الأمير وطالبوه أن يسلمهم محمد بلوكباشي القزّاز وطويل أحمد، وهما من كبار بلوكباشية السكبانية القديمة، لأنهما كانا السبب في منع البخشيش عنهم. ولم تهدأ ثورتهم إلا باجبار الأمير على دفع عشرة قروش بخشيش لكل منهم وسماها «حلوان»[153]. وعلى الرغم من كثرة عقوق السكبانية للأمير ابن

---

(١٤٩) المصدر ذاته، ص ٢٨.
(١٥٠) المصدر ذاته، ص ٢٨.
(١٥١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٨.
(١٥٢) المصدر ذاته، ص ١٣٩ - ١٤٠.
(١٥٣) المصدر ذاته، ص ١٧٤ - ١٧٦

معن، إلا أنه استطاع أن يتعامل معهم بنجاح، ما دام المال متوفر في خزينته. واستطاع أن يجعل منهم قوة ضاربة مرهوبة الجانب، ومدربة تدريباً عالياً. وقد عرف عنها اتقانها لأساليب القتال المختلفة، وقد ظهرت كفاءتهم في المعارك التي خاضوها ضد عسكر دمشق، وضد جيوش الزعامات المحلية الأخرى، ولم يبخل ابن معن بتزويد قواته بمختلف أنواع الأسلحة وأحسنها، فقد جرّه ذلك الى إقامة علاقات خارجية مع دول أوروبا، مثل توسكانا وفرنسا واسبانيا(١٥٤). فحصل الأمير على ألف بندقية من أمير توسكانا(١٥٥). وكان يستورد من توسكانا البنادق والسيوف والمدافع والمواد المتفجرة(١٥٦)، وكان ملك اسبانيا قد أهدى للأمير قطعتين من المدفعية وكمية من البنادق(١٥٧). ويذكر الأب بولس قرالي أن الأمير فخر الدين وقّع معاهدة مع أمير توسكانا نصت على تزويد ابن معن بخبير في صب المدافع، يقوم بصب عشرة مدافع وما يناسبها من عتاد، ومساعدة المراكب التوسكانية له في حالة تعرضه للخطر(١٥٨).

أدرك ابن معن أهمية بناء القلاع والحصون والأبراج داخل منطقة نفوذه، فقام ببناء وترميم الكثير منها، حتى قيل أنه تصرف بما يزيد على الثلاثين حصناً(١٥٩). وقيل أن بعض هذه القلاع كان قادراً على مقاومة الحصار مدة خمس سنوات(١٦٠). وحقق ابن معن، عن طريق القوة، ما لم يحققه بالمال أو بالسياسة، فخاض غمار عدة معارك مع

(١٥٤) قرألي، فخر الدين امير لبنان، ص ١٦٠.
(١٥٥) المصدر ذاته، ص ١٧٠.
(١٥٦) المصدر ذاته، ص ١٧٠.
(١٥٧) قرألي، فخر الدين ادارته وسياسته، ص ١٣٧ - ١٣٨.
(١٥٨) قرألي، فخر الدين امير لبنان، ص ١٧١ - ١٧٢.
(١٥٩) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٢٠٧؛ الخالدي، الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٢.
(١٦٠) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٢٠٧.

الزعامات المحلية، خرج من معظمها منتصرا. وأضاف المزيد الى منطقة نفوذه[١٦١]، فقد تصرف كما يقول المحبي: «...في بلاد ما خطر في بال أحد من الأمراء التصرف فيها»[١٦٢]. واصبح هذا الأمير ملجأ للهاربين والمظلومين من قبل الدولة[١٦٣]. وبدأت الدولة تشعر بالخطر الذي يمثله ابن معن، ورأت أنه من الواجب القضاء عليه. ولكن الظروف كانت تحول دون تحقيق ذلك[١٦٤]، فقد حاولت الدولة تجريد عدة حملات على ابن معن، وكان الفشل من نصيب أكثرها. في سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م عندما وصلت الأخبار الى الصدر الأعظم: بأن الأمير فخر الدين المعني قد تغلب على بلاد حوران والجولان، وانه يحاصر دمشق، امر بانفاذ حملة كبيرة للتخلص منه. وضمت هذه الحملة أربعة عشر بكلربكيا وخمسين سنجقاً، وكان سردار الحملة أحمد باشا الحافظ والي دمشق. وانضم الى الحملة يونس ابن الحرفوش وحاكما وادي التيم[١٦٥]. ولما علم الأمير ابن معن بالأمر، أخذ في تحصين قلعتي: بانياس وشقيف أرنون، ووضع فيهما كميات من البارود والرصاص والمؤن ما يكفي العسكر المحاصرين مدة خمس سنوات، وجعل على عسكر قلعة بانياس حسين اليازجي سرداراً وبها عشرة بلوكباشية على ألف نفر من المشاة[١٦٦]. وعين على عسكر الشقيف طويل حسين بلوكباشي، وبها خمسة بلوكباشية على أربعمائة نفر من المشاة. وأوصى العسكر بالمحافظة عليهما وعدم تسليمهما حتى ولو وقع أسيراً في يد قوات الدولة[١٦٨]. ولما رأى الأمير

---

(١٦١) انظر وقائعه مع الأمير يوسف باشا سيفا، ص ١٥٩ - ١٦٦ من هذه الدراسة. ومع الأمير يونس ابن الحرفوش، ص ١٦٦ - ١٦٩ من هذه الدراسة.

(١٦٢) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢٦٧.

(١٦٣) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٨.

(١٦٤) Shaw, History of the Ottoman Empire, vol. I. P. 195.

(١٦٥) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٢٠٨، الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١١ - ١٢، العرضي، معادن الذهب، ورقة ٢٦ ب المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٨١.

(١٦٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٢.

(١٦٧) المصدر ذاته، ص ١٢

(١٦٨) المصدر ذاته، ص ١٣

عزم والي الشام واصراره على القضاء عليه، قرر الهرب عن طريق البحر الى توسكانا، لأن الحافظ كان قد سد عليه كل المنافذ(١٦٩). ولما علم الحافظ بهرب الأمير ابن معن شدد الحصار على قلاعه في محاولة لتخريبها، خاصة قلعة الشقيف، وباءت محاولة الحافظ بالفشل بسبب صمود المدافعين عن القلعة، ولم يجد الحافظ بداً من الرحيل بسبب حلول فصل الشتاء(١٧٠). وفي السنة التالية ١٠٢٣ هـ/١٦١٤م، حاول الحافظ إضعاف ابن معن، لكن الأمير أوقع هزيمة قاسية بقوات الدولة في عين الباروك(١٧١). وفي سنة ١٠٢٧ هـ/١٦١٧م لقيت شرذمة من عسكر دمشق هزيمة شنيعة أمام مجموعة صغيرة من سكبان ابن معن(١٧٢). ومنيت قوات الدولة بهزيمة كبيرة أمام قوات ابن معن ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م، في معركة عنجر وتوج انتصار ابن معن بأسر والي الشام مصطفى باشا(١٧٣)، وأجبر كبار دمشق وأعيانها على تسيير وفد لاسترضاء الأمير ابن معن، واستعطافه لاطلاق سراح الوالي، مقابل ارجاع كيوان ابن عبد الله بلوكباشي الى دمشق وتنصيبه آغا للانكشارية، وتنصيب طريفي حسين بلوكباشي كتخدا للانكشارية، وان يرافقها جماعة من سكبان ابن معن(١٧٤). وشعر كيوان بأهميته وأخذ يتصرف تصرفات أزعجت الأمير ابن معن، مما دعاه الى قتله وهو في بعلبك(١٧٥). وزادت ثقة ابن معن بنفسه في أعقاب موقعة عنجر، وتجاوز الحد في الطغيان، وبلغ كما يقول المحبي: «... مبلغاً لم يبق وراءه إلا دعوى السلطنة»(١٧٦). واستمر ابن معن في تحصين منطقته وأخذ ببناء

(١٦٩) المصدر ذاته، ص ١٧.
(١٧٠) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ٣٠٩، الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٨ - ٢٢.
(١٧١) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٣٤ - ٣٦.
(١٧٢) المصدر ذاته، ص ٦٢.
(١٧٣) المصدر ذاته، ص ١٣٨ - ١٣٩، ١٤٩ - ١٥٢.
(١٧٤) المصدر ذاته، ص ١٥٤.
(١٧٥) المصدر ذاته، ص ١٥٤.
(١٧٦) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٨٦.

بعض القلاع الجديدة. وبعد أن استرجع السلطان مراد الرابع بغداد، أراد أن يضع حداً لبعض حركات العصيان. فأصدر أمره الى والي الشام بافناء الأسرة المعنية(١٧٧). ونفذ الكجك أحمد والي الشام الأمر، وتجمعت عساكر دمشق وحلب وطرابلس وغزة والقدس ونابلس واللجون وعجلون وحمص وحماه تحت امرته(١٧٨). ولما علم ابن معن بأمر الحملة وزّع قواته على قلاعه المتناثرة، مما سبب تشتت قوة ابن معن. وبدأت قوات الكجك أحمد بالزحف، فبدأ بالشهابيين أصحاب وادي التيم. وخرج الأمير علي بن معن لنصرتهم، ولكن ما ان خرج من قلعة بانياس حتى هاجمته عساكر الكجك من الخلف، وهزمت قواته بعد أن سقط قتيلاً(١٧٩). ولما سمع الأمير فخر الدين بمصرع ابنه خارت عزائمه وهربت سكبانه، فلجأ الأمير فخر الدين الى مغارة جزّين(١٨٠). وبعد أن أحرق الكجك الشوف توجه لمحاصرة قلعة الشقيف (نيحا)، وأمر بنقضها بعد أن ضبط ما بداخلها، واستسلمت له حامية القلعة(١٨١). توجه الكجك بعد ذلك الى مغارة جزّين وشدّد الحصار عليها وهدّد بنسفها بالبارود، إذا لم يسلّم الأمير نفسه. فأذعن الأمير ومن معه الى أوامر الكجك، فاستسلم الأمير وأرسل مقيداً الى دمشق، ومنها الى استانبول(١٨٢). وباستسلام الأمير فخر الدين ضعف البيت المعني. وترك

(١٧٧) الشدياق، اخبار الاعيان، جـ١، ص ٧٠.
(١٧٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٤٤، المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٨٦، جـ٣، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
(١٧٩) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.
(١٨٠) هي الآن احدى قرى محافظة لبنان الجنوبي، تبعد عن بيروت ٧١ كم، وهي مركز قضاء جزين، ويبلغ عدد سكانها ١٠٥٠٠ نسمة. وتقع على سفح جبل التومات في جنوبي سلسلة جبال لبنان الغربية. انظر:
مرهج، أعرف لبنان، جـ٤، ص ٥ - ١٢.
(١٨١) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.
(١٨٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٢٤٨، ابراهيم النجار، مصباح الساري ونزهة القاري، بيروت، ١٢٧٢، ص ١٧٦. سيشار لهذا المرجع، النجار، مصباح الساري،
Urqhart, THe Lebanon, 2 vol. London, 1860, vol. I. P. 89.
Urqhart, The Lebanon :سيشار لهذا المرجع

الأمر بقتله فراغاً سياسياً كبيراً، ملأته الاسرة الشهابية فيما بعد.

هـ - جيوش الزعامات المحلية الأخرى

١ - **جيش ابن الأعوج**(١٨٣): كان ابن الأعوج أميراً في حماة لعدة سنوات، استطاع خلالها عن طريق جاهه ومنزلته الرفيعة أن يجمع حوله العديد من السكبان. وعندما عزل عن حماة ليولى معرة النعمان رافقته جميع عساكره(١٨٤). وقد أيد ابن الأعوج الأمير موسى بن الحرفوش أثناء نزاعه مع يوسف باشا سيفا(١٨٥) وفي سنة ١٠٢٣ هـ/١٦١٤م، انضم أحد أمراء هذه الأسرة وهو حسين بك ابن الأعوج بجميع «عشرانه» واتباعه الى أحمد باشا الحافظ وذلك أثناء حملته على بلاد الأمير فخر الدين المعني الثاني(١٨٦).

٢ - **جيش مصطفى بن أبي زيد**، حاكم ناحية دركوش(١٨٧): وقد وقع بين هذا الأمير وبين قبوقولية حلب سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م قتال عنيف، كان النصر في نهايته للأمير مصطفى(١٨٨). وعندما توجه والي دمشق في هذه السنة الى ديار ابن معن التحق به الأمير مصطفى ومعه ألف من السكبان، وذلك طمعاً في الغنائم(١٨٩). ولما وصل ابن أبي زيد حصن اللبوة، بلغه انكسار

---

(١٨٣) هو الأمير حسن بن محمد، المعروف بابن الأعوج، امير حماة، له معرفة بالعربية وآدابها، وعاشر الأدباء والشعراء، وكانت وفاته سنة ١٠١٩ هـ/١٦١٠م. انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٤٥ - ٥١.

(١٨٤) المصدر ذاته، ص ٤٦.

(١٨٥) المصدر ذاته، ص ٤٧، جـ٤، ص ٤٣٢.

(١٨٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ٣٥.

(١٨٧) دركوش بلدة على نهر العاصي غربي حلب، وتشتهر اراضيها بزراعة العنب.. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٢٨.

(١٨٨) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٢٤.

عسكر دمشق فرجع الأمير مصطفى الى بلاده[190]. وحاول والي حلب مراد باشا القضاء على ابن أبي زيد وقواته. فجمع سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م عساكر حلب وسكبان الأمير مدلج الحياري عدو ابن أبي زيد اللدود، فهاجم الأمير مصطفى في انطاكية على حين غرة. وكان عند أبي زيد في هذه الأثناء خمسة وعشرون بيرقاً من بيارق السكبانية. ووقعت الحرب بين الطرفين على أبواب انطاكية. واستفاد ابن أبي زيد من وعورة المكان، فانهزمت عساكر حلب، وأخذ سكبان ابن أبي زيد بمطاردتهم. ولكن الوالي استطاع أن يأخذ مرة أخرى بزمام الأمور ويشن هجوماً معاكساً على سكبان ابن أبي زيد، فكسر سكبان ابن أبي زيد كسرة شنيعة، وقتل منهم ثلاثمائة، وهرب الباقي الى انطاكية، حيث استغلت الرعية الفرصة، فأجهزت عليهم نيابة عن والي حلب، وذلك انتقاماً لما فعلوه بمدينتهم[191]. وهرب مصطفى ابن أبي زيد الى جبلة. وأراد مراد باشا أن يضيق عليه الخناق، فأصدر أوامره: بأن كل من يأوي الأمير مصطفى ابن أبي زيد وسكبانه يكون عدوا للوالي ومستحقاً للعقاب[192] وكتب الى يوسف باشا سيفا، والأمير قاسم بن سيفا حاكم سنجق جبلة، والأمير سليمان بن سيفا حاكم بلاد صافيتا، بأن ينصب كل منهم شركا للقبض على الأمير مصطفى. وأثناء مرور ابن أبي زيد بالقرب من برج صافيتا، استطاع سليمان بن سيفا استدراجه الى البرج، والقاء القبض عليه، ومن ثم أرسله مقيداً الى والي حلب، وانضمت سكبانية ابن ابي زيد الى الأمير سليمان بن سيفا[193].

---

(١٨٩) المصدر ذاته، ص ١٤٠، ١٥١.

(١٩٠) المصدر ذاته، ص ١٥١.

(١٩١) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٦٩.

(١٩٢) المصدر ذاته، ص ١٦٩.

(١٩٣) المصدر ذاته، ص ١٦٩ - ١٧٠.

٣ - **جيش الأمير مدلج الحياري:** أمير عرب الحياري، وكان هذا الأمير على علاقة طيبة مع الأمير فخر الدين المعني[١٩٤]، وقد استعان هذا الأمير سنة ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م بالأمير فخر الدين المعني الثاني الذي أمده بأربعمائة سكباني[١٩٥] لمساعدته في القضاء على خصومه. وكان قد اجتمع عند الأمير مدلج عدد آخر من السكبان[١٩٦]، وفي شهر رمضان من تلك السنة طلب ابن معن من الأمير مدلج: ان يبعث له بسكبانه الذين كان قد أرسلهم إليه، ويردفهم بآخرين من عنده[١٩٧]، فبعث إليه الأمير مدلج سكبانيته، ومعهم ثمانية بلوكباشية مع أنفارهم من سكبان الأمير مدلج. وقد اشتركت سكبان الأمير مدلج في معركة عنجر سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م الى جانب سكبان الأمير فخر الدين المعني[١٩٨]. وكان قد انضم الى خدمته بعض السكبانية الهاربين من بغداد سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م[١٩٩].

٤ - **جيش الأمير محمد بن فروخ**[٢٠٠] حاكم سنجق نابلس، وقد كان لسكبانه دور كبير في تأمين الحماية لقافلة الحج الشامي. كما كان لها الدور الأكبر في القاء الرعب في قلوب العربان[٢٠١]. وانضمت سكبان الأمير ابن فروخ سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م الى الأمير

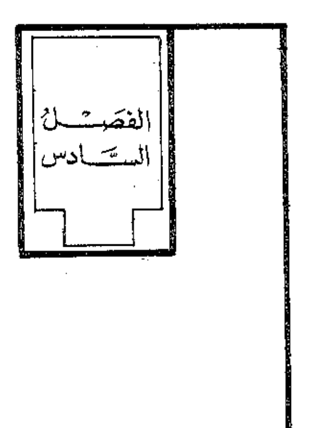
---

(١٩٤) المصدر ذاته، ص ٨٨.
(١٩٥) المصدر ذاته، ص ١٢٤ - ١٢٥.
(١٩٦) المصدر ذاته، ص ١٣١.
(١٩٧) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٣١.
(١٩٨) المصدر ذاته، ص ١٣١، ١٣٥، ١٤٩.
(١٩٩) المصدر ذاته، ص ١٦٨ - ١٦٩.
(٢٠٠) الأمير محمد بن فروخ، امير الحج الشامي، وتولى سنجق نابلس بعد وفاة ابيه سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠م، وأرهب العربان اثناء فترة امارته، وبقي في امارة الحج ثماني عشرة سنة. وكانت وفاته سنة ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨م.
انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ١٠٨ - ١١٠.
(٢٠١) المصدر ذاته، ص ١٠٨.

أحمد بن طرباي عندما هاجم الأمير ابن معن. وبقيت سكبان ابن فرّوخ تطارد سكبان ابن معن بعد هزيمتهم، وترميهم بالرصاص، ولم يستطع ابن معن التخلص منهم إلا بعد أن أرجع إليهم عشرة بيارق من السكبانية (أي بمقدار خمسمائة نفر) فردوهم على أعقابهم[٢٠٢].

---

(٢٠٢) الخالدي الصفدي، تاريخ الامير فخر الدين المعني، ص ١٩١.



دور العسكر في الحياة الاقتصادية

١ - دور العسكر الاقتصادي داخل المدن.

٢ - دور العسكر الاقتصادي في الريف.

١ - دور العسكر الاقتصادي داخل المدن

بالرغم من حرص العثمانيين على عدم السماح للعناصر المحلية من الانخراط في سلك القوات النظامية، فان قسماً من هذه العناصر قد تسربت الى صفوف الجيش العثماني في بلاد الشام، وقد رأينا كيف تم مثل هذا التقارب بين الطرفين، بسبب رغبة كل منهما في الاستفادة من امتيازات الآخر. فالعناصر المحلية أرادت ان تحمي مصالحها الاقتصادية بالاستفادة من الامتيازات التي كان يتمتع بها افراد الانكشارية، ورغبة الانكشارية في النزول الى الساحة ومشاركة الرعية في كثير من وجوه النشاطات الاقتصادية. لذا زادت الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها الدولة في عدم انضباط العساكر، هذا بالأضافة الى التضخم المالي الذي نجم عنه ارتفاع كبير في الأسعار[١]، ومما يلفت الانتباه ان العسكر اصبحوا بعد مرور جيل او جيلين، يسيطرون على مختلف جوانب الحياة الأقتصادية، حيث اثبتوا مقدرة ومهارة في هذا المجال، فعلى سبيل المثال: اصبح ابراهيم بن جعفر الرومي[٢] من كبار التجار في دمشق، وأحد اثريائها في مدة قصيرة[٣]، واصبح قاسم بن عبد المنان[٤]

---

(١) Lewis, The Emergence, P. 29.

(٢) ابراهيم بن جعفر الرومي، والده كتخذا عسكر دمشق وكان في ابتداء امره أحدَ الانكشارية، ثم ترقى الى ان صار زعيماً، ثم سنجقاً، فكثر ماله، وكانت وفاته سنة ٩٩٨ هـ/١٥٨٩م، انظر: نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ٨٧.

(٣) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ٨٧.

(٤) قاسم آغا ابن عبد المنان: احد كبراء دمشق، خدم في بداية حياته سنان باشا والي الشام، ثم عند ابنه محمد باشا، وولي وقف السنانية، وعمر ضريح سعد بن عباة، بقرية المنيحه، وهو تابع لوقف سنان باشا. وكانت وفاته سنة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧م. انظر: المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

احد اعيان المتفرقة من اثرياء دمشق[٥]، واحرز مكانة عالية وخاطبته سجلات محاكم دمشق الشرعية بـ : «... فخر الأفاخم والأعاظم نخبة الأكابر جامع المحامد والمعارف قاسم بن عبد المنان من اعيان المتفرقة بدمشق دام مجده...»[٦]. وورث مصطفى بن قاسم[٧] عن ابيه تلك المكانة، الا انه بزة في الثراء والجاه[٨]، وذكرته سجلات محاكم دمشق الشرعية: «... فخر الأماجد والأعيان سليل الأفاخم والأعاظم... مصطفى بيك.. ابن فخر الأماجد حاوي المحامد مستجمع المكارم قاسم آغا ابن عبد المنان...»[٩]، أما محمد بن الناشف[١٠] الذي كان في بداية امره كاتباً للجند فقيراً، نراه بجده ونشاطه يصبح لديه من الأملاك والأمتعة ما لا يمكن وصفه ولا عده[١١]، وينطبق ذلك على كثير من عسكر دمشق. وقد حقق لهم هذا النجاح الاقتصادي مركزاً اجتماعياً محترماً. وحاول العسكر المحافظة على هذه المكانة، ومحاربة كل من يريد حرمانهم منها، وهكذا اصبح هؤلاء العسكر في نظر كثير من افراد الرعية، المدافعين عن اصحاب المصالح الاقتصادية،

يجد الدارس لسجلات المحاكم الشرعية في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر، صوراً متعددة لنشاط العسكر الاقتصادي داخل المدن. ويأتي في مقدمة ذلك:

---

(٥) المصدر ذاته، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٢٥٣، ص ١٢٥. رمضان ١٠٤٣ هـ/١٦٣٣م.

(٧) مصطفى بن قاسم بن عبد المنان تولى اوقاف السنانية في دمشق بعد وفاة ابيه، ووضع يده على ما خلفه والده من اموال واسباب، وسافر الى استنبول، واصبح فيها احد البوابين للسلطان، ثم رجع الى دمشق، واخذت حالة بعد ذلك في السوء الى ان توفي في شعبان سنة ١٠٧٩ هـ/١٦٦٨م، انظر: المحبي خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٣٨٥ - ٣٨٧.

(٨) المصدر ذاته، ص ٣٨٦.

(٩) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٢٥٨، ص ١٢٩ - ١٣٠، ١٥ شوال ١٠٣٥ هـ/١٦٢٥م،

(١٠) سبقت ترجمته، انظر هامش ١١٨ ص ٥٠ من هذه الدراسة.

(١١) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٢١٤ - ٢١٥

أ - المجال التجاري: ان اول ما يلفت الانتباه هو اتجارهم بالمواد التي تهم قطاعاً كبيراً من الرعية، وذات مردود اقتصادي كبير. ومن اهم المواد التي تحكموا بتجارتها: البن (القهوة)، وكانت تجارة هذه المادة رائجة بدليل وجود كثير من القضايا الشرعية التي تشير الى المتاجرة بمادة البن[١٢]. ومن تلك القضايا: على سبيل المثال: ما ادعاه دلي بشه ابن عبدالله العسكري الوارث لأخيه علي محمد بن مصطفى العطار، الذي اشترى من اخيه المتوفي مائة وخمسة وثلاثين رطلا من البن، وان المنية عاجلت

(١٢) كانت تجارة العسكر بالبن (القهوة) قد تم في وقت كثر فيه جدل الفقهاء بين محرم لشرب القهوة وآخر محلل لها، وقد لخص لنا الأدكاوي (ت ١١٨٤ هـ/١٧٧٠م) ما دار بين هؤلاء الفقهاء فهو يقول: «انه قد وقع بين علماء دمشق المحروسة في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كلام في القهوة التي نشأت وحدثت بدمشق وغيرها في هذا الزمان، فافتى الشيخ يونس الشافعي العيساوي (الصحيح العيثاوي)... بتحريمها وصنف في ذلك تصنيفاً، وسئل عنها الشيخ موسى الحجازي الحنبلي... فأجاب ان كانت مسكرة مزيلة للعقل فلا شك في تحريمها، وان لم تكن كذلك فليس ذلك، لكن ان شربت على آلات دف وغناء وتصفيق وادارة بكاس وخصوصاً ان انضم الى ذلك معاشرة المردان وانواع المحرمات، فانها تحرم ايضاً، الا انها صارت حينئذ ذريعة ووسيلة الى المحرمات.....» وكان السبب الذي جعل الشيخ يونس العيثاوي يفتي بتحريمها: هو حدوث «فتنة عظيمة» في دمشق سنة ٩٥٣ هـ/١٥٤٦م، اما ابو الفتح المالكي (ت ٩٧٥ هـ/١٥٦٧م) الذى افتى بجوازها وكان على حد قول نجم الدين الغزى من المغالين في نصرة القهوة، فقد تعصب معه جماعة من العوام الذين الفوا شرب القهوة. وقد وافق الشيخ العيثاوي على تحريم القهوة جماعة من شيوخ الحنابلة والحنفية والشافعية، علاوة على قاضي القضاة، وكل هذا قد حدث بين يدي الوالي، وصدر مرسوم سلطاني سنة ٩٦١ هـ/١٥٥٣م بمنع شرب القهوة، ولكن بعد مدة وجيزه اعيدت. ويبدو ان بعض افراد القوات العسكرية كانوا يؤيدون شرب القهوة بدليل ما يورده احد الشعراء وهو ماماي الرومي (ت ٩٨٦ هـ/٩٨٧ هـ/ ١٥٧٨م/١٥٧٩م من شعر في القهوة:

واخوان سموا في كل فن	بدار قد حوت من كل حسن
اتتنا قهوة من قشر بن	تعين على عبادات العباد
لقهواتنا معان ليس تخفى	ورويتها تحال المسك عرفا

اما بدر الدين بن رضي الدين الغزى (ت ٩٩٣ هـ/١٥٨٥م) فقد افتى بجواز شربها. شريطة ان لا ينضم الى حلقات شربها آلات الطرب والمردان وغير ذلك. انظر:
نجم الدين الغزى، **الكواكب السائرة**، جـ٣، ص ٢٢، ١٥٨، عبدالله بن عبدالله الأدكاوي (ت ١١٨٤ هـ/١٧٧٠م)، **حسن الدعوة للإجابة الى القهوة**، من مجموعة المخطوطات العربية المحفوظة بجامعة (Yale) مجموعة Landberg 55 يوجد صور عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم ٦، ورقة ١٢ أ - ١٢ ب.

اخاه قبل ان يقبض الثمن[١٣]. وكان من بين مخلفات علي بشه ابن بيرم بخان المرادية في دمشق مائة وخمسون رطلا من البن[١٤]. ويبدو ان السوق الرئيسية التي كان يستورد منها العسكر البن، هي مكة، خاصة إثناء مواسم الحج، حيث يقوم العسكر المرافقون لقافلة الحج بشراء كميات كبيرة من هذه المادة بناء على طلب من مرؤوسيهم، أو لبيعها لحسابهم الخاص. ويتبين لنا ذلك من خلال القضية الشرعية التالية: «... تسلم فخر الاماثل والأقران محمد بشه ابن المرحوم عثمان بلوكباشي... الوصي من قبل اخيه المرحوم أحمد بلوكباشي المسموع خبر وفاته ببلاد العجم بالسفر السلطاني الواقع سنة تاريخه على اولاده... القاصرين عن درجة البلوغ... من فخر الأقران مصطفى بشه بن عبدالله الينكجري بدمشق من بلوك يوسف بلوكباشي... ما قدره من البن القلب ثمانية احمال[١٥] ونصف فردة[١٦] زنتها خمسة عشر قنطاراً[١٧]، وواحد وثلاثون رطلاً من غير افراز عيار ولا ترك بالوزن الدمشقي... الموجود.... داخل مخزن المتوفي المزبور بالقاسارية الكاينة داخل دمشق المعروفة بالتربيعية، وهذا

---

(١٣) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ١٨، قضية ص ١٦٦، ٦ ذي القعدة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م.

(١٤) سجلات محاكم دمشق الشعرية (القسمة العسكرية) م ٧، قضية ١٨، ص ١٢، ١٢ جمادي الأخرة ١٠٥٧ هـ ١٦٤٧م.

(١٥) الحمل: يقصد به حمل البعير، وهو يساوي ٢٤٣ كغم كما حدده (Yuk) وبلغ في القرن التاسع عشر ٢٣٠ كغم كما حدده .(Blau) انظر:
هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ص ٢٦

(١٦) الفردة: في اصطلاح فلاحي الأردن ثلاثة اكيال بلقاوي، أو مائتان وستة عشر كيلو من القمح. وكل قسم من الزوجين هو فردة.

(١٧) القنطار الشامي يساوي عادة ١٠٠ رطل، وفي نفس الوقت يساوي اربعة قناطير مصرية، وهذا يعتمد على الزمان والمكان والبضاعة نفسها والرطل نفسه، وكان القنطار في موانىء بلاد الشام في القرن السادس عشر يعادل ١٨٠ كغم او اكثر، اما هنتس فقد حدد القنطار الدمشقي في القرن السابع عشر بـ ١٩٢,٤ كغم، وفي حلب كان يزن ٢٢٨ كغم، وفي حماة كان يساوي في ثقله قنطار حلب أي ٢٢٨ كغم. انظر:

Lewis, «Jafa» Clasical Islam P. 437, and «Nazereth», PP. 422 – 423.

هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ص ٤٣.

البن المزبور هو الذي وضعه مصطفى بشه المزبور بعد توجه مخدومه المتوفي المرقوم الى السفر المذكور في اواخر صفر سنة تاريخه بمقتضى ابتياع البن من مكة المشرفة بمال مخدومه.. الذي دفعه له حين توجهه الى الحج الشريف، وقبل سفر الدافع المتوفي المزبور وقدره الف غرش... »[١٨]. يضاف الى ذلك، ان بعضهم كان يمتلك محلات لبيع مشروب القهوة، ومن الأمثلة على ذلك: كان علاء الدين بشه القلعي في حلب يعمل القهوة ويبيعها[١٩]، اما محمد آغا بن عبدالله فكان يمتلك محلا لبيع القهوة في مدينة حلب[٢٠] ومما يؤكد انتشار بيوت القهوة في مدن بلاد الشام الرئيسية ما يورده الحسن البوريني اثناء ترجمته للشيخ أحمد العناياتي[٢١]، حيث يقول: « وكانت عادته في كل يوم على الصباح، ان يجيب في الغالب داع الفلاح، ثم يسير الى بيت من بيوت القهوة، يكون فيه الماء الجاري من المليح الساقي والجلوة، ويشرب من قهوة البن اقداحاً... »[٢٢] وتاجروا ايضاً بالأقمشة والملابس الثمينة خاصة تلك المصنوعة من الحرير والخز[٢٣] والجوخ، فقد كان يوسف بشه ابن محمود في مدينة حلب يمتلك دكاناً مخصصاً لبيع هذه الأنواع من الأقمشة والملبوسات بالاضافة الى بيع البسط والأزرار[٢٤].

---

(١٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ١، قضية ٤٥٨، ص ٢٤٥ - ٢٤٦، ١١ شوال ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦م.

(١٩) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ٨، ربيع الاول ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦م.

(٢٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٩٤ - ١٩٨، ١٥ رجب ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م.

(٢١) الشيخ احمد العناياتي، اديب وشاعر، زار حلب وطرابلس ودمشق وبيت المقدس، وحماة وحمص والمعرة وصفد وغزة، وكان زاهداً، انظر:
البوريني، **تراجم الأعيان**، جـ٢، ص ٩٣.

(٢٢) **المصدر ذاته**، ص ٩٣.

(٢٣) الخز: هو ضرب من الثياب المنسوجة من الصوف والحرير، او من الحرير فقط. انظر:
ادي شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**، ص ٥٤.

(٢٤) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ٣، ص ٥٠ ، ١٥ شوال ١٠٨٨ هـ/١٦٧٧م.

كما تاجروا بالعطارة، حيث خصص البعض منهم حوانيتهم لبيع مختلف انواع العطور[٢٥]، ومنهم من جمع الى العطارة بيع النيل[٢٦]. كذلك تاجر قسم منهم بالمواد الغذائية، كاللحم والسمن وغيرها من المنتجات الحيوانية، والخبز، فقد كان لمحمد آغا دزدار قلعة حلب دكان قصابة في المدينة[٢٧]، واجر حسن جلبي الانكشارية حانوت القصابة لمدة سنة كاملة، مقابل ان يقدم له ظاهر حلب الى مجحم بن فتح الله القصاب لمدة سنة كاملة، مقابل ان يقدم له المستأجر عن كل يوم يمر أربع اواق من لحم الضأن[٢٨]، وكان حانوت محمد بشه ابن يوسف في حلب مخصصة للسمانة[٢٩]، اما دكان محمد بن علي في حلب فقد خصص لبيع الخبز[٣٠].

ب - نشاطات اقتصادية اخرى: التفت العسكر الى مجالات اخرى ذات اثر كبير في تسيير عجلة الحياة الاقتصادية، فقد وجد من بينهم من يمتلك، معاصر الزيت والعنب، والمصابن، والمصابغ والمدابغ والطواحين المائية، فعلى سبيل المثال: امتلك اثنان من انكشارية دمشق معصرتين في مدينة حلب، كانا قد ورثاها من ابيها الانكشاريه الذي كان بدوره قد امتلكها قبل خمسة عشر عاماً[٣١]، وكانت لمحمد آغا ابن عبدالله الانكشاري

---

(٢٥) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ١، قضية ٩، ص ٣ - ١٦،٤ ربيع الثاني ١٠٤٤ هـ/ ١٦٣٤م، والعطارة: بيع العطور، والعطار بائعه والعطارة حرفته. انظر: الفيروز ابادي، القاموس المحيط، جـ٢، ص ٩١.

(٢٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢، قضية ٥١، ص ١٨٦، ١٤ محرم ١٠٠٢ هـ/١٥٩٣ م والنيل: صبغة زرقاء مستخرجة من نبات يدعى العظلم وهو مفيد طبياً. انظر: الفيروز ابادي، القاموس المحيط، جـ٤، ص ٦٢.

(٢٧) سجلات محاكم حلب الشرعيه م ٣٦ قضية ١ ص ١٠ - ١٣ جمادي الاول ١٠٨٧هـ/١٦٧٦

(٢٨) سجلات محاكم حلب الشرعية م ٢١، قضية ٥، ص ٥٨٣، ٣ شوال ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥م.

(٢٩) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢١، قضية ٢، ص ١٠٦، ٣ شوال ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢م.

(٣٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢١، قضية ٢، ٤٤٣، ٢ جمادي الاولى ٩٧٨ هـ/١٥٧٠م.

(٣١) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢، قضية ٣، ص ٣٥٥، ٢٥ ربيع الثاني ١٠٦٥ هـ/١٦٥٤م.

مصبخة بمحلة السويقة في حلب ودكان اخرى كان قد خصصها لبيع الصباغة في المحلة المذكورة[٣٢]، وكان لكيوان بلوكباشي مصبغة داخل مدينة دمشق تعرف باسمه، وقد اشترى منها شمسي بن ابراهيم خمسة عشر قنطاراً وثلاثة وتسعين رطلا من الزيت الذي كان معداً لطبخ الصابون والموضوعة ضمن بئر في المصبغة[٣٣]، وكان حسن بن ريحان يمتلك مدبغة في مدينة القدس[٣٤]، اما اسحق جاويش فقد استأجر طاحون القبو الكائن في مدينة القدس[٣٥]، وكان العسكر يجنون ارباحاً طائلة من وراء تلك الطواحين، مما جعل بعضهم يقدم على استئجارها بأجور مرتفعة، فقد استأجر احدهم طاحون القاسمية الكائن بمدينة حلب لمدة سنة بأجرة مقدارها ثلاثة عشر الف قرش فضي[٣٦].

ومن المرافق الأخرى التي استحوذت على اهتمامهم، الحمامات فكان سالم بن يوسف يمتلك احد الحمامات في محلة القشاشة في حلب[٣٧]، ووجد آخرون ممن شارك بعض افراد الرعية في ملكية الحمامات.

والتفت العسكر الى مجال كان في غاية الأهمية بسبب مردوده الأقتصادي الهائل، وهو امتلاكهم واستئجارهم للخانات[٣٨]، وقد اختاروا ان تكون تلك الخانات قريبة من

(٣٢) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٩٤ - ١٩٨، ١٥ رجب ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م.
(٣٣) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٣٤٠، ٣ ربيع الاول ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.
(٣٤) سجلات محاكم القدس الشرعية، م ١، قضية ١، ص ١٥١، ٦ ربيع الثاني ٩٣٧ هـ/١٥٣٠م.
(٣٥) سجلات محاكم القدس الشرعية، م ١، قضية ٥، ص ١٥٦ - ١٥٧، ١١ ربيع الثاني ٩٣٧ هـ/١٥٣٠ م.
(٣٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣، قضية ٣، ص ٣٣٠، ١٤ شعبان ٩٥٢ هـ/١٥٤٥ م.
(٣٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٤٧ - ١٤٩، ٢٩ ربيع الثاني ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م.
(٣٨) يشتمل الخان على ساحة ورواق وحجرات ومعالف للدواب، وتؤجر الحجرة لمن يريد ان ينام بها؛=

الأماكن التي تكثر فيها التجمعات، كالأسواق والمحاكم، وكانت تلك الخانات تستخدم لغايات تجارية، او كمنازل يقيم فيها القادمون الى المدينة من مسافرين وتجار وغيرهم مع دوابهم، وللحصول على مزيد من الربح قاموا ببناء او شراء، او استئجار الحوانيت القريبة والمحيطة بتلك الخانات، ومنها خان خايربك العائدة ملكيته لمحمد شاه بن خايربك، وكان هذا الخان بسوق الدهشة وبالقرب من المحكمة الصلاحية، وكان جميع السوق والدكاكين الملاصقة للخان، والمجاورة له تعود بملكيتها لمحمد شاه(٣٩)، واستأجر حسن بيك بن عبدالله الخانين الكائنين بسوق العسلية في مدينة حلب، لمدة ثلاث سنوات(٤٠).

جـ - الاتجار بالماشية: تاجر العسكر داخل المدن بالماشية، التي كانوا يربون اعداد كبيرة منها في الريف، فقد باع على سبيل المثال حسين بلوكباشي ابن عثمان اربعمائة وعشرين رأساً من الغنم، وسبعة وثلاثين رأساً من البقر وكان الثمن الذي دفع لقاء هذه الصفقة الف قرش(٤١).

د - تجارة الرقيق: من خلال دراستنا لسجلات المحاكم الشرعية تبين لنا ان تجارة الرقيق كانت شائعة، وان سوقها كانت مزدهرة، وكانت تلك التجارة تحظى بموافقة الدولة لما كانت تدره من عوائد على بيت المال. وقد حدد قانون نامة ولاية الشام لسنة ٩٥٥ هـ /١٥٤٨م، مقدار ما يؤخذ عن كل عبد او

= كالغريب الذي جاء من محل بعيد، او الفلاح او المسافر، او التاجر فيربط دابته عنده مقابل ان يدفع عن رأسه وعن الدابه شيئاً معلوماً. انظر:
القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، جـ١، ص ١١٩.

(٣٩) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢، قضية ٢، ص ٧٧، ٢٨ ربيع الاول ٩٦٤ هـ/١٥٥٦م.

(٤٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ١٦، قضية ٣، ص ٣٥٣، ٢١ صفر ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م.

(٤١) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٣٧٦، ص ١٨٩ - ١٩٠، ١٤ ربيع الاول ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦م.

جارية[٤٢]. وكان للعسكر دور بارز في ازدهار هذه التجارة، اذ نجد الكثير من القضايا الشرعية التي تشير الى مشاركتهم في هذه التجارة، مما يؤكد انها كانت تجارة مربحة، وانها من اسرع الوسائل الى الثراء، اما الرقيق الذين كانوا يباعون في سوق النخاسة، فكانوا من مناطق مختلفة: الأفلاق والكرج والمجر وروسيا والبانيا والنوبة، واشارت سجلات المحاكم الشرعية ايضاً الى لون كل رقيق عند بيعه او شرائه، ومن الأمثلة التي توضح ما تقدم: اشترى يحيى جاويش من احمد صوباشي العبد الأبيض المدعو حسن بن عبدالله الروسي الأصل[٤٣]، واشترى يوسف بشه بن عبدالله العبد يوسف بن عبدالله[٤٤]، واشترى ايضاً ذو الفقار بلوكباشي ابن عبدالله الجارية فايدة بنت عبدالله النوبية الأصل[٤٥]، وقام مصلي اوده باشي بشراء المملوكين يوسف بن عبدالله وفاطمة بنت عبدالله الحبشية[٤٦]، وباع ابراهيم بن علي عبده كيوان بن عبدالله[٤٧]. وتجدر الإشارة هنا انه الى جانب المتاجرة بالرقيق كانت اعداد كثيرة منهم تقوم بعتق ما لديها من رقيق ومن تتبع قضايا العتق نجد أن هناك عدة دوافع كانت وراء نيل الرقيق حريتهم، ويأتي في مقدمتها العامل الاقتصادي، فعندما تسوء حالة العسكري الاقتصادية فان مماليكه يصبحون عبء عليه، الأمر الذي يدفعه اما الى بيعهم او الى اعطائهم حريتهم، ومنهم من يعتق مماليكه ليقوموا ببعض اعماله، وهناك عامل آخر

(٤٢) قانون نامه ولاية الشام، ص ٨.
(٤٣) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ٤١٢، ص ٢٠٨، ٧ ذي الحجة ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.
(٤٤) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣١، قضية ٥، ص ٧٦٤، ١٦ رمضان ١٠٤٦ هـ/ ١٦٣٦ م.
(٤٥) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ١، قضية ١٧٣، ص ٨١، ١٥ رمضان ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م.
(٤٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ١، قضية ٤٧٠، ص ٢٥٣، ٢ ذي القعدة ١٠١٦ هـ/ ١٦٠٧ م.
(٤٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ١، قضية ٢، ص ٢٢٦، اوائل رمضان ٩٧٢ هـ/١٥٦٤ م.

مهم، وهو الدافع الديني والانساني، اذ ان شعور الخوف من الآخرة والرغبة في الأجر والثواب، دفع بعضهم الى عتق ما عندهم من عبيد وجوار، فقد اعتق بيردى جاويش مملوكه كنعان ابن عبدالله الأفلاقي[٤٨]، واعتق محمد بن عبد المنان بلوكباشي جاريته جيحون بنت عبدالله الكرجية الأصل[٤٩]، واعتق كذلك محمد آغا ابن دوريش كتخذا انكشارية دمشق مملوكه ذو الفقار بن عبدالله وجاريتيه سادن بنت عبدالله الأرسية الأصل وعذال بنت غبدالله[٥٠]، كما اعتق رضوان بشه ابن عبدالله قبيل وفاته بثلاثة ايام مماليكه يوسف وبهرام ومريم، وذلك رغبة منه في الأجر والثواب[٥١]، واعتق محمد ياياباشي امام القاضي جاريته وفاء بنت عبدالله المعترفة لسيدها بالرق والعبودية[٥٢]، وكان الخلاف يقع احياناً حول ملكية بعض العبيد، كأن يدعي احد العسكر ملكية رقيق غيره، كما حدث بين مصطفى جاويش ابن عبدالله ومحمد بشه بن علي، فقد ادعى الاول على الثاني قائلا في دعواه: «ان محمد بيك قد ادعى على خداوردي وكيل مصطفى الواضع يده على غلام يوسف بن عبدالله المجري الجنس بانه ملكه واثبته بموجب حجة شرعية والحال ان مصطفى قد اشتراه من محمد بشه ابن علي المذكور بمائة قرش اسدي»[٥٣]،

---

(٤٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ١، قضية ٣٦٧، ص ١٨٣ - ١٨٤، اواسط جمادي الاولى ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(٤٩) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)م ٤ ق ١، قضية ٤٦٠، ص ٢٤٧، ١٢ شوال ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(٥٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٤٧، ص ٢٣، ١ جمادي الاولى ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨ م.

(٥١) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٣١، ص ١٩، ١٥ رجب ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧ م.

(٥٢) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥ ق ١، قضية ١٥١، ص ٥٨، ١٤ شعبان ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م

(٥٣) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ١٨، قضية ١، ص ٣٨٢، ١٧ ربيع الثاني ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م.

وربما دفع هذا الخلاف بعضهم الى وضع علامات مميزة على عبيدهم لتمييزهم عن غيرهم، فقد اعتق محمد بن حسن مملوكه «حيدز بن عبدالله الأرنؤوطي الجنس الأبيض المكوي على يده اليمنى وثلاث دقات....[٥٤] » واذا مات العسكري فان مماليكه يضبطون مع بقية مخلفاته لجهة بيت المال[٥٥]، اما الرقيق الذي كان ينال حريته يمارس كافة حقوقه بحرية فبعضهم كانوا وكلاء عن معتقيهم[٥٦]، وبعضهم ينخرط في الخدمة العسكرية[٥٧] وآخرون نشطوا في ميدان الحياة الاقتصادية[٥٨]، وخير دليل على ذلك كيوان بلوكباشي الذي كان احد مماليك رضوان باشا نائب غزة والذي اصبح فيما بعد من كبار عسكر دمشق[٥٩].

ومن العوامل الأخرى التي ادت الى زيادة ثراء بعض العسكر وتحكمهم باعداد غير قليلة من افراد الرعية: هو تولي بعض الانكشارية والسباهية امانة بيت المال، ولا يخفى ما يعمله هؤلاء عند ضبط مخلفات العسكر الذين يتوفون ولا وارث لهم، او ما يمارسه بعضهم من ضغوط وتجاوزات على ورثة العسكر، خاصة، وانهم المخولون بضبط مخلفات افراد طوائفهم فقد طلب القاضي من محمد آغا ابن عبدالله أحد اعيان المتفرقة وامين بيت مال الانكشارية - ضبط اموال وارزاق حسن بن حسين شوباصي كتخذا طائفة الانكشارية المقتول.

---

(٥٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١،. قضية ٨٣، ص ٤٧، ١٧ شوال ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.

(٥٥) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ٢٢، ١٣ ، ١٤ رمضان ٩٩١ هـ/ ١٥٨٣ م.

(٥٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١ ، قضية ٤ ، ص ٢٢١ - ٢٤٢، شعبان ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(٥٧) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ١٩٧، ص ٩١، ١٥ شوال ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م.

(٥٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٧، قضية ١٨٤، ص ٩٦ - ٩٧، ٢٧ ذي الحجة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧ م.

(٥٩) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٤١ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٩٩ - ٣٠٣.

بأمر سلطاني[٦٠] واتهم امين بيت مال طائفة السباهية بدمشق زوجة بكير بشه ابن ابراهيم ابن البوكير باختلاس خمسمائة قرش من تركة زوجها[٦١]. ومن مخلفات العسكر التي كانت تضبط لجهة بيت المال: الأراضي، والبساتين، والكروم، الأموال والحلي على اختلاف انواعها، الجواري والعبيد، والحيوانات المختلفة، الأسلحة المتنوعة، كذلك الأدوات المنزلية: كالطناجر والصحون والأباريق والشمعدانات وكان كثير منها من صنع اوروبي وغير ذلك.

ومن العوامل التي ادت الى توليهم مهمة جمع الضرائب حيث استغلوا ذلك المنصب للاثراء غير المشروع، وقد لاحظنا بعض تجاوزاتهم على الرعية.

وهكذا نستطيع القول: انه اصبح لدى بعض العسكر ثروات هائلة، ويبدو ان بعضهم لم يرض بهذه الحال بل اراد ان ينمي تلك الأموال وذلك بطرق جديدة وسريعة، ومن تلك الطرق الدين، فقد اصبحوا بثرواتهم محط انظار كثير من افراد الرعية (سواء في المدينة أو الريف)، وغيرهم من افراد القوات العسكرية، وكان يزداد الاقبال عليهم اثناء فترات القحط، ومن يطالع سجلات المحاكم الشرعية يجد ثلاثة انواع من الدين، وهي القرض الحسن، والقرض مقابل الرهن، والقرض مقابل الربا، وكان تسديد تلك الديون يتم حسب القدرة والاستطاعة، كأن يقسط الدين على الأيام او على الأشهر او على السنوات، بعد ان يتم تحديد قيمة الدينار السلطاني بالشاهيات الفضية التي سيتم الدفع بها[٦٢] ومن الأمثلة على دين القرض الحسن: اقر سفر بن محمد

(٦٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥ ق ١، قضية ١٥٦، ص ١٠١، ١٤ رجب ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م.

(٦١) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ٢، قضية ١٣، ص ٥، ١٣ ربيع الاول ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨ م.

(٦٢) من خلال مطالعة سجلات المحاكم الشرعية تبين لنا ان وحدة التعامل الذهبية في الدولة العثمانية، كانت

الوزان ان عليه لأحمد بن كمال بشه ستة وعشرين سلطانياً، كل سلطاني ثماني شاهيات فضية مقسطة عليه في كل يوم يمضي من تاريخه ثلاث شاهيات[٦٣]، واستدان شوق بن يونس القصاب من باكير بن عمر الحلبي احد انكشارية دمشق، مبلغ تسعة آلاف ومائتي قرش فضي، على ان يقسط ذلك المبلغ على الأيام فيدفع عن كل يوم يمضي. عشر قطع فضية[٦٤]، واستدان شيخ الاسلام شرف الدين يحيى المنقاري[٦٥] من الزعيم يوسف آغا مبلغ ثمانية واربعين قرشاً فضياً[٦٦] واستدان خليل بلوكباشي .ابن مراد بن تركمان حسن من علي بن يوسف. اربعين قرشاً فضياً مؤجلة عليه الى مضي سنة[٦٧]، ومن الأمثلة على دين الرهن[٦٨]: (وهو ان

تعرف بالسلطاني، وهو دينار ذهبي، وكان الدينار السلطاني يعادل (في العقد الأخير من القرن العاشر الهجري الربع الأخير من القرن السادس عشر) ثماني شاهيات فضية (سجلات محاكم دمشق الشرعية، م١ فقضية ١٨ ص ١١، ١١٠ رمضان ٩٩١ هـ/١٥٥٣ م) واحيانا تصل الى احد عشر شاهيا فضيا، (سجلات محاكم دمشق الشرعية م١، قضية ٢٦٤، ص ١٣٥ - ١٣٦، ٦ رمضان ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م)، اما وحدة التعامل الفضية في الدولة العثمانية فكانت الأقجة التي تشير لها سجلات المحاكم الشرعية باسم العثمانية والأسدي، والشاهي (سجلات محاكم القدس الشرعية م ١، قضية ٢، ص ٨٢، ٥ ربيع الاول ٩٣٧ هـ/١٥٣٠ م)، سجلات محاكم دمشق الشرعية، م، ١، قضية ٢٦٤، ص ١٣٥ - ١٣٦، ٦ رمضان ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م)، ومما تجدر الإشارة اليه ان العملة الذهبية والفضية قد ضربت في مراكز ولايات بلاد الشام في فترات تاريخية مختلفة... انظر: على سبيل المثال:

Lane – poole, Stanley, Catalogue of Oriental coins in the British Museum, 10 vol. **London, 1875 – 1883, vol. VIII, P. 78 – 83, 100, 101, 130, 136**

(٦٣) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ٣٢٥، ص ١٦٣، ١٨ شوال ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.

(٦٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ٤٩٢، ص ٢٣٥، ١٥ محرم ٩٩٣ هـ/١٥٨٥ م.

(٦٥) شرف الدين يحي بن محمد، كان قاضياً للقضاة، واديباً خلوقاً اشتغل في دمشق ثم رحل الى استنبول، ولازم علماءها ثم ولي قضاء القدس ودمشق واخيراً قضاء مكة، وكانت وفاته سنة ١٠٦٦ هـ/١٦٥٥ م. انظر:
المحبي، خلاصة الأثر جـ٤، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٦٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤، ق ١، قضيه ١٩٣، ص ٩٥، ١٤ شوال ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م.

(٦٧) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ١، قضيه ٢٢٨، ص ١١٠، محرم ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(٦٨) الرهن لغة: ما وضع عند الشخص لينوب مناب ما اخذ منه، انظر:
الفيروز ابادي، القاموس المحيط، جـ٢، ص ٢٣٠.

يرهن المدين مقابل دينه اراض او كروماً او دوراً أو مصوغات من ذهب وجواهر، فاذا انقضى الأجل المحدد للدين ولم يف المدين بدينه، فان المرهون يكون من نصيب الدائن) فقد رهن الشيخ شهاب الدين ابي العباس احد حانوتيه الكائنين بمحلة الشاغور البراني، احداهما للقصابة، والآخر للعطارة، مقابل مبلغ مائة وعشرين قرشاً كان قد استدانها من ايتام محمد جاويش ابن رمضان[٦٩]، ورهن احدهم زنار ذهب مقابل مبلغ كان قد اقترضه[٧٠].

اما عن تعاملهم في الربا فقد كان معروفاً منذ القرن العاشر الهجري، ولم يستطع احد من افراد الرعية رفع امرهم الى القضاة ويتضح خوف الرعية من العسكر من خلال ما اورده المحبي عند ترجمته للقاضي كوجك مصطفى[٧١]، عندما ولي قضاء دمشق سنة ١٠٠١ هـ /١٥٩٢ م حيث يذكر: ان هذا القاضي كان دقيقاً في احكامه، خاصة فيما يتعلق بالجند ومداينتهم، وكان شديداً على المرابين منهم، وكان لا يحكم لهم برباهم ويستمر المحبي في سرد بعض مواقف هذا القاضي، ومنها : دخل عليه ذات يوم خصمان احدهما جندي فحكم عليه ولم يقر له برباه فحاول الجندي عندئذ ان ينكر رهناً للمدين، فقال القاضي للراهن: «أقم عليه البينة فقال انه لا يتجرأ احد على الشهادة عليه، فقال الجندي: ادن مني فدنا منه، فأخذ خاتمه منه

---

(٦٩) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٩، ص ٣ - ٤، ١٦ ربيع الثاني ١٠٤٤ هـ/١٦٣٤ م

(٧٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ١١ ق ١، قضية ٣٢٣، ص ١١٩ - ١٢٠، ختام جمادي الاولى ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م.

(٧١) ولي قضاء دمشق سنة ١٠٠١ هـ/١٥٩٢ م، وسلك في قضائه مسلكاً حسناً، وكان يتحرى في احكامه، خاصة فيما يتعلق بالجند ومداينتهم، ثم تولى قضاء مكة، وكانت وفاته سنة ١٠١٠ هـ/ ١٦٠١ م. انظر:
المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٣٩٤.

واعطاه للمعين عليه وقال له: خذ هذا الخاتم واذهب الى بيت هذا الرجل وقل لهم اعطوني الرهن الذي صفته كذا وكذا وخذوا هذا الخاتم امارة، فذهب وجاء بالرهن كما وصفه الراهن »، ونتيجة لمواقف هذا القاضي من العسكر ومناصرته للمظلومين من افراد الرعية: ان اخذ الناس يهرعون اليه في طلب حقوقهم(٧٢)، ويبدو ان والي دمشق مصطفى باشا بعد رجوعه من حملته الفاشلة على الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣ هـ /١٦٢٣م اراد ان يستغل ضعف جند دمشق، فعقد مجلساً وكتب فيه حجة على العسكر بعدم المراباة وعدم مجاوزتهم للحدود(٧٣)، ويذكر الخالدي الصفدي انه في سنة ١٠٢٧ هـ /١٦١٧م اضطر حسين اليازجي الى استدانة اثنين واربعين الف قرش بالربا من اعيان البلوكباشية واليايباشية في دمشق(٧٤).

ويجب ان نشير الى ان بعض العسكر قد سلك سلوكاً مشيناً في سبيل جمع الثروة، ومن هؤلاء كيوان بلوكباشي احد اعيان جند دمشق، والذي استطاع بالتطاول والتعدي من الاستيلاء على اكثر بساتين الربوة والمزة(٧٥)، ومن وسائله الخبيثة لابتزاز الأموال ما يرويه نجم الدين الغزي: «كان له كتخدا يقال له ابراهيم بن البيطار وكان اخبث الناس واسعاهم في الأذية، وكان من جملة خيانته انه يحتال بنسوة عنده، يأخذ المرأة منهن حلياً او حاجة من نساء الأكابر، اما على العرض على البيع او على سبيل العارية وتأتيه به، فيأخذه في كمه ويذهب الى ولي تلك المرأة وهو مظهر لحزنه وهمه ثم يطلعه على ما يكون معه سراً

---

(٧٢) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٣٩٤.
(٧٣) المصدر ذاته، جـ٢، ص ٢٩٥.
(٧٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٦٠.
(٧٥) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٤١ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٩٩.

ويقول له: قد دفعت اليوم عنك شراً، فان صاحبة هذا المتاع اخذها البارحة جماعة العسس في جمعية فخفت عليك من غائلة هذه القصة، فقلت: هذا المتاع لبنتي او لاختي، خذ هذا المتاع واكتم السر، وقد وزنت عنك لكيوان كذا وكذا، فما يسع الرجل الا ان يدفع اليه المال ويتحمل منته »[٧٦]. وكل التجاوزات التي ارتكبها كيوان بلوكباشي، كانت من اجل اللحاق بمنافسه اويس بلوكباشي الذي كان قد توسع في اقتناء البساتين والكروم[٧٧]

ويلاحظ ان ما وصل اليه العسكر من ثراء قد انعكس على حياتهم الاجتماعية، فتنافسوا في بناء القصور والدور الجميلة، واحاطوها بالبساتين والكروم، واوصلوا لها المياه من القنوات الكثيرة، كما ضمت الكثير من المرافق، كالحمامات والمطابخ، وابار الماء واسطبلات وغير ذلك، وعلى سبيل المثال: اشترى حيدر بن عبدالله بلوكباشي منزلا ظاهر دمشق، يشتمل على قاعتين وايوانين متقابلين بكل منها قنطرة حجر وارضية مبلطة، بها فسقية ماء يصلها الماء من مجرى المغيربية[٧٨] واشترى محمود بن خليفة الدار الكائنة بمحلة بزايا قرب المدرسة الصاحبية في حلب، وتشتمل على حوشين بأحدهما ايوان وبيت كبير مقنطر وبيت يعلوه قبو صغير، وبيت آخر صغير، ومطبخ وجب ماء وحوض يجري الماء اليه من خزان مدفون في الأرض، كما ضمت اسطبلا وبايكة[٧٩]. واشترى بكير الحصارى عمارة الدار الكائنة ظاهر دمشق بمحلة القنوات تشتمل على ساحة لطيفة مبلطة بالبلاط الملون، وحوش كبير به اشجار حمضيات وفواكه، وايوان وقبتان ومتبن واسطبل

---

(٧٦) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٤١ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٣٠١.
(٧٧) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٤١ ب.
(٧٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م١، قضية ٢٦٤، ص ١٣٥ - ١٣٦، ٦ رمضان ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.
(٧٩) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢٠، ص ٣٤٤، ٢٠ شعبان ١٠٣٢ هـ/١٦٢٣ م.

ومنافع[٨٠]، واشترى مصطفى جلبي الدار الكائنة بمحلة شريقتلي ظاهر مدينة حلب، وتحوي على خمسة مساكن وطبقة ومطبخ ودهليز، وحوش سماوي، ومرتفق وجب ماء ومنافع[٨١]، واثناء جولة الخياري المدني في دمشق سنة ١٠٨٠هـ /١٦٦٩م، زار المرجة والربوة وشاهد الدور الكثيرة المحاطة بالبساتين الغناء، ومن بينها دار كيوان بلوكباشي، وشاهد ايوانها المحفور في الجبل، وخلد الخياري المدني زيارته تلك ببيتين من الشعر كتبها على جدار كان ينتصب هناك، بني خصيصاً ليكتب عليه الشعراء ما تجود به قرائحهم[٨٢].

مرزنا بروض ادكن اللون خضرة ... بـه شاد كيوان المعظم ايوانـا
وجدنا به ما يكسب العين قرة ... ويذهب عن قلب المتيم احزانا

ومن هناك صعد الخياري الى القصر الشامخ، وكتب على جدار داخل القصر[٨٣]:

للـه قصر لكيوان حوى نزهـا ... تسّر خاطر ذى حزن وتكدير
كأنه جنة قد زخرفت وزهت ... والزهر مـا بـين منظوم ومنثور

٢ - دور العسكر الاقتصادي في الريف

شهد الريف الشامي انتعاشاً اقتصادياً رغم تعرضه لكثير من عوامل الخراب والدمار، وذلك بفضل الجهود التي كانت تبذلها الدولة بين حين وآخر حيث لجأت الدولة الى عدة وسائل لاعمار الريف، منها كبج محاولات العسكر في السيطرة على الريف، وقد ادرك بعض الولاة خطر تجاوزات العسكر على الريف منذ وقت مبكر، فأصدر والي دمشق

(٨٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ١١٥، ص ٥١، ١٠ ربيع الآخر ١٠٤٥ هـ/١٦٤٥ م.
(٨١) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٢، قضية ١، ص ٢٥٥.
(٨٢) الخياري المدني، تحفة الأدباء، جـ ١، ص ١٥١ - ١٥٢.
(٨٣) المصدر ذاته، ص ١٥٢.

عيسى باشا الرومي (ت ٩٥٠ هـ /١٥٤٣ م) اوامره الى سكان قرى ولاية دمشق بان لا يطعموا السوباشية والسباهية شيئاً، وان لا يعلقوا على دوابهم، وان لا يعطوهم شعيراً[١]. فارتاحت اهالي القرى زمن ولايته، وبقيت اوامره نافذة حتى وفاته[٢]، اما والي حلب احمد باشا الأكمكجي (ت ١٠٢٦ هـ /١٦١٧ م)[٣] فقد قام باعمار قرى الولاية التي خربها عسكر دمشق[٤]. ومن الوسائل التي لجأت اليها الدولة للنهوض بالريف وانعاشه بناء عدد كبير من الخانات والمنازل على طول الطرق الرئيسية في بلاد الشام، لتكون مأوى للمسافرين والتجار، ومحطات لخيل البريد. وقد راعت الدولة قدر الامكان ان تكون الخانات والمنازل في مناطق زراعية، او بالقرب من الينابيع والمصادر المائية الأخرى[٥]، وشجعت الدولة بعض الأسر ذات الأصل التركماني على السكن بالقرب منها وحمايتها مقابل اعفائها من بعض الضرائب[٦] وهكذا احيت الدولة نظام الدرك المملوكي، وهو يقضي بأن يعهد لبعض الأسر بحماية الطريق بين منطقتين محددتين[٧]، مقابل اعفائها من الضرائب، وعلى سبيل المثال: كان في قرية القسطل خمس وعشرون اسرة، معفاة من العوارض السلطانية والتكاليف العرفية، وكان في قارا مائة واثنتان وسبعون اسرة وخمسة وخمسون فارساً اعفوا جميعهم

---

(١) نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٢، ص ٢٣٥.

(٢) المصدر ذاته، ص ٢٣٥.

(٣) كان والده خبازاً في استنبول واخذ احمد يتقرب الى السلطان احمد حتى عينه السلطان باشي دفتردار، فأظهر حزماً في جمع الأموال، ولما تولى نصوح باشا الصدارة العظمى، عين احمد بن الأكمكجي والياً على حلب، فسار في حكمه سيرة حسنة، وعمر قرى الولاية بعدما اشرفت على الدمار بسبب الأموال المترتبة عليها لانكشارية دمشق، وقام باصلاح العملة الفضية في ولاية حلب وسعد الناس زمن ولايته، وكانت وفاته سنة ١٠٢٦ هـ/١٦٦٧ م. انظر:
العرضي معادن الذهب، ورقة ٤٠ ب - ٤٢ أ.

(٤) المصدر ذاته، ورقة ٤١ أ - ٤١ ب.

(٥) انظر ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٦) **Bakhit,** The Ottoman Province of Damascus, P. 104.

(٧) Ibid, P. 108

من الضرائب[٨]، للسبب ذاته. وعندما زار Thevenot سنة ١٦٦٠ خان سيخون شاهد المناطق الزراعية الواسعة من حوله، وذكر انه كان يقيم في الخان، خمسون جندياً من المشاة وعشرة فرسان، وذلك لتوفير الحماية للخان والمناطق المجاورة له[٩].،

لقد لفتت عودة الحياة الى الريف انتباه الباحثين عن الثروة، فارادوا المشاركة في هذا المجال، وشجعهم على ذلك وجود الطريق مفتوحة امامهم، خاصة وان الفلاحين كانوا بحاجة الى نقود افراد الحاميات العسكرية. ومن البديهي ان اكثر تلك الديون كانت بالربا. فقد استدان بدر الدين بن يوسف من قرية زيتان ناحية جبل سمعان من حمدان آغا احد انكشارية حلب مائة وعشرة قروش اسدية[١٠]، وكان في ذمة رمضان بن محمد من قرية قنفوز تابع ناحية اعزاز، أربعمائة قرش اسدي، وذلك ثمن خمسة مكاكيك[١١] من الشعير وستة رؤوس من البقر، كان قد اشتراها من محمد سوباشي[١٢]، واعترف امام قاضي دمشق جماعة من فلاحي قرية كوكب التابعة لناحية وادي العجم من نواحي دمشق وهم: عمر بن محمد بن شكر وهزيمة بن رجب بن علي الدبس وخليفة بن جمعة الموراني ومرعي بن علي وشكر بن ناصر الدين الطيبي ومحمد بن عمر العليمي وياسين بن محمد بن الدبس واسماعيل بن علي الدبس، ان في ذمتهم لولدي جاويش بن رمضان ستين قرشاً اسدياً[١٣]، وبلغت ديون الطويل احمد ياياباشي على بعض نصارى قرية

---

(٨) Ibid P 108.

(٩) **Thevenot,** Travels into the levant, book I, Part IIp. 224.

(١٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢٠، قضية ٢، ص ١٠٢، ١٣ محرم ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م.

(١١) المكوك: كان مكوك حلب يساوي في القرن الثامن عشر ٦١ كغم من القمح انظر: هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ص ٧٩.

(١٢) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢٦، قضية ٥ ص ٥٩: ١١ محرم ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م.

(١٣) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٤٠٣، ص ٢٠٩ – ٢١١، ١٤ ربيع الثاني ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

معرونية خمسمائة وخمسين قرشاً اسدياً[١٤]، واستدان صالح بن عساف من اهالي قرية حران التابعة لقضاء الحلقة من حسين آغا مائة وسبعة وثلاثين قرشاً اسدياً[١٥]، وبلغت ديون محمد آغا دزدار قلعة حلب على اهالي قرى: الشيخ غاروزينان والحاصر والوضيحي ومعراتا عشرة آلاف وستمائة وتسعة وسبعين قرشاً اسدياً[١٦]، وكان لسالم بن الحاج الشهير بابن البلاط على اهالي قرى: بقودم وادلب الصغرى وادلب الكبرى وقرية بلاط ثمانية آلاف وسبعة وتسعون قرشاً اسدياً،[١٧]، ولجأ عدد من فلاحي قرية الشحة الى علي آغا ابن مصطفى الزعيم في القرية الى اخذ البذار منه، وقد قدر الثمن بخمسمائة وتسعة وسبعين قرشاً ونصف القرش[١٨]، وبلغ عدد الجمال التي باعها خليل بلوكباشي ابن ابراهيم شيخ سوق السباهية الى اهالي القرى سبعة وثمانين جملا، وكان ثمنها ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وثلاثين قرشاً اسدياً، وبلغ عدد ابقاره الموجودة عند فلاحي قرية جب جنين كما يلي: عدد الأبقار ١١٢ رأساً، العجول ٤٢ رأساً عواليل ٦ رؤوس، ٧ بقرات حائلات، ٧ رؤوس من الجاموس، وبلغ عدد ما لديه من اغنام في نفس القرية مائتين وثلاثين رأساً، بالاضافة الى ذلك فقد كان له ديون عند اهالي قرى: زبد الأفتريس وجب جنين وحوما والفرعون والأشرفية والغسولية والريحان وفيكة والقصير وطفس واربد وداعل والصنمين والمغيرة وام برع والطيرة[١٩]. اما اذا عجز الفلاح عن سداد دينه فانه يكون مجبراً على تقديم ناتج ارضه

---

(١٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٥ ق ١، قضية ٢٣٠، ص ١٤١ - ١٤٢، ١١ رجب ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م.

(١٥) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٢، قضية ٥، ص ١٧٧، ٢٠ جمادي الأخرة ١٠٧٣ هـ/١٦٦٢ م.

(١٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٠ - ١٣، جمادي الاولى ١٠٨٧ هـ/١٦٦٧ م.

(١٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٤٧ - ١٤٩، ٢٩ ربيع الثاني ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م.

(١٨) سجلات محاكم حماة الشرعية، م ٤٠، قضية ٢، ص ٢١٤، اواسط صفر ١٠٩١ هـ/١٦٨٠ م.

(١٩) دفتر القسمة العسكرية في دمشق، م ٩، قضية ٢، ص ٣١٣ - ٣٢٤، اواخر جمادي الاولى ١٠٦٣ هـ/١٦٥٢ م.

الزراعي للدائن، كجزء من عملية السداد، فقد تسلم مثلا سليمان بك ابن عبدالله من هلال بن محمد وحسن بن قاسم واحمد بن حسين واحمد بن خليل وهلال بن جعفر وعيسى بن يوسف وقاسم بن علي وحسن بن علي ومحمد بن حسين ويوسف بن خصيب، جميعهم من قرية بنت الفحم التابعة لناحية اعزاز، وذلك جميع المحصول الصيفي والشتوي[٢٠]. ورفض ابن جقجقة اعطاء العبدور، شيخ قرية كامل، سبعة أرطال من الحرير الا بعد ان رهن العبدور مقابل ذلك جاكورتي التوت وكرم العنب مع عدة جفان وحقل اللوز[٢١].

لم يقتصر تعامل العسكر على الفلاحين بل امتد ليشمل التعامل مع البدو فقد كان لمراد بلوكباشي ابن تاج الدين احد انكشارية حلب بعض المال في ذمة حامد البدوي «المعروف بطريق الحج الشريف» ويبدو ان تعاملهم مع البدو لم يكن مريحاً إذ لم يستطع مراد ان يخلص حقه من حامد البدوي الا بعد عدة دعاوى ومرافعات امام القضاة والحكام[٢٢].

وقد أراد العسكر التوسع خارج المدينة فاستغلوا الاموال المتجمعة لديهم في شراء الاراضي الزراعية والبساتين والكروم، خاصة تلك القريبة من مجاري المياه، فعسكر دمشق مثلا ركزوا اكثر اهتمامهم على القرى المجاورة لدمشق والتي تدعوها سجلات محاكم دمشق الشرعية «قرى المرجين والغوطة» وذلك لخصوبتها ووفرة مياهها، وكان معظمها على شكل بساتين وكروم تروى من الأنهار القريبة منها، ثم ركزوا على الأراضي التي تزرع بالحبوب الصيفية والشتوية ومن اهم تلك المحاصيل الشتوية: الحنطة والشعير والكرسنة والعدس والجلبانة والفول

---

(٢٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٥، قضية ٧، ص ٢، ٣ شعبان ٩٦٢ هـ/١٥٥٤ م.
(٢١) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤ ق ٢ قضية ٦٠، ص ٢٧، عشرة رجب ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨ م.
(٢٢) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢١، قضية ٢، ص ٥٨٥، ٧ شوال ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م.

واللوبية والحمص والحلبة، ومن الكروم: العنب الزيني والحيلي والداراني والبلدي، ومن الفواكه: المشمش والتفاح والرمان والخوخ والجوز واللوز والتوت والدراق والسفرجل والفستق والتين، ومن الخضار البصل والخيار، ومن الأشجار الأخرى ذات المردود الاقتصادي، الحور والصفصاف والتوت، ومن المحاصيل الصيفية: الفصّة والقنب والقطن، وقام بعض العسكر بتربية الحيوانات والطيور المختلفة، وذلك للانتفاع من انتاجها او الاتجار بها، او لاستخدامها في اعمال الفلاحة، ومن تلك الحيوانات: الجمال والبقر، والجاموس والحمير والماعز والغنم، ومن الطيور: الأوز، والحمام الذي كانوا يربونه في ابراج، يضاف الى ذلك اهتمامهم بتربية النحل، فعلى سبيل المثال: كانت ليوسف اوده باشي ابن عبدالله الشهير بكورد يوسف دار بقرية الغزلانية[٢٣]، تشتمل على حوشين احدهما خارجي «براني» والآخر داخلي «جواني»، ويحتوي الخارجي على: بوابة بقوس حجر يعلوها طبقة ورواق، ثم ثلاث اسطبلات ومتبن، اما الداخلي فيشتمل على: سبعة مساكن لسكن المرابعية ورواق وتنور، وكان ليوسف هذا في نفس القرية واحد وعشرون رأساً من البقر المعد للحراثة، وكافة ادوات الحرث والزراعة، ومائة وسبعة وستون رأساً من الغنم، ومائة واثنان وعشرون رأساً من الماعز واثنا عشر حماراً، وجميع طيور الأوز وعددها خمسة عشر طيراً، وعشر غراير حنطة، وعشرة اكيال من الشعير، واربعة اكيال من اللوبية، وثلاثة اكيال من الفول، ومثلها من الحمص، وخمس غراير من الكرسنة، وثلاثة اكيال ونصف من العدس، وكيلان من الحلبة، وكانت جميع هذه الحبوب معدة للبذار في اراضي القرية بالاضافة الى جميع خلايا النحل الأربعة، وكان له من الكروم تسعة عشر كرماً تسقى جميعها

---

(٢٣) تقع على بعد ٢٠ كم الى الشرق من دمشق، وسط سهل فسيح من اراضي المرج القبلي، ويشرب سكانها، كما تروى اراضيها من نهر الغزلاني. انظر:
زكريا، الريف السوري، جـ١، ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

من نهر الأبيجر المار بالقرية[٢٤]، واشترى قاسم آغا ابن عبد المنان دارين بقرية القاسمية، واشترى ايضاً خمسين رأساً من الجاموس، وكان ثمن الجميع الف وخمسمائة قرش اسدي[٢٥]، واشترى قاسم بن عبد المنان ايضاً في قرية الغزلانية داراوست عشرة بقرة حراثة وستة حمر ومائة وتسعة واربعين رأساً من الغنم، وخمسة وسبعين رأساً من الخراف، وخمسة وعشرين رأساً من الماعز وستين جدياً صغيراً، وثماني سكك حديدية وادوات حراثة، وجميع البذار المزروع بأراضي القرية وتشتمل على عشرين غرارة من القمح وثمان وعشرين غرارة من الشعير، وثلاث غراير من الكرسنة، ونصف غرارة من البصل[٢٦] واشترى محمد آغا سوباشي ابن درويش دارا بقرية الدوير[٢٧] جنوبي دير العصافير[٢٨] من قرى دمشق، وجميع ادوات الحرث والزراعة وخمسة كروم وجميع الشعير والجلبابة والحنطة بثمن قدره ثمانمائة قرش[٢٩]، واشترى بيري جاويش ابن سليمان من اعيان جاويشية الانكشارية في دمشق خمسة احواش في قرية البحارية التابعة لناحية المرجين والغوطة، ويشتمل كل منها على: ساحة سماوية ومساكن للمرابعية، واسطبل للبقر والخيل والدواب ومتابن ورواقات، وقد خصص احد هذه الاحواش للماعز والأغنام، واشترى كذلك جميع غراس البستان الكائن بالقرية وشرب ذلك كله من مياه القرية واشترى ايضاً سبعمائة رأس من الغنم وست عشرة بقرة حراثة ومثلها من الحلابات،

---

(٢٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٣، قضية ٨٠، ص ٣٢. ٢٠ ربيع الاول ١٠٤٠ هـ/١٦٣٠.

(٢٥) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية). م ٤ ق ١. قضية ٢٥٣، ص ١٢٥، رمضان ١٠٤٣ هـ/١٦٣٣ م.

(٢٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٤ ق ١، قضية ٦٥٦، ص ١٢٦ - ١٢٨، ١٣ شوال ١٠٤٣ هـ/١٦٣٣ م. وقد كررت هذه القضية في نفس المجلد، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢٧) احدى قرى الغوطه من ناحية عربيل، انظر: زكريا الريف السوري جـ٢، ص ١٢١.

(٢٨) من قرى الغوطة وبقاياها حتى الآن، وتقع جنوب شرق دمشق انظر: زكريا، الريف السوري، ج ٢ ص ١٢١.

(٢٩) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥ ق ١، قضية ١٣٤، ص ٩٢. ٥ رجب ١٠٤٧ هـ/١٦٤٧ م.

مع نتاجهن من عجول، وثلاثة حمر، وادوات الحرث والزراعة، وكان ثمن ذلك كله ثلاثة آلاف وخمسمائة قرش اسدي[٣٠] واشترى علي بن محمود بستاناً في قرية زبدين[٣١] يشتمل على: توت ومشمش ودراق وصفصاف، وشرب البستان من ماء القرية، واشترى ايضاً دارين في نفس القرية، وكواير نحل، وثمان عشرة اوزة، وجميع ادوات الحرث والزراعة[٣٢]. وكان لاميرزا بشه ابن عبدالله دار بقرية بيلا، كما اشترى بستاناً، وجميع الزرع والمزروع في القرية وتشتمل على حنطة وشعير وقنب مع جميع ادوات الحرث[٣٣]،ولم يقتصر اهتمام العسكر على شراء الدور والأراضي الزراعية بل التفتوا الى ناحية جديدة في الاستثمار وهي استثمار المزارع والبساتين والكروم، فقد استأجر عبد الرحمن بن ابراهيم جميع غراس الثلاثة بساتين الكائنة في ضواحي حماة لمدة سنة بخمسين سلطانياً[٣٤]، واستأجرت مجموعة من عسكر دمشق وهم: محمد جاويش بن شعبان وعلي بلوكباشي بن احمد وعلي بن كمال السباهي ومحمد جلبي، عشرة افدنة من اراضي قرية بيت سوا[٣٥] التابعة لناحية المرج[٣٦]، واستأجر الشهابي بن احمد الطوبجي بقلعة دمشق من علي بن زين الدين العقرباني واخيه البستان الكائن بقرية عقربا[٣٧]، ويشتمل البستان على عنب زيني

---

(٣٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥ ق ١، قضية ١٢٣، ص ١٣٧ - ١٣٨، ٦ شوال ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م.

(٣١) من قرى الغوطة، تقع الى الشرق من دمشق، ذات اشجار كثيفة يسقيها احدى فروع بردى. انظر: زكريا، الريف السوري، جـ٢، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣٢) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٦ ق ٢، قضية ١٦٠، ص ٥٩ - ٦٠، ١٥ محرم ١٠٥٣ هـ/١٦٤٣ م.

(٣٣) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ١٦ ق ٢، قضية ٢٩٣، ص ١٥٣ - ١٥٤، ٩ شعبان ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م.

(٣٤) سجلات محاكم حماة الشرعية، م ٢١، قضية ١، ص ١٤١، ٨ ذي القعدة ٩٨٥ هـ/١٥٧٧ م.

(٣٥) احدى قرى ناحية عربيل، تبعد عن دمشق ٩ كم، وهي من قرى الغوطة ذات تربة خصبة وحولها سهل فسيح، وتشتهر بزراعة القنب والزيتون. انظر: زكريا، الريف السوري، جـ٢، ص ١١٧ - ١١٨

(٣٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ١٤٣، ص ٧٩ - ٨٠، ١٨ شوال ٩٩١ هـ/١٥٨٣ م

(٣٧) تقع الى الجنوب الشرقي من دمشق، وسط سهل الغوطة الغربي، وهي ذات اشجار كثيفة واليها =

وبلدي واشجار فاكهة مختلفة[٣٨].

وامتلك بعضهم المعاصر والطواحين والمصابغ والأفران في الريف، فكان ليوسف اوده باشي ابن عبدالله معصرة عنب كانت تشتمل على جرن وحوش ذي جدران اربعة وثلاثة ابار معدة لسكب العصير، وثلاثة بيادر لعصر العنب وبعض الجفان[٣٩]. وكان لمصطفى كتخذا نصف الطاحون على نهر بردى وبدار على نهر بردى المذكور[٤٠]، واشترى يوسف آغا خمسة افران في قرية كفر سامر التابعة لناحية الجولان[٤١] اما محمد آغا ابن عبدالله فكانت له مصبغة في قرية ادلب[٤٢].

= ينسب نهر العقرباني الذي يتفرع عن بردى ويسقي اراضيها. انظر:
زكريا، الريف السوري، جـ٢، ص ١٠٦، ص ١٨٤ - ١٨٥.

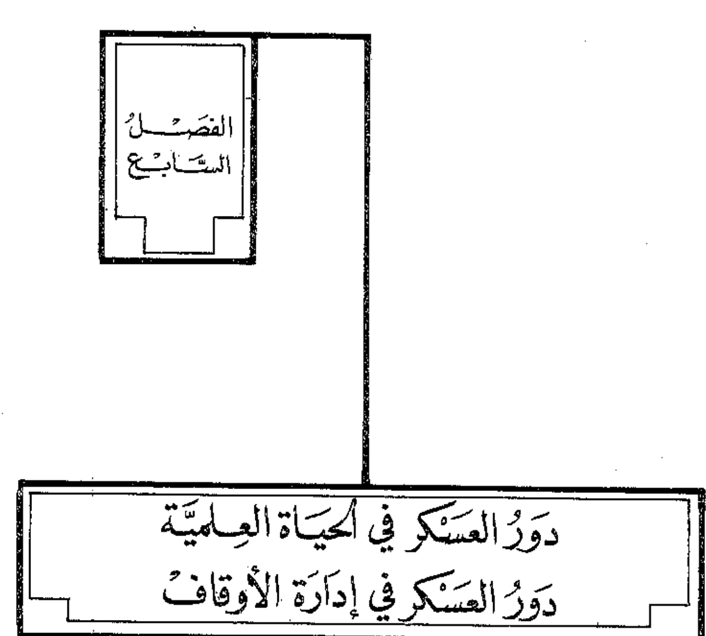
(٣٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ٣١٣، ص ١٥٧ - ١٥٨، ص ٤ شوال ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.

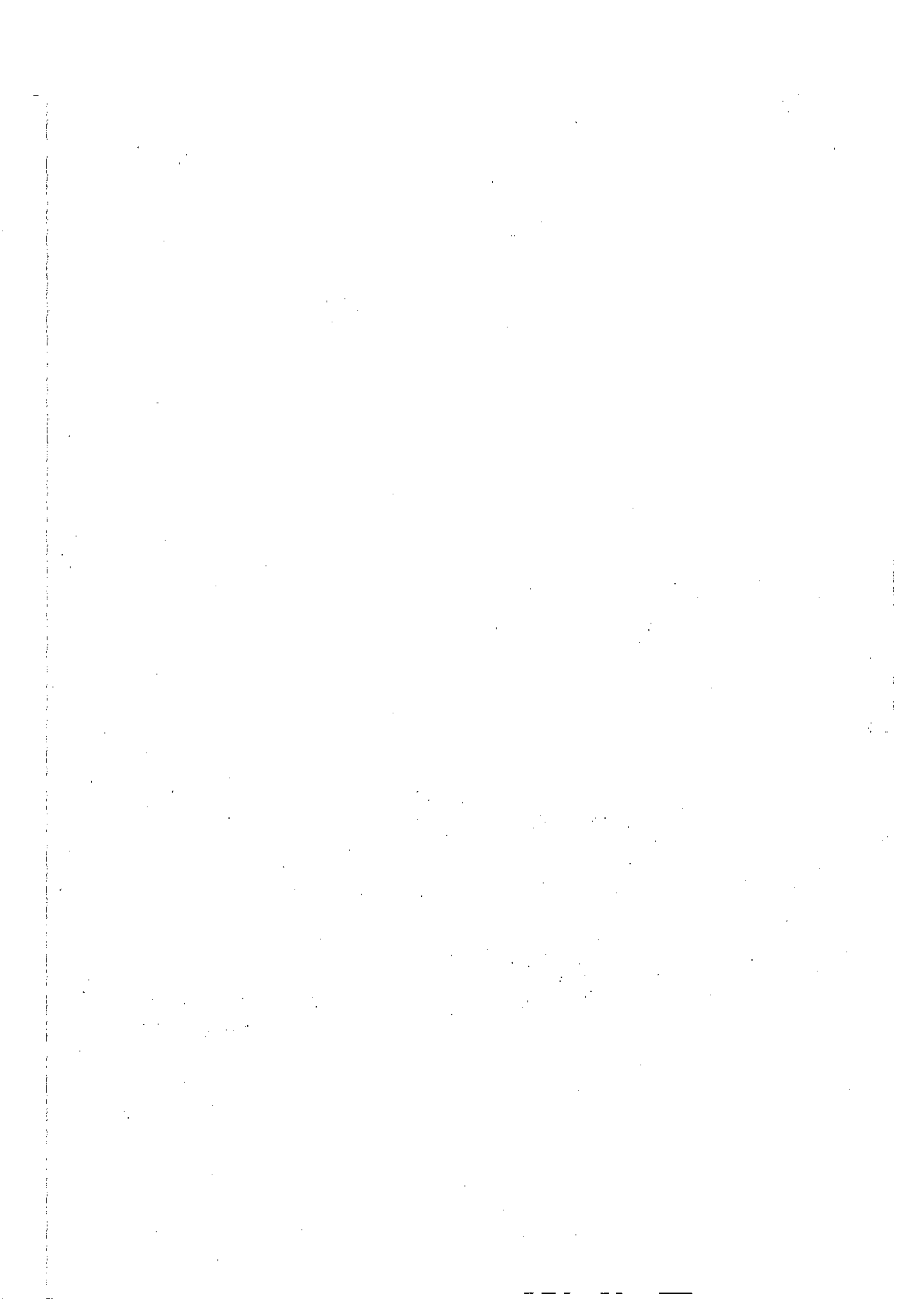
(٣٩) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية) م ٣، قضية ٨٠، ص ٤٣ ربيع الاول ١٠٤١ هـ/١٦٣٠ م.

(٤٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥ ق ١، قضية ٢٠٤، ص ١٢٦ - ١٢٨، ١٠ شوال ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م.

(٤١) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٨ قضية ٢٥٨، ص ١١٩ - ١٢٠، ١٨ صفر ١٠٦١ هـ/١٦٥٠ م.

(٤٢) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٩٤ - ١٩٨، ١٥ رجب ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م.


الفصل
السابع
دورُ العسكر في الحياة العلميّة
دورُ العسكر في إدارة الأوقاف



اولا: دور العسكر في الحياة العلمية

لم يمنع انشغال العسكر، وانهماكهم في اشعال نار الفتن بين طوائف الجند المختلفة، وسعيهم المستمر في جمع الثروة، من ان تكون منازل بعض كبرائهم ملتقى للعلماء والأدباء والصلحاء. ونستطيع ان نتبين من خلال الاشارات القليلة التي توردها المصادر المحلية المعاصرة، ان العسكر قد قاموا بدور بارز في انعاش الحياة العلمية، وكان الاقبال يزداد على تلك المنازل كلما زاد عطاء العسكر، وما يبديه اصحابها من حفاوة وتقدير للعلماء والأدباء، خاصة الشعراء منهم. اذ رأى فيهم العسكر خير وسيلة لنشر شهرتهم وابراز قوة نفوذهم، وذلك عن طريق اشعارهم وخطبهم التي يمتدحون بها هؤلاء العسكر. ومن هنا كانت المنافسة بين كبار العسكر على اشدها لكسب ود اكبر عدد من العلماء والأدباء. هذا وقد وصف الشعراء كرم العسكر، بالمطر والندى وان كرم بعضهم لا يدانيه كرم حاتم الطائي.

فقد كان منزل شوربزة حسن، أحد صدور دمشق وأعيانها ملتقى للأدباء والعلماء(١). وقد ابدى شوربزة حسن اهتماماً زائداً بالعلماء والصلحاء(٢). وفي كل مرة كان يذهب بها الى استنبول كان يرجع ومعه هبات لبعض المستحقين من العلماء والصلحاء(٣). وكان من المترددين على منزل شوربزة حسن، نجم الدين الغزي صاحب التصانيف الكثيرة. وقد

---

(١) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٢٧ ب.
(٢) المصدر ذاته، ورقة ٢٧ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٥.
(٣) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٢٧ ب.

رثى شوربزة حسن عند وفاته بقصيدة جاء فيها[٤]:

امـــا نظرت الى شوربزهم حسن — وكـان كـالسبـع ادهتهم اراعيبه
لـه محـاسن لا تحصى لكـثرتهـا — فطـالمـا هطلـت خـيراً شآبيبـة
يحب تعمير اوقاف المساجد لا — يـألو وقـد حسنت فيهـا تراتيبه
وكـــان يحسن لـــلأيتـــام يحضنهم — تجري على مستوى فيهم انابيبه
لكنــه كــان ذا جـاه وذا جرد — وجرأة عظمـت منهـا تراهيبـه
يبادر الناس بالترهاب يوهمهم — ممـــا يبلغـــه عنهم ديـــاديبـــه
أخلـت منيتــه منــه الـديـار — أمست خلاء وتبكيه شناحيبه

* * *

وكان ابراهيم بن عبد المنّان[٥]، أحد كبراء دمشق، يكن للعلماء والصلحاء محبة واحتراماً، ففتح لهم منزله، وكان يشاركهم في مذاكرة العلوم المختلفة. يضاف الى ذلك علم ابن عبد المنان الغزير، فقد كان حافظاً لكثير من الأحاديث النبوية، وراوية له، وجمع كتباً متعددة في شتى انواع الفنون[٦]. ولم تمنع هيبة ابن كيوان[٧] ونفوذه من تقرب العلماء اليه، لما كان يغدقه عليهم من أموال[٨].

لم ينحصر دور العسكر في احترام العلماء وتقديرهم، وتقديم الهبات

---

(٤) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) ابراهيم بن عبد المنان ، المعروف بالدفتردار، نزيل دمشق واحد كبرائها، صاحب شأن رفيع، وقور ومتواضع، قدم الى دمشق سنة ١٠١٢ هـ/١٦٠٣ م، واصبح كتخدا سنة ١٠٢١ هـ/١٦١٢ م، وتولى دفتردارية دمشق للمرة الثالثة سنة ١٠٢٥ هـ/١٦١٦ م، وفي سنة ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م تولى امارة الركب الشامي، وحدث بينه وبين والي دمشق الكجك احمد منافسة قوية انتهت بصرع ابن عبد المنان سنة ١٠٤٣ هـ/١٦٣٤ م. انظر:
المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢٩ - ٣٠.

(٦) المصدر ذاته، ص ٢٩ - ٣٠.

(٧) هو ابراهيم بن عثمان المعروف بابن كيوان، كان احد اعيان دمشق المشهورين بالرأي الصائب، والنعمة الطائلة، وكان له دراية في الأمور، نافذ الكلمة في مهامه، كان في بداية امره احد الانكشارية ثم ياياباشيا، ثم احد المتفرقة، وكانت وفاته سنة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧ م. انظر:
المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٠ - ٣١.

(٨) المصدر ذاته، ص ٣٠.

المختلفة لهم، بل نجد ان بعضهم كان يساهم بعلمه في تنشيط الحركة العلمية. فعلى سبيل المثال، كان محمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بمامية الشاعر (ت ٩٨٦هـ - ١٩٧٨/٨٧ - ٧٩م)، أحد انكشارية دمشق، قد نظم في بداية حياته العلمية ديواناً أكثره من الشعر الملحون. وعندما عزل من الانكشارية لازم الشيخ أبا الفتح المالكي[٩]، فأخذ عنه الأدب، ولما برع في النحو نظر في ديوانه الملحون، فأصلح ما يمكن اصلاحه واهمل الباقي. وقد وقف الشيخ نجم الدين الغزي على نسخة من ذلك الديوان وعليها تصحيحات كثيرة. ومن شدة ولع ابن مامية بالشعر اطلق على نفسه لقب «ابن الرومي المتأخر»[١٠] وذلك تشبهاً بابن الرومي الشاعر المشهور[١١]. ولمعرفة ابن مامية بالتركية والعربية عين مترجماً بالمحكمة الصالحية وبمحكمة «الكبرى» وعندما ساءت حالته المادية اضطر الى بيع جميع كتب الأدب التي بحوزته. ولكن ما لبثت حالته المادية ان تحسنت عندما تولى الترجمة بمحكمة القسمة العسكرية[١٢]. ويعترف النجم الغزي ان مامية الشاعر لا يبارى في

---

(٩) الشيخ محمد ابي الفتح المالكي، احد تلاميذ البدر الغزى، كان فقيها اصولياً، وكان علآمة في النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق، وأكثر العلوم العقلية والنقلية، وله باع طويل في الأدب ونقد الشعر، وكان هذا الشيخ من المغالين في نصرة القهوة. وكانت وفاته سنة ٩٧٥ هـ/١٥٦٧ م. انظر:
نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ٢١، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ/١٦٥٨ م)، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، ٢ ج، تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٦٧، جـ١، ص ٤٢ - ٥٢. سيشار لهذا المصدر: الخفاجي، ريحانة الألبا.

(١٠) رضي الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف الحنبلي (ت ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م)، در الحبب في تاريخ اعيان حلب، ٢ ج في اربعة اقسام، تحقيق محمود الفاخوري ويحيى زكريا عبارة، دمشق ١٩٧٢ - ١٩٧٣، جـ٢، ق ١، ص ٤٢٤ - ٤٢٦. سيشار لهذا المصدر، ابن الحنبلي، در الحبب، نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٣ ص ٥٠.

(١١) هو علي بن العباس جريج البغدادي المشهور بابن الرومي (ابو الحسن) شاعر رومي الأصل، ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ/٨٣٥ م، وتوفي بها سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م. انظر:
ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م)، تاريخ بغداد، ١٤ ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، جـ١٢، ص ٢٣ - ٢٦. سيشار لهذا المصدر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

(١٢) نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، ج٣، ص ٥٠.

الزجل والمواويل والموشحات[١٣]. وقال فيه استاذه ابو الفتح المالكي[١٤]:

ظهرت لماماي الأديب فضيلة   في الشعر قد رجحت بكل علوم
لا تعجبوا من حسن رونق نظمه   هذا امام الشعر ابن الرومي

ومن شعر ابن مامية[١٥]:

هذا السبيل الأحمدي   لله ما فيه خفا
وقد أتى تاريخه   اشرب هنيئاً بل شفا

وقوله[١٦]:

قل لقوم ضلوا عن الرشد لما   اظهروا منه اعتقادا خبيثا
كيف تبني عن القديم عقول   لا يكادون يفقهون حديثا

كما اورد شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ /١٦٥٨ م) نماذجاً من شعره[١٧].

ومن الذين لهم باع طويل في تنشيط الحركة الأدبية، الأديب واللغوي والشاعر احمد بن شاهين القبرسي[١٨]، الذي ترك الحياة

---

(١٣) المصدر ذاته، ص ٥٠
(١٤) المصدر ذاته، ص ٥٠
(١٥) المصدر ذاته، ص ٥١.
(١٦) نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ٥١.
(١٧) الخفاجي، ريحانة الالبا، جـ١، ص ١٥٩ - ١٦٤.
(١٨) كان والده فيئاً من جزيرة قبرس، اشتراه احد الأمراء وتبناه وجعله احد اجناد دمشق، وبعد وفاة الأمير اصبح شاهين احد اعيان دمشق، وولد له ابنه احمد المشهور بالشاهيني، الذي بدأ حياته كأحد افراد الانكشارية في دمشق، وكان من جملة العسكر الذين اسرهم الأمير علي باشا جانبولاد في حملته على دمشق سنة ١٠١٧ هـ/١٦٠٧ م، وبعد اطلاق سراحه ترك الجندية واتجه بكل اهتمامه الى طلب العلم. انظر:
البوريني، تراجم الأعيان، جـ١ ص ١٣٩ - ١٥٥، الخفاجي، ريحانة الالبا، جـ١، ص ٢٢٨ - ٢٣١، المحبي (ت١١١١ هـ/١٦٩٩ م)، نفحة الريحانة ورشحه طلا الحانه، ٦ ج تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٩ - ١٩٧١، جـ١، ص ٩٦ - ١٣٥ سيشار لهذا المصدر: المحبي، نفحة الريحانة، علي صدر الدين بن احمد ابن معصوم (١١١٩ هـ/١٧٠٧ م)، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، المكتبة المرتضوية، باساز مهاش ١٣٢٤هـ، ص ٣٦٧ - ٣٧٧. سيشار لهذا المصدر: ابن معصوم، سلافة العصر.

العسكرية وتفرغ كما يقول المحبي الى «القراطيس والأقلام»[١٩]. وكان احمد بن شاهين احد تلاميذ الشيخ الحسن البوريني الذي لم يخف اعجابه بتلميذه بقوله: «صار فارس العربية وحامل لواء البلاغة في المملكة الدمشقية والعجب انه عسكري وابن عسكري»[٢٠]. كما قرأ على عمر القاري[٢١]، وعبد الرحمن العمادي[٢٢]، مختلف انواع العلوم الدينية، وتأدب على يد ابي الطيب الغزي[٢٣]، وعبد اللطيف المنقار[٢٤]، وكان الشاهيني بارعاً في الانشاء وحسن التصرف في النظم والنثر، وله رسائل بليغة. وقد ألّف فيه أحد علماء دمشق كتاباً سماه «الرياض الأنيقة في الأشعار الرقيقة»[٢٥]. وكان ابن شاهين قد تولى المناصب التي يتطلب الحصول عليها الى معرفة دقيقة في العلوم الدينية، والمام واسع باللغة العربية، فتولى نيابة قضاء الشام، وقضاء الركب الشامي سنة ١٠٣٠ هـ /١٦٢٠ م، وتولى التدريس بالمدرسة

---

(١٩) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١١٠.

(٢٠) البوريني، تراجم الأعيان، جـ١، ص ١٣٩.

(٢١) هو عمر بن محمد بن احمد الملقب بزين الدين القاري، رئيس مشايخ دمشق، وكبير علمائها واحد صدورها، كان اماماً ومحدثاً وفقيهاً حسن الخط، عالماً بالعربية والحساب والهيئة، وتلقى الاجازة في الحديث من بدر الدين الغزى والشهاب احمد بن احمد الطيبي، وكانت وفاته سنة ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م. انظر:
المحبي، خلاصة الأثر، ج٣، ص ٢٢٣ - ٢٢٥.

(٢٢) هو عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد، من اعيان علماء وفضلاء دمشق، له مصنفات فقهية عديدة، توفي سنة ١٠٥١ هـ/١٦٤١ م. انظر:
المصدر ذاته، جـ٢، ص ٣٨٠ - ٣٨٦.

(٢٣) ابو الطيب ابن محمد بن محمد الغزى، اديب وشاعر، كان غزير الأدب، ودرّس بالمدرسة القصاعية الشافعية وكانت وفاته سنة ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م. انظر:
المصدر ذاته، جـ١، ص ١٣٥ - ١٣٩.

(٢٤) عبد اللطيف بن يحيي بن محمد بن القاسم المعروف بابن المنقار، احد مشاهير الفضلاء والنبلاء وكان محيطاً بالفقه متمكناً بفروعه واديباً له عدة مؤلفات بالأدب، وهو احد تلاميذ الحسن البوريني درس بالمدرسة الماردانية، وكانت وفاته سنة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧ م. انظر:
المصدر ذاته، جـ٣، ص ٢٠ - ٢٣.

(٢٥) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢١١.

الجقمقية(٢٦). وعندما قدم ابو العباس احمد المقري(٢٧) الى دمشق، كان ابن شاهين ممن سارعوا الى استقباله والترحيب به، وانزله بالمدرسة الجقمقية(٢٨). واعتنى ابن شاهين بضيفه عناية زائدة، فبعث اليه المقري يشكره على صنيعه(٢٩):

اي نظم في حسنه حار فكري وتحلّى بدره صدر ذكري
طائر الصيت لابن شاهين ينمي من بروض الندى له خير ذكر

وكان لابن شاهين شهرة علمية وأدبية واسعة في بلاد الشام، مما جعل المقري يفخر بصداقته، ويصف شهرة صديقه بقوله: «... المولى الذي امداحه تحلى اجياد الطروس العاطلة وسماحة يخجل انواء الغيوث الهاطلة، صدر الأكابر الأعاظم، الحائز قصب السبق في ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم، الصديق الذي بوده اغتبط، والصدوق الذي بأسباب عهده ارتبط، الاوحد الذي ضربت البراعة رواقها بناديه، والماجد الذي لم يزل بديع البلاغة من كتب يناديه، السري الحائز من الخلال ما ابان تفضيله، اللوذعي الذي لم تزل اوصافه تحكم له بالسؤدد وتقضي ،، والحق ابلج لا يحتاج الى زيادة براهين، الاجل المولى احمد افندي ابن شاهين...»(٣٠). وجرى بين الاثنين مراسلات ومحاورات

---

(٢٦) المصدر ذاته، ص ٢١١.

(٢٧) هو الشيخ احمد بن محمد بن احمد بن يحي المقري التلمساني المشهور، صاحب كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، كان فقيهاً ومفسراً ومحدثاً، وأديباً ومحاضراً، تولى الافتاء في فاس وكانت زيارته الاولى لبيت المقدس سنة ١٠٢٩ هـ/١٦١٩ م، كانت الثانية سنة ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩ م وفي الزيارة الثانية زار دمشق، واحتفى به سكان المدينة وعلماؤها، وبالغوا في اكرامه، وكان المقري ممن تولوا الوعظ والتدريس في الجامع الأموي. وكانت وفاته في مصر سنة ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م. انظر: المصدر ذاته، جـ١، ص ٣٠٢ - ٣١١، ابن معصوم، **سلافة العصر**، ص ٥٨١ - ٥٩١، وانظر ما كتبه احسان عباس عن حياة المؤلف في الجزء الاول من كتاب **نفح الطيب**، ص ٥ - ١١.

(٢٨) احمد بن محمد بن احمد المقري (ت ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٨ ج، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٦٨ م، جـ٢، ص ٤١٤. سيشار لهذا المصدر: المقري، نفح الطيب.

(٢٩) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣٠) المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص ٦٣ - ٦٤.

عديدة[٣١]. ومما تجدر الإشارة اليه ان كتاب المقري المشهور المسمى «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، قد وضع بناء على طلب واصرار احمد بن شاهين[٣٢]. وصرف ابن شاهين بعض جهده وماله في علم الكيمياء دون ان يحصل على نتيجة[٣٣]. ومن آثار ابن شاهين تلخيص القاموس[٣٤] والعباب[٣٥]. ويرى المحبي ان ابن شاهين كان «من نوادر الأيام»[٣٦]. ومما يبين مكانته العلمية مخاطبة سجلات محاكم دمشق الشرعية له بقولها: «... اعلا العلماء العظام افضل الفضلاء الكرام الحبر البحر الهمام العالم النحرير المولى احمد افندي ابن افتخار الأكارم والأماجد شاهين كتخدا طائفة الينكجرية..»[٣٧].

وكان لمصطفى بن قاسم بن عبد المنان[٣٨] مكانة علمية وادبية في مدينة دمشق، وكان كما يقول المحبي: «واحد الوقت في المحاورة وسرعة البداهة والنكتة النادرة»[٣٩]، ولم يمنعه انخراطه في سلك الجندية من

---

(٣١) للمزيد عن هذه المحاورات والمراسلات انظر:
المقري، نفح الطيب، جـ١، ص ٧٠، ٩٩، ١٠٣ – ١٠٦، جـ٢، ص ٤١٤ – ٤٣٣، المحبي، خلاصة الأثر، جـ١١، ص ٢١١.

(٣٢) المقري، نفح الطيب، جـ١، ص ٧٠، ١٠٣ – ١٠٦.

(٣٣) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢١٣.

(٣٤) المقصود بالقاموس: هو القاموس المحيط والقاموس الوسيط، للفيروز ابادي الشيرازي (ت ٨١٧ هـ/١٤١٤ م). انظر مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ/١٦٥٧ م) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٢ ج، اعادت طبعه بالاوفست مكتبة اسلامية والجعفري تبريزي، طهران، ١٩٤٧، جـ٢، ص ١٣٠٦ – ١٣١٠. سيشار لهذا المصدر: حاجي خليفة، كشف الظنون.

(٣٥) العباب: هو العباب الزاخر، في اللغة ويقع في عشرين مجلداً، مؤلفه الامام حسن بن محمد الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ/١٢٥٢ م). انظر:
حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ٢، ص ١١٢٢.

(٣٦) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٢١٨.

(٣٧) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٤، ق ١، قضية ٤٣٦، ٢٣٢ – ٢٣٣، ١٥ شعبان ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(٣٨) مصطفى بن قاسم بن عبد المنان، تولى اوقاف السنانية بعد وفاة والده، وكان احد اثرياء دمشق، الا انه كان مسرفاً، فنفذت امواله، ونبذه عسكر دمشق من بين صفوفهم، وكانت وفاته سنة ١٠٧٩ هـ/١٦٦٨ م. انظر:
المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٣٨٥ – ٣٨٧.

(٣٩) المصدر ذاته، ص ٣٨٥.

طلب العلم. فتتلمذ على يد العلاّمة المنلا عبدالله القونوي امام جامع الدرويشية، والعلامة الشيخ رمضان بن عبد الحق العكاري[٤٠]. وكانت لابن عبد المنان مشاركة في العلوم الأدبية، وحفظ الكثير من الأشعار باللغات العربية والتركية والفارسية، وكان ينظم الشعر باللغات المذكورة ايضاً[٤١]. علاوة على ما ذكر فقد كان ابن عبد المنان خطيباً مفوهاً ويكثر من استخدام النكات في خطاباته ومجالسه، وتداول سكان دمشق كثيراً من تلك النكات[٤٢].

يذكر الخياري المدني: انه عندما نزل في دمشق في طريقه الى استانبول سنة ١٠٨٠ هـ /١٦٩٦ م زاره مصطفى بن عابدي آغا طائفة السباهية في دمشق وقرأ مصطفى آغا على الخياري قسماً من شرح الألفية، كما اطلعه على اجازة له في الطريقة ولبس الخرقة من علماء دمشق، وأنه طلب من الخياري المدني ان يجيزه[٤٣]. ومن الذين برعوا في الأدب والنحو والصرف أحمد بن محمد السلامي[٤٤]، حيث الف شرحاً على الشاهد باللغة العربية[٤٥].

هذا وتمدنا سجلات المحاكم الشرعية في بلاد الشام ببعض الإشارات التي تؤكد اهتمام العسكر ومشاركتهم في الحياة العلمية. فقد وجد ضمن مخلفات محمد آغا ابن محمود آغا دزدار قلعة حلب، عدد من الكتب من

---

(٤٠) رمضان بن عبد الحق بالمعروف بالعكاري الدمشقي الفقيه الحنفي، عالماً بالفقه والعربية، وكان له اجادة في التعليم، واطلاع زائد على فروع المذاهب. كانت وفاته سنة ١٠٥٦ هـ/١٦٤٦ م. انظر: المصدر ذاته، جـ٢، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤١) المصدر ذاته، جـ٤، ص ٣٨٦.

(٤٢) المصدر ذاته، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٤٣) الخيارى المدني، تحفة الأدباء، جـ١، ص ١٥٥ - ١٥٧.

(٤٤) احمد بن محمد السلامي الشهير بابن اغرى بيوزي الدمشقي كان من سكان محلة ساروجا. وكانت وفاته سنة ١١٢٦ هـ/١٧١٤ م. انظر:
المرادي، سلك الدرر، جـ١، ص ١٨٣ - ١٨٦.

(٤٥) المصدر ذاته، ص ١٨٣.

بينها: تفسير السمرقندي[٤٦]، جزء من كتاب الترغيب[٤٧]، شرح الكنز للمسكين[٤٨]، الجزء الأول من الهداية، الجزء الثاني من الروضة، كتاب فقه، بيطرنامة، شرعة الاسلام، سيرة النبي، الجزء الثاني من فتوح الشام، جزء من صحيح البخاري، ملتقى الأبحر[٤٩]، مناقب الأولياء، كتب انشاء وكتب منبرية[٥٠]. وكان من مخلفات سالم بيك ابن الحاج يوسف الشهير بابن البلاط، كتب فقه وحديث ونحو وأدب[٥١]. وعلينا ان نشير الى ان بعض العسكر قد اهانوا العلماء واذلوهم، كما سخروا بعضهم في تحقيق مآربهم الشخصية وخير مثال على ذلك ما كان يفعله كيوان بلوكباشي بقضاة دمشق ومشايخها[٥٢].

وعلينا ان نتذكر ايضاً الدور الذي قامت به الدولة في رعاية العلماء وتشجيعهم، لا سيما وانها خصصت جزءاً من اموال الخزينة للانفاق عليهم. وهذا يفسر لنا رحلات العلماء المستمرة من بلاد الشام الى استنبول. وقد ذكر المحبي عند ترجمته لأسكندر بن يوسف كاتب خزينة دمشق، ان هناك مبالغ مالية كانت مخصصة للانفاق على العلماء. وقام هذا الكاتب سنة ١٠٦٠ هـ /١٦٥٠ م بقطع الأموال عن العلماء والصلحاء، وقد ترتب على ذلك ضعف العلماء واستيلاء الفقر

---

(٤٦) هو تفسير ابي الليث، لمؤلفه نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م)، انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ١، ص ٤٤١.

(٤٧) هو الترغيب والترهيب، للحافظ ابي محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)، انظر: المصدر ذاته، ص ٤٠٠.

(٤٨) لعله «شرح حديث كنت كنزاً مخفياً»، للشيخ بالي خليفة الصوفية (ت ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢م)، انظر: المصدر ذاته، ص ١٠٤١.

(٤٩) هو ملتقى الأبحر في فروع الحنفية، للشيخ ابراهيم بن محمد الحلبي (ت ٩٥٦ هـ/١٥٤٩ م). انظر: المصدر ذاته، جـ٢، ص ١٨١٤ - ١٨١٦.

(٥٠) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٠ - ١٣، ١٠جمادي الاولى ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦ م.

(٥١) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٣٦، قضية ١، ص ١٤٧ - ١٤٩، ٢٩ ربيع الثاني ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م.

(٥٢) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

عليهم[٥٣]، ومن جهة اخرى يورد المحبي اشارة تلفت الانتباه وهي قيام احد عسكر دمشق بايصال مبلغ من المال الى احد العلماء المجاورين في مكة[٥٤]. اما اهتمام الولاة في بلاد الشام فقد انصبّ على تشجيع الحركات الصوفية ودعمها،، فعلاوة على اتقان فرهاد باشا والي حلب (ت ٩٦٤ هـ/١٥٥٦م) للغة العربية، كانت له القدرة على الخوض في دقائق الصوفية[٥٥]. ولبس والي دمشق عيسى باشا (ت ٩٥٠ هـ/١٥٤٣ م) الخرقة القادرية[٥٦]. أما حسين باشا جانبولاد والي حلب فقد اشتهر عنه براعته في علم الفلك والرمل والتقويمات وقد صرف اكثر عمره في ذلك[٥٧].

وكان للزعامات المحلية دور لا ينسى في تنشيط الحركة العلمية، خاصة بعد ان توفرت لديهم الأموال الطائلة. كما وان المنافسة بين هؤلاء الأمراء ومحاولة كل واحد منهم في ان يجعل من منزله قبلة للعلماء والأدباء والشعراء. قد ساهمت ايضاً في تنشيط تلك الحركة وقد حظي قصر بني سيفا في طرابلس بأوفر نصيب منهم،فكان يؤم هذا القصر على سبيل المثال الأديب عبد النافع بن عمر الحموي[٥٨] ومحمد بن ملحة العكاري شاعر الامير محمد بن سيفا الخاص وكان يخرج معه في الحروب ليخلد انتصاراته[٥٩]. بالاضافة الى حسين بن الجزري[٦٠] الذي اقتصر في شيعره على مدح الأمراء من بني

(٥٣) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ٤٠٣.

(٥٤) المصدر ذاته، جـ٤، ص ٧٥.

(٥٥) نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، جـ٣، ص ١٩٩.

(٥٦) المصدر ذاته، جـ٢،. ص ٢٣٥.

(٥٧) العرضي، معادن الذهب، ورقة ٧٢ أ.

(٥٨) عبد الفتاح بن عمر الحموي نزيل طرابلس الشام الحنفي، اديب مشهور في غاية الذكاء والفطنة، خدم عند القاضي محمد بن الأعوج، وجعله كاتباً بمحكمة حماة، ثم ترقى الى ان افتى، وانفرد بافتاء حمص ومعرة النعمان،. وله عدة تصانيف. وكانت وفاته سنة ١٠١٦ هـ/١٦٠٧ م. انظر: البوريني، تراجم الأعيان، جـ٢، ص ٣٤١ - ٣٤٣، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٩٠ - ٩٣.

(٥٩) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٤، ص ٤٧.

(٦٠) حسين بن احمد بن حسين المعروف بابن الجزري، شاعر مشهور واديب ولغوي، كان يغادر حلب الى=

سيفا، وقد جمعت اشعاره فيهم في ديوان تناقلته ايدي الناس[٦١]. كما ان كرم بني سيفا جعل الشاعر سرور ابن سنين الحلبي[٦٢] يترك اهله في حلب، ويقصد بني سيفا في طرابلس مادحاً اياهم[٦٣]. وكان بنو سيفا في تلك الفترة كما يقول المحبي: «مقصد كل شاعر وممدوح كل ناطق اكرم مثواه واحسن قواه»[٦٤]. وكان ايضاً قصر الأمير احمد بن رضوان حاكم غزة يزدحم بالمترددين عليه[٦٥]، امثال نجم الدين الغزي ودرويش بن محمد قاضي القدس وما يتبعها كغزة ونابلس وصفد واللجون وعكا وكفركنا وغيرها، والحسن البوريني[٦٦]، وابو المعالي الطالوي الذي مدح الأمير بقصيدة منها[٦٧]:

اتشكو الجوى اذا جئـــت غزة ... وعيناه فاضت بالدموع السواجم
سمي نـــبي اللـــه احمد من غـــدا ... حديث نداه ناسخاً ذكر حاتم
كثـــير رمـــاد القـــدر وان نوالـــه ... طويـل نجـاد السيـف مـاجـلي العزائم
سليـل الملوك الصيـد من خضعـت لـه ... قبـائـل من تـيـم وقيس ودارم

وفي ديوان الأمير فخر الدين المعني الثاني برز المؤرخ الشيخ احمد الخالدي الصفدي، الذي دون لنا جزءا من احداث عهد الأمير فخر الدين المعني ووقائعه مع الزعماء المحليين ومع جيش الدولة العثمانية،

= طرابلس لمدح بني سيفا. وكانت وفاته بين ١٠٣٢ هـ - ١٠٣٤ هـ/١٦٢٢ م - ١٦٢٤ م. انظر: المصدر ذاته، جـ٢، ص ٨١ - ٨٤.

(٦١) المصدر ذاته، ص ٨١.

(٦٢) سرور بن الحسين الحلبي ترك اهله في حلب، وتوجه الى طرابلس لمدح بني سيفا، وقربه الامير محمد بن سيفا. وكانت وفاته في حدود سنة ١٠٢٠ هـ/١٦١١ م. انظر:
الخفاجي، ريحانة الالبا، جـ١، ص ١١٠ - ١١٢، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٨، الطباخ، اعلام النبلاء جـ٦، ص ١٩٠ - ١٩٦.

(٦٣) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٠٤.

(٦٤) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٠٤.

(٦٥) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٢١ أ.

(٦٦) البوريني، تراجم الاعيان، جـ٢، ص١٩٨ - ٢٠٠.

(٦٧) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١٨٨.

وذلك في تاريخه المشهور «تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني»[٦٨]، كما ان قصر الأمير ابن معن كان مقصداً لعدد من الشعراء المتكسبين.

ثانياً: دورهم في ادارة الأوقاف

كان هناك نوعان من الوقف، هما:

١ - الوقف الخيري الذي كان ينفق ريعه على وجوه الخير والنفع العام، ومن ذلك: المستشفيات (البيمارستانات): كالبيمارستان النوري، والقيمري والمدارس: كالمدرسة البدرئية، ودار الحديث النورية، وعمارات السلطان سليم والسلطان سليمان والجامع الأموي والحرمين الشريفين في مكة والمدينة، هذا بجانب عدد كبير من التكايا والزوايا[٦٩]. وكان للوقف الخيري دور رئيسي وفعال في تنشيط الحركة العلمية، اذ نجد الكثير من مؤسسات الوقف الخيري خاصة الجوامع والمدارس كانت تستقطب اهل العلم بسبب ما توفره لهم من مخصصات وما يتقاضونه من اجور مجزية لقاء قيامهم بأعمالهم. فكانت تلك المؤسسات تحفل بحلقات البحث والوعظ والدرس، فعلى سبيل المثال: أوقف السلطان سليم الأول على الجامع الذي بناه على ضريح القطب صوفي ابن عربي اوقافاً كثيرة، كان يدفع من ريعها مبالغ معينة لمن يقومون على خدمة الجامع من مؤذنين ووعاظ وقراء وعلماء[٧٠]

لقد ادى الجامع الأموي في دمشق دوراً تعليمياً مهما، اذ اشتمل على عدد من المدارس مثل: الغزالية، والأسدية، والمنجائية، والقوصية،

---

(٦٨) نشره الدكتور اسد رستم وفؤاد افرام البستاني تحت عنوان «لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني».

(٦٩) لمزيد من المعلومات عن هذه المنشآت واوقافها انظر:

Bakhit, The Ottoman Province of Damasscus P. 150 – 57.

كذلك انظر:

Cohen and Lewis, Population and Revenue, P. 42.

(٧٠) عبد القادر بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الاسلامي، دمشق، ١٣٧٩ هـ، ص ٣٨٣. سيشار لهذا المرجع: بدران، منادمة الأطلال.

والسيفية، والمقصورة الكبيرة، والزواوية، والشيخية. كما ضم هذا الجامع احدى عشرة حلقة للتدريس بالاضافة الى ثلاث حلقات للاشتغال بالحديث وتدريسه[٧١]. وكان يقوم على خدمة هذا الجامع العديد من المؤذنين والوعاظ والخطباء والأئمة والمدرسين. وكان لهؤلاء رواتب نقدية يتقاضونها من وقف الجامع. وعندما احدثت حلقة تدريس الحديث تحت قبة النسر في الجامع الأموي سنة ١٠٥٠ هـ /١٦٤٠ م وقف عليها بهرام آغا كتخذا والد السلطان ابراهيم، السوق الجديد والخان قرب باب الجابيه. وكان المدرّس في الجامع الأموي يتقاضى ستين قرشاً والمعيد ثلاثين قرشاً وقارىء العشر من القرآن عشرة قروش[٧٢].

ولم يقتصر الوقف على الأرضين والعقار بل تعدى ذلك الى وقف الكتب فنجد ان علي دفتردار دمشق (ت ١٠١٨ هـ /١٦٠٩ م) قد اوقف كتبه واستودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة بالجامع الأموي[٧٣]. وقام لالا مصطفى سنة ٩٧٤ هـ /١٥٦٦ م بعدة مشاريع خيرية في قرية القنيطرة ومن ضمنها مدرسة خصصها لتعليم الأطفال، وعين لها معلمين ومعيدين، وخصص لهم رواتب نقدية تتراوح بين ٥ - ٣ دراهم يومياً[٧٤]. وقد اوقف لالا مصطفى على مشاريعه تلك، قرى ومزارع وأسواق وطواحين ومعاصر وحمامات وبساتين وكروماً منتشرة في مناطق مختلفة من ولاية دمشق. كما قام سنان باشا (ت ١٠٠٤ هـ /١٥٩٥ م) بأعمال خيرية كثيرة، كان من بينها انشاء العديد من المدارس والجوامع، وخصص لمن يقوم بشعائرها من مؤذنين وقراء وعلماء رواتب نقدية[٧٥]. وفي سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨م أوقف

(٧١) بدران، منادمة الاطلال، ص ٣٦٣.

(٧٢) المرجع ذاته، ص ٣٦٣.

Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, P. 153.

(٧٣) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص٢٠٠.

(٧٤) لالا مصطفى، كتاب وقف لالا مصطفى، تحقيق خليل مردم بك، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥، ص١٦ - ١٩، ٢١٣. سيشار لهذا المصدر: كتاب وقف لالا مصطفى.

(٧٥) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص٢١٤، بدران، منادمة الاطلال، ص٣٧٩.

أحد العسكر ويدعى ابراهيم آغا بن محمد، أحد اعيان ياباشية دمشق، بيته الجديد المنشأ بسفح قاسيون على مرقدى الشيخين[٧٦].

مما تقدم يتبين لنا الدور الهام الذي قام به العسكر من خلال الأوقاف الخيرية في تنشيط الحركة العلمية، وتوفيرها مصادر رزق دائمة وثابتة للعلماء ولطلاب العلم.

٢ - الوقف الذري: وهو ان يوقف أحدهم املاكه على نفسه وعلى ابنائه من بعده ثم على ذريته «الى يوم الدين»، وكانت اكثر اوقاف العسكر من هذا النوع. وكان هدفهم من وراء ذلك حماية ممتلكاتهم من المصادرة بعد وفاتهم. ولا يخفى ما لذلك من تأثير سيء على خزينة الدولة، بسبب نمو اموال تلك الأوقاف دون ان تنال خزينة الدولة منها الا العشر. وكانت اوقاف بعضهم قاصرة على ذريتهم من الذكور دون الإناث. فقد اوقف محمد آغا بن علي السباهي جميع الحصة وقدرها ستة عشر قيراطاً[٧٧] من جميع الحمام المعروف بـ خواجة الكائن ببلدة «خربت»، وجميع معصرة السمسم في آمد، وهذا الوقف اوقفه الواقف على نفسه، وعلى اولاده الذكور دون الاناث وعلى أعقابهم وأنسالهم وذرياتهم...[٧٨]، ومن متحصل اجرة الحمّام يصرف على أعمال الخير كجامع «خربت» ويعطى من متحصل الحمام كل رجل من اهل الدين والصلاح ستة قروش[٧٩]. وجعل آخرون اوقافهم للذكور والإناث من ذريتهم. ومنهم من يوصي بأن يصبح وقفه بعد انقطاع ذريته (وهذا

---

(٧٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م١٨، قضية ١٤، ص٩ - ١٠، ١٣ شوال ١١٠٠ هـ/١٦٨٨م. والشيخان هما: الشيخ الاكبر محيي الدين محمد بن أحمد بن عبدالله الطائي المعروف بابن عربي (ت:٦٣٨ هـ/١٢٤٠م)، وابنه الشيخ ابي عبدالله محمد بن محمد بن عربي. انظر: محمود نور الدين بن محمد بن محمد العدوي (ت ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢م)، كتاب الزيارات، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، ١٩٥٦، ص٣٠ - ٣٤. سيشار لهذا المصدر: العدوي، الزيارات.

(٧٧) القيراط: جزء من اربعة وعشرين. انظر: هنتس. المكاييل والأوزان الاسلامية، ص٩٨.

(٧٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٧، قضية ٢٥٠، ص١٣٢ - ١٣٣، ٦ ربيع الثاني ١٠٥٨ هـ/١٦٤٨م.

(٧٩) القضية نفسها.

نادر الحدوث)، وقفاً على وجوه الخير، وعلى الحرمين الشريفين، وعلى الجامع الأموي، أو أن يتصدق به على الفقراء والمساكين، وأصحاب هذا النوع من الأوقاف كانوا من الأثرياء وذوي الأملاك الواسعة، وكان بينهم عدد غير قليل من العسكر. وقد اعتبر العسكر هذا النوع من الوقف «صدقة». فعلى سبيل المثال: «تصدق فخر الأقران المعتبرين حسن بن الامير الشهير بابن يعقوب السباهي بدمشق ومن أرباب التيمار واشهد اشهاداً شرعياً بأن جميع الدار الكاينة ظاهر دمشق خارج باب الجابية بمحلة القبيبات.. وتشتمل على قباب معقودة باللبن والطين ومساكن ومنافع وطرق وحقوق شرعية وجعلها وقفاً وحبساً صريحاً مرعياً، ووقفه منجز على اولاده ارباعاً لكل منهم ثم من بعدهم على اولادهم وأنساله وأعقابه وذريته على انه مات منهم أجمعين عن ولد أو ولد ولد أو عقب عاد نصيبه من ذلك الى ولده... ومن مات منهم أجمعين عن غير ولد ولا اسفل منه ولا نسل ولا عقب عاد نصيبه من ذلك الى الأقرب فالأقرب الى المتوفي... الى ان يرث الله الأرض ومن عليها... واذا انقرضوا وابادهم الموت عن آخرهم تعتبر وقفاً شرعياً للحرمين الشريفين مكة والمدينة، واذا تعذر الصرف صرف ذلك صدقة للفقراء والمساكين بدمشق..»[٨٠]، أما حسن آغا ابن احمد فقد «وقف وحبس وسبل وأبّد... بنيّة صادقة صالحة وعزيمة صادقة... ما هو منخرط في حقه ومنتظمة في ملكه وذلك جميع القاسارية.. بحلب وتشتمل على أربعة عشر مسكناً وقاعة كبيرة وجميع البستان المشتمل على اشجار مختلفة الكائن بأرض الديناري بالقرب من الميدان، ومعصرة ودكان الكائن بداخل باب النصر وجميع قطع الأراضي الأربعة... وجميع قطعة الأرض ظاهر حلب، وجميع البناء في أرض الطاحونة وجميع الدكان بمحلة أقيول، وجميع الكرم

(٨٠) سجلات محاكم دشمق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٤، م١، قضية ٥٢، ص٢٢ - ٢٣، ٨ذي الحجة ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م.

الكاين بأرض مسكنه من قضاء كلس وجميع الكرم الكاين بأرض كوكجة، المشتمل على الف وثلثمائة شجرة من العنب... وجميع القسمة من الدكاكين المتلاصقين بالصف الشرقي خارج باب النصر، وجميع النصف من بيت القهوة الكاين بمحلة شريقتلي بحلب المشتمل على قصبة القهوة... وقفا صحيحاً فابتدؤه على نفسه مدة حياته ثم من بعده على اولاده وانساله وأعقابه الذكور والإناث»[٨١].

كان يدير الأوقاف (خيرية كانت ام ذرية) متولون، كانت مهمتهم تنحصر في تنمية أموال تلك الأوقاف واصلاح ما يتلف منها. وكان يحق لمتولي الوقف ان يؤجر الوقف أو يبيعه في بعض الأحيان. وكان ناظر الوقف يتم تعيينه من قبل القاضي، وقد وجدنا ان في بعض حالات الوقف الخيري كان يتوجب على متوليه الحصول على براءة سلطانية أو براءة من قبل الصدر الأعظم أو من قبل الولاة. وكان العسكر يتنافسون فيما بينهم من أجل الحصول على مناصب ولاية الأوقاف. فعلى سبيل المثال ادّعى محمد بيك بن بشه السباهي على محمود بن مراد الكردي وقرر في دعواه: «بأن وظيفة التولية على اوقاف مدرسة البدرئية باطن دمشق المحمية وجهت له بموجب البراءة الشريفة السلطانية المؤرخة في اوائل شهر رجب سنةماية والف....»[٨٢]، ولكن المدعى عليه عارضه في أمر التولية عندما سئل أمام القاضي اجاب: بأن عنده امرا شريفاً سلطانياً مضمونة انه لا ينعزل عن التولية المزبورة....»[٨٣]. وتولى شوربزة حسن وقف البيمارستان النوري بموجب براءة من الصدر الأعظم مراد باشا (ت ١٠٢٠ هـ /١٦١١ م) ثم تولى وقف البيمارستان القيمري والجامع الأموي بأمر من قاضي دمشق[٨٤]

(٨١) سجلات محاكم حلب الشرعية، م٢٣، قضية ١، ص٣٥ - ٣٨، ١ محرم ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(٨٢) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م٨، قضية ٤٦٤، ص٢٨٩، ١٣ جمادي الآخرة ١١٠١ هـ / ١٦٨٩ م.

(٨٣) القضية نفسها

(٨٤) نجم الدين الغزي، لطف السحر، ورقة ٢٧ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص٢٥.

وقد نشط العسكر في تنمية اموال الأوقاف، وذلك عن طريق تأجير بعضها او اجزاء منها، وملاحقة الذين في ذمتهم اموال متخلفة للأوقاف. فقد أجّر علي صوباشي بن عبد الله، متولي وقف طرباي، جميع المزرعة الوقف وأراضيها، المعروفة بمزرعة عزيزة من عمل بارين، وتشتمل على مغل شتوية، لمدة سنة بإجرة مائتي سلطاني[٨٥]. كما أجر احمد صوباشي بن شمس وكيل ابراهيم بيك بن جعفر متولي وقف الجامع الأموي جميع المخازن السفلية والعلوية، والمحل المعد لطبخ القهوة وبيعها، وجميعها في مدينة دمشق، لمدة ثلاث سنوات باجرة قدرها ستة آلاف واربعمائة وثمانين قطعة فضية[٨٦]، كما أجّر ارسلان جاويش ابن قاسم، متولي وقف محمد بن عبد السلام، الحصة الوقف وقدرها ستة أفدنة من قرية تل شعيب، مدة ثلاث سنوات مقابل اجرة قدرها ثلاث مكاكيك من الحنطة عن جميع المدة[٨٧]. وكان العسكر يقبلون على شراء الأوقاف واستئجارها خاصة الذرية منها. فقد اشترى الشهابي احمد بن الشمسي محمد من حسام الدين بن ابراهيم احد اشراف دمشق «ما هو جار في الوقف عليه وعلى من يشركه مدة حياتهم ثم من بعدهم على أولاد اولادهم ثم على ذريتهم وأنسالهم وأعقابهم... وذلك جميع الحوانيت الأربعة المتلاصقات الكاينة باطن دمشق داخل باب الجابية بمحلة السوق العتيق بثمن قدره ثلاثين سلطانياً»[٨٨]. اما محمد بلوكباشي بن محمد احد بلوكباشية دمشق فقد استأجر من حبيب بن الشيخ احمد متولى وقف شمس الدين، جميع الغراس المثمرة وغير المثمرة الموجودة في ارض البستان المعروف بزور الخمسة، ويسقى من ماء النواعير الخمسة[٨٩]. وأستاجر ايضاً احمد آغا بن سليمان جاويش من يحيي جاويش بن محمد

---

(٨٥) سجلات محاكم حماة الشرعية، م٢، قضية ٣، ص١٢٦، سلخ ربيع الآخر ٩٥٢ هـ/١٥٤٥ م.

(٨٦) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م١، قضية ٣٥٥، ص١٧٩ - ١٨٠، ٢ ذي القعدة ٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.

(٨٧) سجلات محاكم حلب الشرعية، م١٨، قضية ١، ص١٣٤. ١٥ شوال ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م.

(٨٨) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م١، قضية ٤٥٣، ص٢٣٢ - ٢٣٣، ٩ محرم ٩٩٣ هـ/١٥٨٥ م.

(٨٩) سجلات محاكم حماة الشرعية، م٣٧، قضية ١، ص٢، اواخر ذي الحجة ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م.

«وهو جار في الوقف... وذلك جميع القرية وأراضيها المعروفة بعرطوز تابع وادي العجم من اعمال دمشق المشتملة على اراضي سقي وبعل ومساحتها أربعة وعشرون فداناً رومانياً...»(٩٠). وهذه الأرض تشتمل على ثمانمائة غرسة زيتون، وتسقى من ماء قناة قطنا كل يوم جمعة، وليلة في كل اسبوع، وتسقى من نهر الأعوج يوم السبت وليلة في كل اسبوع، وكانت مدة الاستئجار خمس سنوات وبأجرة قدرها ستمائة قرش اسدي(٩١). ومن ناحية اخرى يبدو ان العسكر كانوا اكثر قدرة من غيرهم على ادارة اموال الأوقاف وتنميتها. ويظهر ذلك بوضوح عندما تولى شوربزة حسن وقف البيمارستان النوري، بناء على طلب من الصدر الأعظم مراد باشا، بعد ان شارف ذلك الوقف على الاضمحلال. وأخذ شوربزة حسن يتفنن في استخدام مختلف الأساليب لتنمية اموال وقف البيمارستان النوري، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً(٩٢). ولفت بحسن تصرفه قاضي قضاة دمشق كوجك مصطفى(٩٣)، الذي كان يعتبر من الد اعداء العسكر، فاستدعاه وطلب منه ان يتولى امر وقف البيمارستان القيمري. ولم يتوله شوربزة حسن الاّ بعد ان وافقه القاضي على عدم تدخل رئيس البيمارستان في شؤون الوقف، لأنه كما قال: بـ «تجاوزه وتجاوز أمثاله خرب الوقف»(٩٤). ثم تولى وقف الجامع الأموي بعد ان اصبح هذا الوقف خير مثال يتندر به أهل دمشق على خراب وضياع اموال الأوقاف، ومما قيل فيه:(٩٥)

(٩٠) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥، ق ١، قضية ١١٣، ص ٨٠ - ٨٢، ١٨ جمادي الاولى ١٠٤٧ هـ/ ١٦٣٧ م. والفدان الرومي: هو مقدار ما يستطيع الزوج من الثيران حرثة من ارض في يوم وليلة. انظر:
قانون نامة ولاية الشام، ص ١.

(٩١) سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية)، م ٥ ق ١، قضية ١١٣، ص ٨٠ - ٨٢، ١٨ جمادي الاولى ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م.

(٩٢) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٢٧ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٥.

(٩٣) سبقت ترجمته، هامش رقم ٧١، ص ٢٠٠ من هذه الدراسة.

(٩٤) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٢٧ ب، المحبي خلاصة الأثر، جـ٢، ص ١٥.

(٩٥) المحبي، خلاصة الأثر، جـ١ ص ٤١٠.

يقول على ما قيل جامع جلّق ألم يك قاضي الشام عني مسؤولا
يسلّم للاعاجم وقفي لاكله ويروي لهم عن كتاب ابن ماكولا[96]
ابعد الفتى السبكي[97] اعطي لسيبك وبعد الامام الزنكلوني[98] لزنكلولا
اقاموه لي قرداً بشباك مشهد وضمّوا له دباً على الرقص مجبولا
يؤمّل كل آمل وقفي بأسره فلا بلغ الله الأعاجم مأمولا

وصرف شوربزة حسن كل جهده في ضبط الوقف واصلاحه وتنميته[99]. وقد اوكل لشوربزة حسن تعمير سوق الذراع الذي جعل وقفاً على الحرمين[100]. وقام بترميم حمّام البزورية، وقف دار الحديث النورية، وصرف في سبيل تعميره وتحسينه من ماله الخاص، واستوفاه بعد ذلك من اجوره[101]. كما تولى قاسم آغا بن عبد المنان (ت ١٠٥٧ هـ /١٦٤٧ م) وقف السنانية في دمشق، وأبدى قدرته في تعميره وتنميته[102]. وتولى هذا الوقف من بعده ابنه مصطفى[103]. ومن العسكر الآخرين الذين تولوا الأوقاف الخيرية: برويز بك بن عبدالله.

(٩٦) هو الحسين بن علي بن جعفر بن غلكان، كان فقيهاً، عالما بالرجال، ولي قضاء البصرة، ثم ولاه القادر بالله قضاء القضاة سنة ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م، وبقي في هذا المنصب سبعاً وعشرين سنة. وكانت وفاته سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م. انظر:
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، يبدأ بالقسم الثاني من الجزء الخامس وينتهي بالجزء العاشر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٣٥٧ هـ - ١٣٥٨ هـ، جـ ٨، ص ١٦٧. سيشار لهذا المصدر: ابن الجوزي، المنتظم.

(٩٧) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، فقيه، اصولي، مؤرخ واديب، ولد في القاهرة وقدم الى دمشق سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م، وولي بها القضاء وخطابة الجامع الأموي، ودرّس في غالب مدارسها، من اهم تصانيفه طبقات الشافعية الصغرى والوسطى والكبرى. وتوفي سنة ٧٧١ هـ/١٣٦٩ م. انظر:
شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م،) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ط ٢، ٥ ج، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٦، جـ٣، ص ٣٩ - ٤٢. سيشار لهذا المصدر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة.

(٩٨) هو ابو بكر ابن اسماعيل السنكلوني الفقيه الشافعي من تلاميذ الشيخ تقي الدين السبكي، وله عدة مصنفات في القصة وكانت وفاته سنة ٧٤٠ هـ/١٣٣٩ م.

(٩٩) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٥.

(١٠٠) المصدر ذاته، ص ٢٥.

(١٠١) نجم الدين الغزى، لطف السحر، ورقة ٢٧ ب، المحبي، خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٢٥.

(١٠٢) المحبي، خلاصة الأثر، جـ٣، ص ٢٩٢.

(١٠٣) المصدر ذاته، جـ٤، ص ٣٨٥.

متولي وقف العمارة السلمية في دمشق[١٠٤]، وحسن آغا ابن محمد متولي وقف الحرمين الشريفين في قرية كوكدرة[١٠٥]، ومحمد جلبي ابن ابراهيم كتخذا متولي وقف المال على مصالح محلة باحيتا في حلب[١٠٦]، ثم أحمد آغا بن عبدالله متولي وقف السلطان سليمان في دمشق[١٠٧].

---

(١٠٤) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١، قضية ١١٣، ص ٦٤، ذي القعدة ٩٩١ هـ/١٥٨٣ م.

(١٠٥) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢٠، قضية ١، ص ٣٧٣، ٢١ جمادي الاولى ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م.

(١٠٦) سجلات محاكم حلب الشرعية، م ٢٣، قضية ٢٠، ص ١٢، ١٩ صفر ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.

(١٠٧) سجلات محاكم دمشق الشرعية، م ١٧، قضية ٢٦٥، ص ١٣٦ - ١٣٧، ١٠ جمادي الاولى ١١٠١ هـ/١٦٨٩ م.

المصادر والمراجع

ملاحظة:

تم ترتيب مصادر هذه الدراسة وفق الأسس التالية:

أولا: المصادر الأولية وتشمل:

أ - المخطوطات باللغة العربية.
ب - سجلات المحاكم الشرعية.
جـ - محفوظات رئاسة الوزراء التركية في اسطنبول.
د - المصادر المطبوعة:
١ - المصادر المطبوعة باللغة العربية.
٢ - المصادر المطبوعة باللغة الانجليزية.

ثانيا: المراجع والدراسات الحديثة:

أ - المراجع والدراسات الحديثة باللغة العربية.
ب - المراجع والدراسات الحديثة باللغات الأجنبية.

ثالثاً: المعاجم وكتب الفهارس.

رابعاً: المراجع التي اطلعت عليها وأفدت منها ولم أشر لها في الهوامش.

أولا: المصادر الأولية:

أ - المخطوطات باللغة العربية.

١ - الأدكاوي، عبدالله بن عبد الله (١١٨٤ هـ /١٧٧٠ م)

حسن الدعوة للاجابة الى القهوة

من ضمن مجموعة المخطوطات العربية في جامعة Yale، مجموعة Landberg'NO,55 وتوجد صورة عن هذا المخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم ٦.

٢ - ابن أيوب الأنصاري، شرف الدين بن موسى بن جمال (ت ح ١٠٠٠ هـ /١٥٩٢ م)

نزهة الخاطر وبهجة الناظر

الظاهرية، رقم ٧٨١٤ يبدأ بورقة ٣٣٢ وينتهي بورقة ٣٨٠.

٣ - الصديقي البكري، محمد بن ابي السرور (ت١٠٠٧ هـ/١٥٩٨ م)

فيض المنان بذكر دولة آل عثمان

مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، مكتبة الجلاوي، رقم ٨٤٨، وتوجد صورة عن هذا المخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، شريط رقم ٦٦٣.

٤ - ابن غانم الأندلسي، ابراهيم بن أحمد بن زكريا بن غانم (من اهل القرن الحادي عشر الهجري)

العز والرفعة والمنافع للمجاهد في سبيل الله بالمدافع

ترجمه عن الاسبانية احمد بن قاسم بن احمد بن قاسم الحجوي الأندلسي، مخطوط، الرباط، الخزانة العامة، مكتبة الجلاوي، رقم٨٧، وتوجد صورة عن هذا المخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم٦٦٣.

٥ - الغزي (بدر الدين)، محمد بن محمد (ت٩٤٨ هـ / ١٥٧٧م)
المطالع البدرية في المنازل الرومية
مخطوط في مكتبة Koprulu رقم ١٣٩٠. (النسخة ملك الدكتور محمد عدنان البخيت).

٦ - الغزي (نجم الدين)، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٦١ هـ/١٦٥٠ م).
لطف السحر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر
مكتبة الظاهرية، رقم ٤١ (١٦٨ - ٢١٧). (النسخة ملك الدكتور محمد عدنان البخيت).

٧ - النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل (ت ١١٤٣ه/١٧٣١م)
الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز
مكتبة آسعد افندي رقم ٢٣٧٦، ويوجد عنه صورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم ٥٧٣.

٨ - أبو الوفاء العرضي، عمر بن عبد الوهاب بن ابراهيم (ت ١٠٧١ هـ/١٦٦١ م)
معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب
مخطوط في BM رقم or. 368 Sch 5502 توجد صورة عن هذا المخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، شريط رقم ٦٥١.

ب - سجلات المحاكم الشرعية.

٩ - سجلات محاكم حلب الشرعية:

م ١ : ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م.

م ٢ : ٩٦٤ هـ/١٥٥٦ م، ١٠٠٢ هـ/١٥٩٣ م - ١٠٦٦ هـ/١٦٥٤ م.
م ٣ : ٩٥٢ هـ/١٥٤٥ م، ١٠٦٥ هـ/١٦٥٤ م.
م ٤ :١٠١٧ هـ/١٦٠٨ م، ١٠٦٥ هـ/١٦٥٤ م.
م ٥ :٩٦٢ هـ/١٥٥٤ م.
م ١٣ :٩٧١ هـ/١٥٦٣ م.
م ١٦ :١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م، ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م.
م ١٨ :١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م - ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م.
م ٢٠ :١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م - ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م - ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م.
م ٢١ :٩٧٨ هـ/١٥٧٠ م، ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م ، ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.
م ٢٣ : ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.
م ٣٢ : ١٠٧٣ هـ/١٦٦٢ م - ١٠٧٤ هـ/١٦٦٣ م.
م ٣٦ : ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦ م - ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م.

١٠ - سجلات محاكم حماة الشرعية

م ٢ : ٩٥٢ هـ/١٥٤٥ م.
م ٣ : ٩٥٣ هـ/١٥٤٦ م.
م ٦ : ١٠٠١ هـ/١٥٩٢ م.
م ١٨ : ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣ م.
م ٢١ : ٩٨٥ هـ/١٥٧٧ م - ٩٨٧ هـ/١٥٧٩ م.
م ٣٧ : ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م.
م ٤٠ : ١٠٩١ هـ/١٦٣١ م.

١١ - سجلات محاكم دمشق الشرعية (القسمة العسكرية):

م ١ : ٩٩١ هـ/١٥٨٣ م - ٩٩٣ هـ/١٥٨٥ م.

م ٢ :٩٩٢ هـ/١٥٨٤ م.
م ٣ :١٠٤٠ هـ/١٦٣٠ م.
م ٤ ق ١ : ١٠١٦ هـ/١٦٠٧ م، ١٠٣٥ هـ/١٦٢٥ م - ١٠٤٦ هـ/١٦٣٦ م.
م ٤ ق ٢ : ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨ م.
م ٥ ق ١ : ١٠٤٧ هـ/١٦٣٧ م.
م ٥ ق ٢ : ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م.
م ٦ ق ٢ : ١٠٥٣ هـ/١٦٤٣ م.
م ٧ : ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧ م - ١٠٥٨ هـ/١٦٤٨ م.
م ٨ : ١٠٦٠ هـ/١٦٥٠ م - ١٠٦١ هـ/١٦٥١ م.
م ١١ : ١٠٩٢ هـ/١٦٨١ م - ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م.
م ١٥ : ١٠٩٩ هـ/١٦٨٧ م.
م ١٦ ق ٢ : ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م.
م ١٧ : ١١٠١ هـ/١٦٨٩ م.
م ١٨ : ١١٠٠ هـ/١٦٨٨.

١٢ - دفاتر القسمة العسكرية:

م ٩ : ١٠٦٣ هـ/١٦٥٢ م.
م ١٥ : ١٠٩٩ هـ/١٦٨٧ م - ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م.

١٣ - سجلات محاكم القدس الشرعية:

م ١ : ٩٣٧ هـ/١٥٣٠ م.
م ١٣ : ٩٤٧ هـ/١٥٤٠ م..

جـ - محفوظات رئاسة الوزراء التركيه اسطنبول، وتوجد نسخ مصورة عن هذه الدفاتر في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

١٤ - بيان دفتر الشعير المعبوك المخزون في قلاع طريق الحاج الشريف ذهاباً واياباً سنة ١١٥٥ هـ
متحف طوب قبو رقم ٢٠٢٥ E
١٥ - دفتر مالية، مدورة
رقم ٣٧٢٣ للسنوات ٩٦١ هـ - ١٥٥٣/٩٧٤ م - ١٥٦٦ م.
١٦ - دفتر مفصل لواء الشام
رقم ٢٦٣، لسنة ٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م Basbakanlik Arsivi Istanbul موجود عنه نسخة على الميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت نفس الرقم.
١٧ - قانون نامة ولاية الشام
دفتر طابو رقم ٢٦٣، لسنة ٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م (نسخة مترجمة اطلعني عليها الدكتور محمد عدنان البخيت).

د. المصادر المطبوعة

أ - المصادر المطبوعة باللغة العربية:

١٨ - ابن اياس، أبو البركات محمد بن احمد الحنفي (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م.)
بدائع الزهور في وقائع الدهور
الأجزاء٢ - ٥، تحقيق محمد مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، المنشوزات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٤.
١٩ - البوريني، الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤ هـ/١٦١٥ م.)
تراجم الأعيان من أبناء الزمان
٢ ج، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي

العربي بدمشق، ١٩٥٩ - ١٩٦٣ م. لم يكتمل بعد تحقيق هذا الكتاب وطبعه.

٢٠ - ابن جمعة، محمد المقار (ت ١١٥٦ هـ/١٧٤٣ م.)
الباشات والقضاة
نشرة صلاح الدين المنجد، في كتاب **ولاة دمشق في العهد العثماني**، منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، ١٩٤٩ م.

٢١ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١م)
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
الأجزاء المتوفرة من الجزء الخامس حتى الجزء العاشر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٣٥٧ هـ - ١٣٥٩هـ .

٢٢ - ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
٥ ج، تحقيق محمد سيد جاد الحق.، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦ - ١٩٦٧.

٢٣ - الحميري، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت ح ٩٠٠ هـ/١٤٩٥ م).
الروض المعطار في خبر الأقطار
تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.

٢٤ - ابن الحنبلي، رضي الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف (ت ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م)
در الحبب في تاريخ أعيان حلب
٢ ج، في أربعة اقسام، تحقيق محمد الفاخوري ويحي زكريا عبادة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ١٩٧٢ - ١٩٧٣ م.

٢٥ - **الخالدي الصفدي**، الشيخ احمد بن محمد (ت ١٠٣٤ هـ/١٦٢٤ م)

تاريخ الأمير فخر الدين المعني

نشرة أسد رستم وفؤاد افرام البستاني تحت اسم «لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني»، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٩.

٢٦ – الخطيب البغدادي، ابو بكر بن علي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م)

تاريخ بغداد

١٤ ج، دار الكتب العربي، بيروت، د. ت.

٢٧ – الخفاجي، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٨ م)

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا

٢ ج، تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٦٧ م.

٢٨ – الخياري المدني، ابراهيم بن عبد الرحمن (ت ١٠٨٣ هـ/١٦٧٢ م)

تحفة الأدباء وسلوة الغرباء

٣ ج، تحقيق رجا محمود السامرائي، بغداد ١٩٦٩ – ١٩٨٠ م..

٢٩ – الدويهي، البطريرك اسطفان (١١١٦ هـ /١٧٠٤ م)

تاريخ الأزمنة

نشره فردناند توتل، ضمن منشورات المشرق، بيروت، ١٩٥١ م،

٣٠ – ابن زنبل (الزمال)، أحمد بن علي ابن زنبل (ت ٩٨٠ هـ /١٥٧٣ م)

تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر

القاهرة، ١٢٧٨ هـ .

٣١ – شيخو، لويس.

وثائق تاريخية عن حلب

٣ ج، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨.

٣٢ - ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣ هـ /١٥٤٦ م)
أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى
تحقيق عبد العظيم حامد خطاب، مطبعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٣ م.

٣٣ - ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣ هـ /١٥٤٦ م)
قطعة من تاريخ ابن طولون، نشره Richard Hartman تحت عنوان: «Des Tubingen Frayment der Chronik des Ibn Tuleun»
Schriften der Konigsberger Grsellschaft
3 Jahr Heft 2 Berlin (1926) PP. 118 - 70.

٣٤ - ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن محمد (ت ٩٥٣ هـ /١٥٤٦ م)
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان
٢ ج، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٢ م.

٣٥ - ابن عبد الغني، أحمد شلبي المصري (ت ١١٥٠ هـ /١٧٣٧ م)
أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، الملقب بالتاريخ العيني
تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٨ م.

٣٦ - ابن عبد الهادي، يوسف الدمشقي (ت ٩٠٩ هـ /١٥٠٣ م)
نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق
نشره حبيب الزيات، المشرق، عدد ٣٧، ١٩٣٨، ص. ١٨ - ٢٨.

٣٧ - العثماني، صدر الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٨٠ هـ /١٣٧٨ م)

تاريخ صفد

نشره Bernard Lewis تحت عنوان «An Arabic Account of the Province of Safad» , BSOAS, vol. XV. 1953. PP. 477 – 88.

٣٨ – العدوي، محمود نور الدين بن محمد بن محمد (ت ١٠٣٢ هـ /١٦٢٢ م)

كتاب الزيارات

تحقيق صلاح الدين المنجد؛ المجمع العلمي العربي، بدمشق، دمشق، ١٩٥٦ م.

٣٩ – العطيفي، رمضان بن موسى (ت ١٠٩٥ هـ /١٦٨٣ م)

رحلة العطيفي

تحقيق اسطفان فيلد، نشر في مجلة الأبحاث، الجامعة الامريكية ببيروت، بيروت، م٢٣، ١٩٧٠، ص ٢١٣ – ٢٢٢، وأعيد نشر الرحلة تحت اسم «رحلة من دمشق الشام الى طرابلس الشام»، تحقيق اسطفان فيلد، ضمن كتاب «رحلتان الى لبنان»، بيروت، ١٩٧٩ م.

٤٠ – الغزي (نجم الدين)، محمد بن محمد (ت ١٠٦١ هـ/١٦٥٠ م)

الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة

٣ ج، تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٤٥ – ١٩٥٨ م، ١٩٧٩ – دار الآفاق الجديدة – بيروت.

٤١ – القاري، رسلان بن يحي (من اهل القرن الثالث عشر الهجري)

الوزراء الذين حكموا دمشق

نشره صلاح الدين المنجد ضمن كتاب ولاة دمشق في العهد العثماني، المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، ١٩٤٩ م.

٤٢ – القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م)

صبح الأعشى في صناعة الانشا
١٤ ج، نسخة مصورة عن نسخة المطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ م.

٤٣ - ابن كبريت المدني، محمد بن عبدالله بن محمد الحسيني (ت ١٠٧٠ هـ/١٦٦٠ م)
رحلة الشتاء والصيف
ط ٢، مطابع المكتب الاسلامي، بيروت، ١٣٨٥ هـ

٤٤ - مجهول
«تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسوأ ونشر الاعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء»
نشره Claude Cahen في: Bulletin D'études Orientales, Institute Francais De Damas, Tome xll, 1947 - 48, PP. 103 - 149.

٤٥ - المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١ هـ/١٦٩٩ م)
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر
٤ ج، المطبعة الذهبية، القاهرة، ١٨٦٩ م، أعادت تصويره بالاوفست مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٦ م.

٤٦ - المحبي، محمد أمين (ت ١١١١ هـ /١٦٩٩ م)
نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة
٦ ج، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٩ - ١٩٧١ م.

٤٧ - المرادي، محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦ هـ/١٧٩١ م)
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر
٤ ج، طبعة بولاق، ١٢٩١ هـ - ١٣٠١ هـ، أعادت مكتبة المثنى طبعه بالاوفست، بغداد، د. ت.

٤٨ - مرتضى افندي، نظمي زاده.
كلشن خلفا
نقله الى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١ م.

٤٩ - مصطفى، لالا.
كتاب وقف الوزير لالا مصطفى
تحقيق خليل مردم بك، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥ م.

٥٠ - ابن معصوم، علي صدر الدين بن أحمد (ت ١١١٩ هـ /١٧٠٧ م).
سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر
المكتبة المرتضوية، باسازمهتاس، ١٣٢٤ هـ.

٥١ - المقري، احمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٤١ هـ /١٦٣١ م).
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
٨ ج، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٦٨.

٥٢ - المقريزي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م).
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
٢ ج، في ٦ ق، حققها محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦ - ١٩٥٨ م، الجزآن الثالث والرابع في ٥ ق، حققها سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م.

٥٣ - النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل (ت ١١٤٣ هـ/١٧٣١ م).
التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية
تحقيق هريبرت بوسه، بيروت، ١٩٧١ م.

٥٤ - النابلسي، عبد الغني اسماعيل (ت ١١٤٣ هـ/١٧٣١ م).
حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز
تحقيق صلاح الدين المنجد، نشر في كتاب رحلتان الى

لبنان،بيروت، ١٩٧٩ م.
٥٥ – النهروالي، قطب الدين محمد بن احمد (ت ٩٩٠ هـ/١٨٥٢ م).
البرق اليماني في الفتح العثماني
تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٧ م.
٥٦ – ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م).
المشترك وضعا والمفترق صقعا
نشره وستنفيلد، جوتنجن، ١٨٤٦ م، أعادت تصويره بالاوفست مكتبة المثنى – بغداد، ومكتبة الخانجي – القاهرة، د. ت.
٥٧ – ياقوت الحموي، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م).
معجم البلدان
٦ ج، نشره وستنفيلد، ليبزج، ١٨٦٦ – ١٨٧٠ م، اعادت تصويره بالاوفست مكتبة المثنى – بغداد، ومكتبة الأسدي – طهران، ١٩٦٥.
٥٨ – ابن يحي، صالح (ت ٨٤٠ هـ /١٤٣٦ م).
تاريخ بيروت
تحقيق فرنسيس هورسي اليسوعي وكمال الصليبي، دار الشرق بيروت، ١٩٦٩ م.

ب – المصادر المطبوعة باللغة الانجليزية:

٥٩ – Maunerell, Henry,
A Journey from Aleppo to jerusalem,
Early travels in Palestine, edited by Thomas Wright,
London, 1969,
٦٠ – Naima,

Annals of the Turkish Empire from 1591 to 1659 of
Christian Era,
Ivol., translated from the Turkish by Charles Faser,
London 1832, Reprint, New York, 1973.

٦١ – Sandys, George,
A Relation of a journey an Dom,
the 5th edition, London, 1652.

٦٢ – Thevenot, Monsieur de Thevenot,
Travels into the levant,
Translated by Lovell, Republished in 1971.

٦٣ – Tshelebi, Evllya,
Travels in Palestine (1648 - 1650),
Ariel publishing House, Jerusalem,, 1980,

ثانياً: المراجع والدراسات الحديثة.

أ المراجع والدراسات الحديثة باللغة العربية:

٦٤ – الامام، رشاد،
مدينة القدس في العصر الوسيط (١٢٥٣ - ١٥١٦)
الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦ م.

٦٥ – البخيت، محمد عدنان.
«احـــــداث طرابلس الشام ١٠١٥هـ - ١٠١٦هـ - ١٦٠٦/١٦٠٧م». مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد الاول، المجلد الاول، عمان، ١٩٧٨م، ص ١٧١ - ٢٠٦.

٦٦ - البخيت، محمد عدنان،
«الاسرة الحــارثيــة في مرج بني عــامر ٨٨٦ هـ/١٤٨٠ - ١٠٨٨ هـ/١٦٧٧ م».
دراسة مقدمة الى سمينار العرب الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٧ م.

٦٧ - البخيت، محمد عدنان،
مملكة الكرك في العهد المملوكي
مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، ١٩٧٦ م

٦٨ - البخيت، محمد عدنان،
«من تاريخ حيفا العثمانية، دراسة في احوال عمران الساحل الشامي».
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الثاني، المجلد الاول، عمان، ١٩٧٨ م، ص ١١٢ - ١٣٧.

٦٩ - البخيت، محمد عدنان،
«جوانب من تاريخ بيروت في العهدين المملوكي والعثماني».
دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس بمناسبة بلوغه الستين،
تحرير وداد القاضي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٨١، ص ٥٩ - ٧٩.

٧٠ - بدران، عبد القادر.
منادمة الاطلال ومسامرة الخيال
المكتب الاسلامي، دمشق، ١٣٧٩ هـ/١٩٥٦ م.

٧١ - برغوث، عبد الودود يوسف،
«تاريخ حماة الاجتماعي والاقتصادي والاداري».
الحوليات الأثرية العربية السورية،

م ١٦ ، دمشق، ١٩٦٦ م، ص ٥٧ - ٨٤. وهي جزء من رسالة الماجيستير التي قدمها المؤلف لجامعة عين شمس، ١٩٧٠.

٧٢ - برغوث، عبد الودود يوسف،
«صناعة البارود في حماة في القرن السادس عشر».
مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية،
م ١٨ ، دمشق، ١٩٦٨ ، ص ٦٧ - ٨٢.

٧٣ - جب، هاملتون وبون، هارولد،
المجتمع الاسلامي والغرب
٢ ج، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١ م.

٧٤ - الدبس، يوسف،
تاريخ سورية
٨ م، المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٩٣ - ١٩٠٥ م.

٧٥ - دحلان، احمد بن زيني،
الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية
٢ ج، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٨ م.

٧٦ - دوبويسون، الكونت دومنيل،
«استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة»
المشرق م ٢٠ ، بيروت، ١٩٢٢ م، ص ٧٥١ - ٧٦٦.

٧٧ - رافق، عبد الكريم،
بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت
ط ٢ ، دمشق، ١٩٦٨ م.

٧٨ - رافق، عبد الكريم،
«ثورات العساكر في القاهرة في الربع الأخير من القرن السادس

عشر والعقد الاول من القرن السابع عشر ومغزاها »
ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة،
٣ ج، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧١، ص ٧٤٧ - ٧٧٥.
٧٩ - رافق، عبد الكريم،
العرب والعثمانيون، مطبعة الف باء، دمشق، ١٩٧٤م.
٨٠ - رافق، عبد الكريم،
« مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر »
دراسات تاريخية.
العدد الاول، جامعة دمشق، ١٩٨٠ م، ص ٦٦ - ٩٥.
٨١ - رستم، اسد،
قلعة طرابلس الشام موقعها وموادها الأساسية وتحصيناتها ومناعتها ونقوشها الكتابية واصل بنائها الحالي.
الجامعة الأمريكية ببيروت، بيروت، ١٩٤٦ م.
٨٢ - ريحاوي، عبد القادر،
مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية
دمشق، ١٩٦٩ م.
٨٣ - زكريا، احمد وصفي،
جولة اثرية فى بعض البلاد الشامية
المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٣٤ م.
٨٤ - زكريا، احمد وصفي،
الريف السوري
٢ ج، مطبعة دار البيان، دمشق، ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م.
٨٥ - زكي، عبد الرحمن،

قلعة صلاح الدين وقلاع أسلامية اخرى
مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٨٦ - الزيات، حبيب،
«معجم المراكب والسفن فى الاسلام»
المشرق مجلد ٤٣، بيروت، ١٩٤٩ م، ص ٣٢١ - ٣٦٤.

٨٧ - زيادة، نقولا،
ابعاد التاريخ اللبنانى الحديث
معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢.

٨٨ - الزين، علي،
للبحث عن تاريخنا في لبنان
بيروت، ١٩٧٣ م.

٨٩ - ساحلى أوغلو، خليل،
«تغير طرق التجارة في القرن السابع عشر والتنافس بين مينائي طرابلس والاسكندرونة».
مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثاني،
٢ ج، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٠ م، جـ ١، ص ١٣٩ - ١٥٥.

٩٠ - سرهنك، اسماعيل،
حقائق الأخبار عن دول البحار
٣ ج، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهره، ١٣١٢ هـ - ١٣١٦ هـ .

٩١ - الشدياق، الشيخ طنوس (ت ١٨٦١ م)،
أخبار الأعيان في جبل لبنان
٢ ج، تحقيق فؤاد افرام البستاني منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠

٩٢ - شطي، ضحى
«توسع وانحسار البدو في بلاد الشام»
المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام،
٢ م، جامعة دمشق، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٤٠٣ - ٤١٣.

٩٣ - شعث، شوقي ومحمود حريتاني،
قلعة حلب
المديرية العامة للاثار والمتاحف، دمشق، د. ت.

٩٤ - الشهابي، الامير حيدر أحمد (ت ١٨٣٥م)،
تاريخ الأمير حيدر الشهابي
وهو في ثلاثة اقسام:
الأول: الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان.
الثاني: نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان.
الثالث: الروض النضير في ولاية الأمير بشير الكبير.
نشره نعيم مغبغب، القاهرة، ١٩٠٠ - ١٩٠١م.

٩٥ - الصليبي، كمال سليمان،
منطلق تاريخ لبنان
بيروت، ١٩٧٩م.

٩٦ - الصواف، صبحي،
«الأبواب السرية فى حلب»
مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية،
م ١١ - ١٢، دمشق، ١٩٦١ - ١٩٦٢م، ص ١٠٧ - ١١٤

٩٧ - الطباخ، محمد راغب بن محمد بن هاشم،
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء
٧ ج، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٢٣ - ١٩٢٦م.

٩٨ - العابدي، محمود،

الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن
جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٣ م.

٩٩ - العارف، عارف،
المفصل في تاريخ القدس
جـ ١، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٦١ م.

١٠٠ - عبد القادر، حسن وآخرون،
أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين
منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، ١٩٧٣ م

١٠١ - الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى بالي،
نهر الذهب في تاريخ حلب
٣ ج، حلب، ١٩٢٢ - ١٩٢٦ م.

١٠٢ - غوانمة، يوسف درويش،
تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك
٢ ج، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٩ م.

١٠٣ - قرألي، الأب بولس،
فخر الدين المعني الثاني امير لبنان وعلاقته بفردناندو الاول وقزما الثاني اميري توسكانا.
مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٨ م.

١٠٤ - قرألي، الأب بولس،
فخر الدين المعني الثاني امير لبنان، ادارته وسياسته
مطبعة القديس بولس حريصا، ١٩٣٧ م.

١٠٥ - الكردي، حنان،
القلاع الأثرية في الأردن
عمان، د. ت.

١٠٦ -لامنس، الأب هنري لامنس اليسوعي،
«المعادن في لبنان»
المشرق، م ٨، بيروت، ١٩٠٥م، ص ٩٤٢ - ٩٤٨، ٩٩١ - ٩٩٨.

١٠٧ -لونغريك، ستيفن همسلي،
اربعة قرون من تاريخ العراق
ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الخامسة، بغداد، د. ت.

١٠٨ -المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس،
الأبنية الأثرية في القدس
ترجمة وتقديم اسحق موسى الحسيني، مطبعة دار الايتام الاسلامية، القدس، ١٩٧٧ م.

١٠٩ -مرهج، عفيف بطرس،
اعرف لبنان
٩ م، مطابع مؤسسة الأرز، بيروت، ١٩٧٠ م - ١٩٧٢.

١١٠ -المعلوف، عيسى اسكندر،
تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني
ط ٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦ م.

١١١ -المعلوف، عيسى اسكندر،
دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف
المطبعة العثمانية، بعبدا، ١٩٠٧ - ١٩٠٨ م.

١١٢ -النجار، ابراهيم بن خليل،
مصباح الساري ونزهة القاري
بيروت، ١٢٧٢ هـ/١٨٥٥ م.

١١٣ -النمر، احسان،

تاريخ جبل نابلس والبلقاء
٤ ج، الأجزاء: الأول والثالث والرابع طبعت بمطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس، ١٩٧٥، الجزء الثاني طبع بمطبعة النصر التجارية، ، نابلس، ١٩٦١ م.

١١٤ – نوار، عبد العزيز سليمان،
وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث (١٥١٧ – ١٩٢٠)
بيروت، ١٩٧٤ م.

١١٥ – هنتس، فالتر،
المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري
ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠ م.

ب – المراجع والدراسات الحديثة باللغات الأجنبية:

١١٦ – Ayalon, David,
Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom,
London, 1956,

١١٧ – Bakhit, Muhammad Adnan,
«Aleppo and the Ottoman Military in The 16th **century»,**
AL – ABHATH, vol. XXVII, A. U. B., Beirut, 1978, PP. 27 – 38.

١١٨ – Bakhit, Muhammad Adnan,
The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth century,
Thesis submitted for the Degree of Doctor of

philosophy, Sshool of Oriental and African Studies, University of London, February 1972, (unpublished)

Barbir, K. K., - ١١٩
Ottoman Rule in Damascus,
1708–1758, Princeton University Press,
Princeton ,1980.

Bowen, H., - ١٢٠
«Akce» E. I², pp. 317 – 318.

Bosworth, Edmund, - ١٢١
«Armies of the Prophet»,
The world of Islam,
London, 1967, PP, 201 – 281.

Cohen, Amnon, - ١٢٢
Palestine in 18th century,
Jerusalem, 1973.

Cohen, Amnon and Lewis, Bernard. - ١٢٣
Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century,
Princeton University Press, Princeton, 1980,

Glidden, - ١٢٤
«Al – AKaba»,
E. I², **vol. I, P. 315.**

Guilmartin JR, J. F., - ١٢٥
Gunpowder and Galleys,
Cambridge University Press, 1974,

Hachicho, Mohammed Ali, - ١٢٦
«English Travel Books about Arab Near East in the 18th century»,
Die Welt Des Islams the World of Islam le Monde De L'Islam, Vol: IX, Leiden, E.J. Brill, 1964, PP. 1- 206.

Heyd, U., - ١٢٧
«A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century»,
Israel Exploration Journal,
Vol. 6, No. 4, 1956, PP. 201-216.

Heyd, Uriel, - ١٢٨
Ottoman Documents on Palestine,
1552-1615, Oxford University Press, 1960.

Hill, George, - ١٢٩
A History of Cyprus,
Vol. I, IV, Cambridge University Press, 1949-1952
London,

Holt, , P. M, - ١٣٠
Egypt and the Fertile Crescent,
1516 - 1922, London, 1966.

Hourani, A. H, - ١٣١
«Historians of Lebanon»,
Historians of the Middle East, edited by B. Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, London, reprinted 1964, PP. 226 - 245.

Huart, el., «köprülü», - ١٣٢
E. I[1] ., **PP. 1059 - 1062.**

Huteroth, Wolf - Dieter and Abdulfattah, K., - ١٣٣
Historical Geography of Palestine Transjordan and Southern Syria in the Late 16th century,
Erlangen, 1977.

Inalcik, Halil, - ١٣٤
«The Heyday and Decline of the Ottoman Empire»,
The Cambridge History of Islam, **2 vol.,**
Cambridge University Press, 1970, vol. I, PP. 324 - 353

Inalcik, Halil, - ١٣٥
The Ottoman Empire the Classical Age 1300 - 1600,
Translated by Norman Itzkowitz and colin I.,
London, 1973.

Inalcik, Halil, - ١٣٦
«Socio - political Effects of the Diffusion of fire - arms in the Middle East," War technology and Society in the Middle East, edited by J. V. Parry and M. E. Yapp, London 1975, PP. 195 - 217.

Lane - poole, Stanley, - ١٣٧
Catalogue of Oriental Coins in the British, Museum,
10 vol, London, 1875 - 1883.

Lewis, Bernard, - ١٣٨
The Emergence of Modern Turkey,

Oxford University Press, London, reprinted, 1965.

Lewis, Bernard, - ١٣٩
«Ottoman Land Tenure and Taxation in Syria».
Stydia Islamica, vol., 50, Paris, 1979, pp. 109–124.

Lewis, Bernard, - ١٤٠
«Some Statistical Surveys of 16th century Palestine»,
Middle East Studies and Libraries, A Felicitation volume for Professor J. D. Pearson, edited by B. C. Bloomfield, Mansell, 1980, PP. 115 - 122.

Lewis, Bernard, - ١٤١
Studies in Classical and Ottoman Islam,
London, 1976.

Muller - wiener, - . ١٤٢
Castles of the Crusaders,
Translated by J. Maxwell, London, 1966.

Parry, V. J., - ١٤٣
«Barud»,
E. I^{2} , vol. I, PP. 1055 - 1069.

Parry, V. J., - ١٤٤
«Materials of War in the Ottoman Empire»,
Studies in the Economic History of the Middle East, edited by M. A. Cook, London, 1970, PP. 219 - 229.

Paterson, W. F., - ١٤٥
«The Archers of Islam»,

Journal of the Economic and Social History of the Orient,
vol. 9, part 1 - 2, Leiden, PP. 69 - 87.

Polk, Wiliam R., - ١٤٦
the Opening of South Lebanon 1788 - 1840,
Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1963.

Rafeq, abdul - Karim - ١٤٧
«The Local forces in Syria in the seventeenth and eighteenth centuries»,
War, Technology and Society in the Middle East, edited by, V. J. parry and M. E. Yapp, London, 1975, PP. 277 - 307.

Rafeq, Abdul - Karim, - ١٤٨
The Povince of Damascus 1723 - 1782,
Khayats, Bierut, 1966.

Rafeq, Abdul - Karim, - ١٤٩
«The Law - court Registers of Damascus, with Special Reference to Craft - Corporations During the first Half of eighteenth century»,
les Arabes Par Leurs Archives, editions Du centre National De la Recherche Scientifique, No. 555, Paris, 1974, PP. 141 - 159.

Redhouse, J. W., - ١٥٠
A Turkish and English Lexicon,

New York, 1974.

اعادت طبعه بالاوفست مكتبة لبنان، بيروت، د. ت.

Salibi, S. K., – ١٥١

«The Traditional Historiography of the Maronites»,

Historians of the Middle East, edited by B. Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, London, 1964, PP. 213 - 225.

Sauvaget, J., – ١٥٢

«Notes Sur les defenses de la Marine de Tripoli»,

Bulletin du Musée de Beyrouth, vol. II, Paris, 1938, PP. 1 – 25.

Shaw, J. Stanford, – ١٥٣

History of the Ottoman Empire and Modern Turkey,

2 vol, Cambridge University Press, London, reprinted, 1977.

Salibi Kamal, – ١٥٤

«The Sayfas and the Eyalet of Tripoli»

Arabica,

E. J. Brill, Leiden, 1973, vol. XX, PP. 25 – 52.

Salibi, K. S. – ١٥٥

«Harfush»,

E. I^2 ,vol., III, pp. 205 – 6.

Salibi, K. S., – ١٥٦

«Fakheradin»,

E. I^2 , vol., II, P. 750,

Sobernheim, - ١٥٧
«Corpus Inscriptionum Arabicarum»,
Institut Français de Caire,
Tom. XXV, 1909, PP. 103 - 140,

Tekindag, MC., - ١٥٨
«Duruz»,
E. I^2, vol., II, PP. 331 - 337.

Urqhart, D., - ١٥٩
The Lebanon,
2 vol., London, 1860, republished in 1972.

Volney, M.Ç.F., - ١٦٠
Travels through Syria and Egypt,
2 vol., London, republished in 1972.

Zygulski, Jr., - ١٦١
«Islamic Weapons in Polish collections and their provenance»,
Islamic Arms and Armour,
edited by Robert Elgood, London, 1980, PP. 213 - 241.

ثالثاً: المعاجم وكتب الفهارس:

١٦٢ - أدى شير،
كتاب الألفاظ الفارسية المعربة
المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨. أعيد طبعه بالاوفست، طهران، ١٩٦٥ م.

١٦٣ - البغدادي، اسماعيل (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م)،
ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون
٢ ج، حققه محمد شرف بالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، مطبعة وكالة المعارف، استنبول، ١٩٤٥ - ١٩٤٧ م.

١٦٤ - البغدادي، اسماعيل (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م).
هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
٢ ج، استنبول، ١٩٥١ - ١٩٥٥، أعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى، بغداد.

١٦٥ - حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م)،
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون
٢ ج، الطبعة الثالثة، أعادت طبعه بالاوفست مكتبة اسلامية والجعفري تبريزي، طهران، ١٩٤٧ م.

١٦٦ - الزركلي، خير الدين،
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.
الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩ م.

١٦٧ - سركيس، يوسف اليان،
معجم المطبوعات العربية والمعربة
مطبعة سركيس، القاهرة، ١٩٢٨ م.

١٦٨ - الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م)،
القاموس المحيط
٤ ج، القاهرة، ١٩٣٣ - ١٩٣٥ م.

١٦٩ - القاسمي، محمد سعيد،

قاموس الصناعات الشامية
٢ ج، تحقيق ظافر القاسمي.
Paris, Mouton and Lahaye 1960

١٧٠ - الكتاني، عبد الكبير بن ابي المفاخر محمد الحسني الادريسي (ت ١٣٣٣ هـ /١٩١٥ م).
فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المسلسلات
٢ ج، المطبعة الجديدة، فاس، ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ .

١٧١ - كحالة، عمر رضا،
معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية
١٥ ج، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٧ - ١٩٦١ م.

١٧٢ - المنجد، صلاح الدين،
معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة
دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨ م.

١٧٣ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ/١٣١١ م)،
لسان العرب
١٥ م، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م.

١٧٤ - Freeman, G. S. P.,
The Muslim and Christian Calendars,
Oxford University Press, London, 1963.

رابعاً: مراجع اطلعت عليها وأفدت منها ولم يشر اليها في الهوامش:

١٧٥ - الأحدب، عزيز،
فخر الدين مؤسس لبنان الحديث،

دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣ م.

١٧٦ - الأسود، عزتلو ابراهيم،
ذخائر لبنان
المطبعة العثمانية، بعبدا، ١٨٩٦ م.

١٧٧ - حتي، فيليب،
تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا
ط ٢، ترجمة انيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢ م.

١٧٨ - الحصني، محمد أديب تقي الدين،
منتخبات التواريخ لدمشق
٣ ج في مجلد، قدم له كمال سليمان الصليبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م.

١٧٩ - الخادم، سمير،
السلاح الناري وأثره في الشرق
دار النهار، بيروت، ١٩٨٠ م.

١٨٠ - الخوري، منير،
صيدا عبر حقب التاريخ
منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦ م.

١٨١ - الخوري، منصور طنوس،
نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية
بيروت، ١٨٨٤ م.

١٨٢ - الدومنيكي، الأب مرمرجي،
بلدانية فلسطين
مطبعة جان دارك، بيروت، ١٩٤٨ م.

١٨٣ - رافق، عبد الكريم،

غزة دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية
دمشق، ١٩٨٠ م.

١٨٤ - الزين، أحمد عارف،
تاريخ صيدا
مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١ هـ .

١٨٥ - سالم، عبد العزيز،
دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي
بيروت، ١٩٧٠ م.

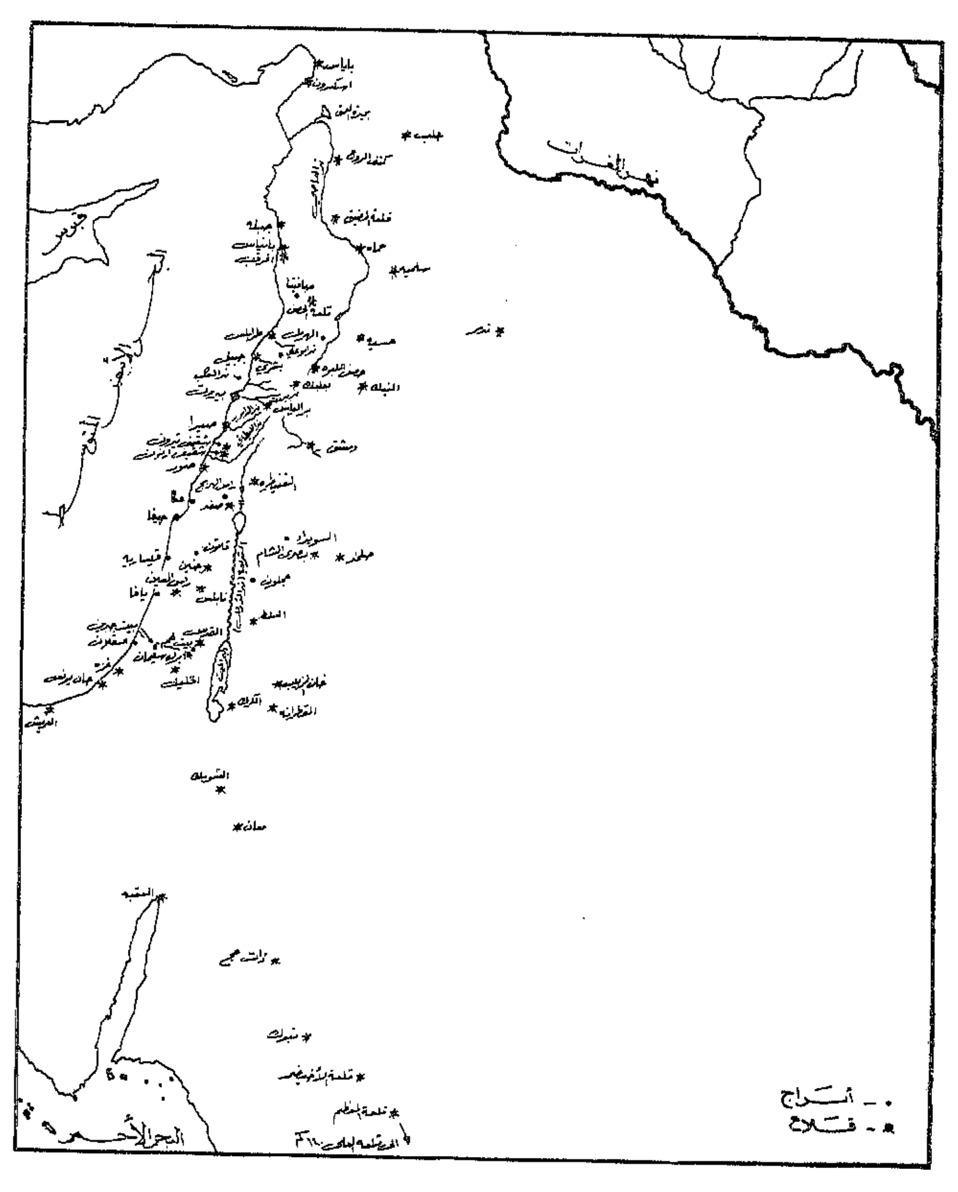
١٨٦ - سالم، عبد العزيز،
طرابلس في التاريخ الاسلامي
مطبعة رمسيس، الاسكندرية، ١٩٦٧ م.

١٨٧ - الصابوني، الشيخ أحمد
تاريخ حماة
ط ٢، المطبعة الأهلية، حماة، ١٩٥٦ م.

١٨٨ - غرايبة، عبد الكريم محمود.
مقدمة تاريخ العرب الحديث
جـ ١، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٠ م.

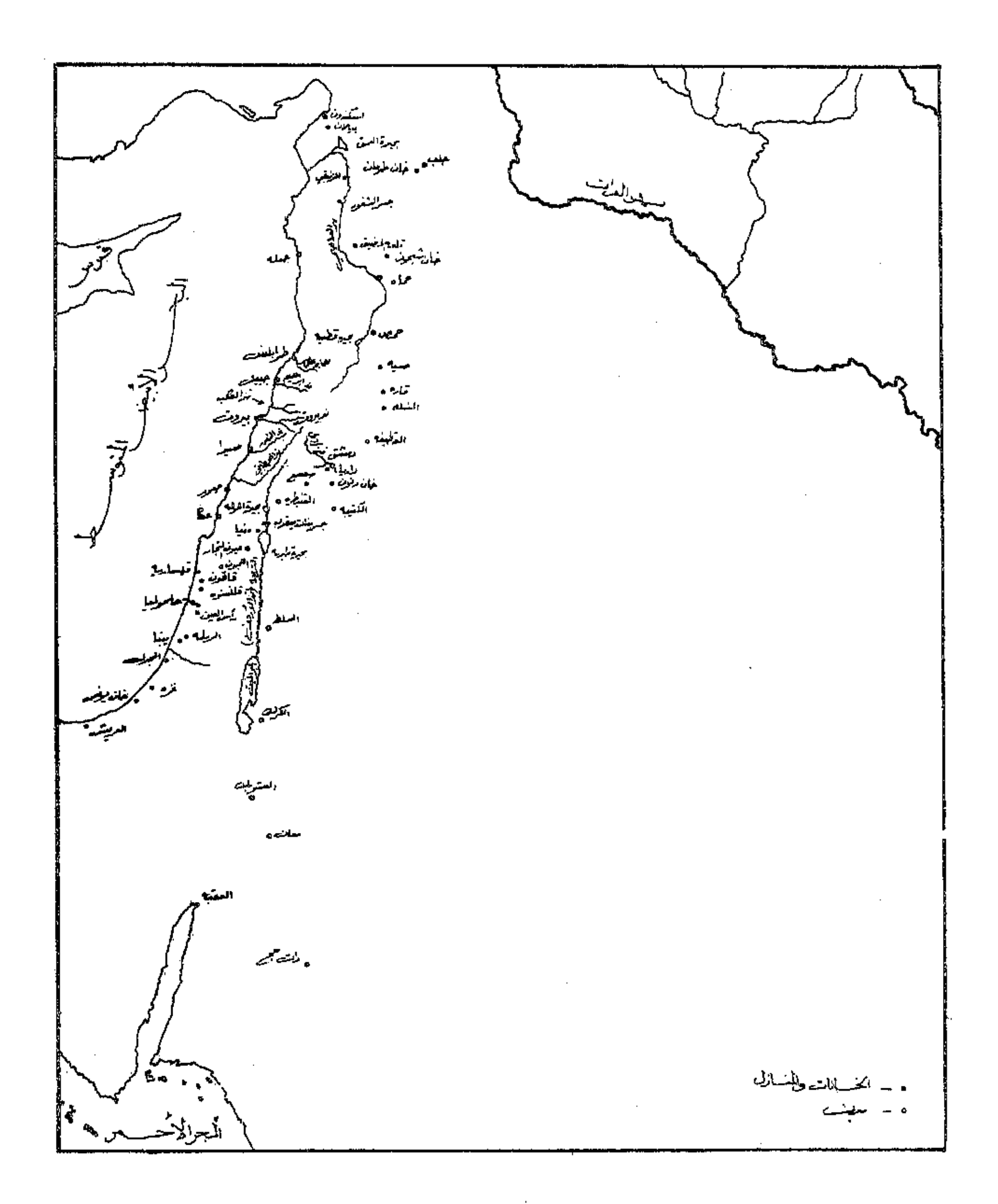
١٨٩ - لي سترانج،
فلسطين في العهد الاسلامي
ترجمة محمود عمايري، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٧٠ م.

الخرائط



القلاع والابراج في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

الخرائط



الخانات والمنازل في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

فهرس الاعلام

ت

ج

ح

خ

د

س

غ

ف

ل

م

ن

فهرس الأماكن

ب

ت

ج

ح

خ

د

ذ

ز

س

ط

ع

ك

ن

٣ - فهرس المصطلحات والتعابير

أ

ب

ت

ح

ع

غ

ف

ق

٤ - فهرس المؤلفات والوثائق الواردة في النص

خ

د

ر

س

محتويات الدراسة.

among these military forces and the factors which led to this state of lacking control and discipline over military affairs. Chapter V offers a detailed study of Sakabans movements in terms of their origin and their connection with Jalaliyyah movement in Anatolia and the role this movement had in forming military local leader ship in Bilad al-Sham (examples on this are the armies of Ali bin Janbulad, Yunus bin al-Harfush, Yusuf Pasha Sayfa and Amir Fakhr al-Din al-Ma'ni al-Thani etc.).Chapter VI studies the role of al-Askar in economy in Urban as well as in countryside, It shows how al-Askar played an effective role in determining economic life and emerged as a social power with prestige and influence. Chapter VII gives a presentation of the role of the military in the intellectual life of Bilad al-Sham. The chapter makes an emphasise in Their prestige and influence. It also dealy with waqf and the effect it exerted on promoting intellectual life, and with the part those Askar played in admistering the Waqf. Economic as well as social consequences are also discussed in this chapter.

In conclusion this study tries to dig up all sources available in order to clarify the singnificant role those Askars played in the economic and social life in Bilad al-Sham during the sixteenth and seventeenth centuries despite the fact that sources on this subject are not easily accessible.

Summary

this thesis is a study of «The Role of al-Askar in Bilad al-Sham during the sixteenth and seventeenth centuries». It consists of seven chapters. Chapter I Presents an analysis of the various bibliography used in this study which includes Arabic manuscripts, the Law-court registers in Bilad al- Sham, the Archives of the office of the Prime-Minister in Istanbul, records, annals, biographies and travels. I have also made use of modern sources and studies both in Arabic and English. Chapter II shows the distribution of Ottoman military forces (particularly Janissaries) over forts and towers in Bilad al-Sham. These forces were Paid in cash from the state treasury. In this chapter I have also dealt with the forces set in the countryside which came to be known as Sipahis or Sepoys. These forces were assigned revenues of land, taxes, etc. Known as the timar system. Chapter III discusses the responsibilities of the military forces of both Janissaries and Sipahis which they carried out in addition to their responsibilities of protecting the Hadj caravan and collecting (occusionally) the taxes.

The Askar of Bilad al-Sham Played an important role in suppressing muting and riots inside and outside Bilad al- Sham. This Chapter shows how these forces took part in the state conquests and wars over the various fronts. Chapter IV presents the degeneration

Summary

by

N - R - AL - HMUD

The MILITARY IN SYRIA

IN The Sixteenth and The Seventeenth Centuries

by

NAWFAN R - AL - HMUD

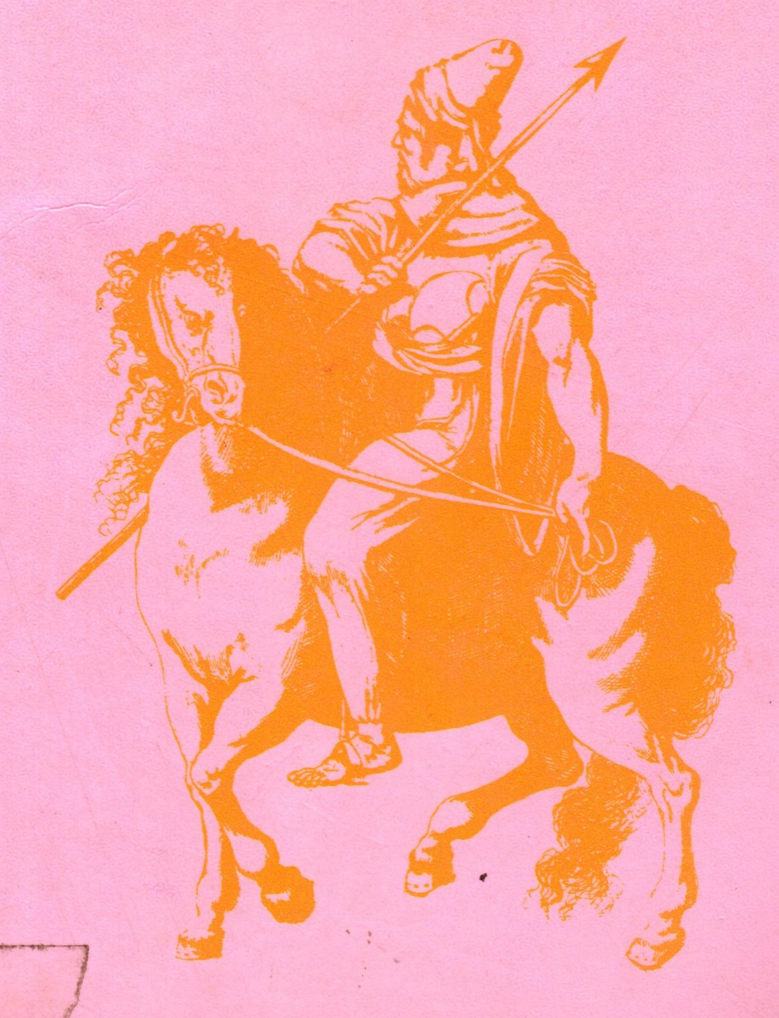
Dar al-Afaq al-Jadida BEIRUT - LEBANON

The MILITARY IN SYRIA

IN The Sixteenth and The Seventeenth Centuries

by

NAWFAN R - AL - HMUD



Dar al-Afaq al-Jadida BEIRUT. LEBANON